

جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغات الشرقية
فرع اللغة الفارسية وآدابها

المجتمع المغولى فى عصر الإيلخانيين

«فى ضوء المصادر الفارسية»

رسالة مقدمة من الطالب
أحمد عبد العزيز بقوش

لنيل درجة الدكتوراه فى اللغة الفارسية و آدابها

إشراف
الأستاذ الدكتور/ أحمد حمدى السعيد الخولى
أستاذ اللغة الفارسية وآدابها
كلية الآداب - جامعة عين شمس

الدكتورة/ فاطمة نبهان عودة
أستاذ اللغة الفارسية وآدابها المساعد
كلية الآداب - جامعة عين شمس

١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م

فهرس الرسالة

مقدمــة

شغلت دراسة المغول العديد من الباحثين في مصر والبلاد العربية ، وإيران، والعالم الغربي كذلك . وكانت معظم الدراسات في مصر تدور حول الجوانب السياسية والدينية للمغول .

فاجتهدت أن ألقى الضوء ببحثي هذا على " المجتمع المغولي في عصر الإيلخانيين" في ضوء المصادر الفارسية ، فتحدثت عن نظمهم الاجتماعية والاقتصادية والدستورية، وتحولهم إلى الإسلام ، بحيث يكون هذا البحث لبنة متواضعة في صرح الدراسات المغولية .

وكان من بين الدراسات السابقة للمغول ماكتبه كل من :

الدكتور سيد الباز العريني ، بعنوان : المغول ، بيروت ١٩٦٧م.

والدكتور مصطفى طه بدر ، بعنوان : مغول إيران بين المسيحية والإسلام ، القاهرة ، بدون تاريخ .

وكذلك : محنة الإسلام الكبرى (أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول) ، القاهرة ١٩٩٩م .

والدكتور : أحمد محمد محمد ، بعنوان : إسلام الإيلخانيين ، القاهرة ١٩٨٩م .

وقد أشار أستاذي الجليل الدكتور أحمد الخولي في مقاله القيّم بعنوان:

« بعض من مصادر دراسة المغول في اللغتين العربية والفارسية » -

والمنشور بمجلة «الدارة» السعودية بالعدد الرابع للسنة السابعة (مايو ١٩٨٢م) - إلى وفرة المراجع والمصادر التى تحدثت عن هذا العصر .

وأحمد الله سبحانه وتعالى أنه يَسر لى الإطلاع على معظم هذه المراجع والمصادر مطبوعةً أو مصورة .

ولقد كان من يُمن الطالع أن تزدهر هذه الدراسات فى مصر بفضل إبداع الأستاذ الدكتور فؤاد عبدالمعطى الصياد ، متمثلاً فيما خلفه من أعمال ، والإبداع أفعالٌ لا أقوال .

وحسبنا أن نستعرض مؤلفاته فى هذا الميدان ، وهى :

- المغول فى التاريخ ، القاهرة ١٩٦٠م .

- مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذانى ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

- السلطان محمود غازان خان المغولى واعتناقه الإسلام ، القاهرة ١٩٧٩م.

- الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو) ، الدوحة ١٩٨٧م.

أما ترجماته فى هذا المجال فهى :

- جامع التواريخ (تاريخ المغول ، المجلد الثانى ، الجزء الأول ، تاريخ هولاكو ، مع مقدمة كاترمير) ، وقد ترجمه بالاشتراك مع الأستاذ محمد صادق نشأت والدكتور محمد موسى هنداوى ، وترجم المقدمة الفرنسية الدكتور محمد القصاص ، القاهرة ١٩٦٠م .

- جامع التواريخ (تاريخ المغول - المجلد الثاني - الجزء الثاني ، تاريخ أبناء هولاكو من آبا قاخان إلى گيخاتوخان) ، وقد ترجمه بالاشتراك مع الأستاذ محمد صادق نشأت ، القاهرة ١٩٦٠م .

- جامع التواريخ (تاريخ چنگيزخان من (اوگتاى قاآن إلى تيمور قاآن) وقد ترجمه بمفرده ، بيروت ١٩٨٣م .

- جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، وقد ترجمه أيضاً بمفرده ، القاهرة ٢٠٠٠م .

وقد حمل الراية من بعده أبناؤه المخلصون ، ومن بينهم :

الأستاذة الدكتورة ملكه علي التركي ، حيث تحدثت عن أسرة الجوينيين في أحد مؤلفاتها بعنوان : سعدى الشيرازى وأسرة الجوينين ، القاهرة ١٩٩٢م .

وكانت رسالة الأستاذ الدكتور صبرى سليم للماجستير بعنوان : « المجتمع المغولي فى عصر الأباطرة العظام من چنگيزخان إلى قوبيلاى خان» مابين (٦٠٣هـ-٦٩٣ هـ) . أما رسالته للدكتوراه فكانت بعنوان : « الصراع السياسي والمذهبى بين الشيعة والسنة في عصر سيطرة إيلخانات المغول في إيران ، مابين (٦٥٣هـ - ٧٣٦هـ= ١٢٥٢ - ١٣٣٥م) .

ومن بين أبحاثه :

- السلطان جلال الدين منكبرتي والمغول ، وهو بحث ألقاه في طشقند في نوفمبر سنة ١٩٩٩م .

كما كانت رسالة الدكتورة فاطمة نبهان للدكتوراة بعنوان : «تاريخ

وصاف ومكانته بين المصادر الفارسية في التاريخ الإسلامي، مع ترجمة الجزء الثالث من الكتاب إلى العربية»

ومن بين أبحاثها في هذا المجال "

« الدور المصرى في مواجهة الحروب المغولية» ، القاهرة ١٩٩٨م.

وكذلك : «مدينة السلطانية ودورها في الحضارة الإسلامية» ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس (المجلد الرابع والعشرون، الجزء الأول)، سنة ١٩٩٥-١٩٩٦م.

وأيضاً : «يهود إيران في العصر الإيلخاني من خلال كتاب : تاريخ يهود إيران ، تأليف: حبيب ليوى ، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس (دورية علمية نصف سنوية محكمة) [المجلد السادس والعشرون] ١٩٩٨م .

ولقد ظهرت في بغداد أبحاث جادة في مجال الدراسات المغولية ، أذكر من بينها علي سبيل المثال مؤلفات كل من :

عباس العزاوى بعنوان : تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الأول «حكومة المغول» ، بغداد ١٩٣٥م.

وكذلك :

الدكتور جعفر حسين خصباك ، بعنوان : العراق في عهد الإيلخانيين (الفتح، الإدارة، الأحوال الاقتصادية، الأحوال الاجتماعية)، بغداد، ١٩٦٨م .

وفى السعودية : ظهرت للدكتور سعد الغامدى الكتب الآتية :

- المغول (بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية)، الرياض ١٩٨٩م .

- المجتمع المغولى (ضوابطه وقوانينه ، وأقوال جنكيزخان وحكمه : الياسا البيليك) ، الرياض ١٩٩٠م .

وله كذلك كثير من المقالات والكتب المترجمة عن لغات أوربية فى هذا المجال

وفى قطر ظهرت مجموعة من المقالات فى الدراسات المغولية للدكتور محمد حسن عبدالكريم العمادى ، رئيس قسم التاريخ بكلية الإنسانيات ، من بينها :

- جوانب من حياة المرأة فى العصر المغولى ، وقد نشر بحولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، إبريل ١٩٩٧م.

- المعتقدات الدينية عند المغول حتى نهاية عصر جنگيزخان ، وقد نشر بمجلة «دراسات عربية وإسلامية» بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، نوفمبر ١٩٩٧م .

وفى إيران كان للدكتورة «شيرين بيانى» جهد مشكور فى هذا الجانب، حيث كان من بين مؤلفاتها :

- دين ودولت در ايران عهد مغول : جلد اول، از تشكيل حكومت منطقهء مغولان تا تشكيل حكومت ايلخانان ، طهران ١٣٧٠هـ.ش.

- دين ودولت در ايران عهد مغول : جلد دوم ، حكومت ايلخان ،

نبرد ميان دو فرهنگ، طهران ١٣٧١هـ.ش.

- - زن در ايران عصر مغول ، طهران ١٣٥٢هـ.ش.

- هشت مقاله در زمينهء تاريخ، انتشارات توس، ١٣٥٢ هـ.ش.

ومن ترجماتها :

- نظام اجتماعى مغولى (فئود اليسم خانه به دوشى) ، تأليف : (ولاديميرتسف.ب.)، تهران ١٣٦٥هـ.ش.

- تاريخ سرى مغولان ، تأليف (بل ، پليو) ،انتشارات دانشگاه تهران، ١٣٥٠هـ.ش.

كما قام الدكتور «محمود مير آفتاب» بترجمة كتاب « بارتولد شپولر» إلى الفارسية بعنوان :

- تاريخ مغول در ايران (سياست ، حكومت وفرهنگ دورهء ايلخانان) بنگاه ترجمه ونشر كتاب ١٣٥١هـ.ش.

وربما كان من أهم ما كتب بالإنجليزية فى هذا المجال كتاب :

Howorth H.H. : History of the Mongols from the 9th to the 19th century, Part III, (The Mongols of Peersia), London, 1888.

وقد قسمت بحثى هذا إلى أربعة أبواب ، مضت فيها الدراسة على النحو التالى :

الباب الأول : « النظم الاجتماعية » ، وينقسم إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الأوضاع الاجتماعية وأسلوب المعيشة ».

وقد بينت في هذا الفصل أن الخان هو أعلى طبقات المجتمع ، وكان من أهم أعماله تقسيم الغنائم بين القادة وأفراد القبائل ، وتنظيم أمور الصيد . كما كان رؤساء الجيش يشكلون طبقة اجتماعية بعد الخان ، فقد كان يرأس كل مجموعة من مجموعات الجيش رئيس أو قائد تم اختيار لقبه من أعداد المجموعة التي يرأسها فهناك رئيس التومان (أى رئيس العشرة آلاف) ، ورئيس الألف (هزاره) ، ورئس المائة (صده) ، ورئيس العشرة (ده) .

أمابقية طبقات المجتمع في ذلك الوقت فكانت عبارة عن الفلاحين والتجار والصناع وقد ألقيت الضوء على كل طبقة من هذه الطبقات .

الفصل الثانى : « الادارة » :

وتناول هذا الفصل الحديث عن الحاكم وطريقة انتخابه ، وإصرار الإيلخانيين على عقد «القوريلتاى» لاختيار الحاكم الجديد ، وكيف كان العظماء يتعاملون معه بعد انتخابه - وما كان بوسع الإيلخان أن يعتلى العرش قبل وصول رسالة تأييد من القاآن بالموافقة على جلوسه ، إلى أن اعتلى غازان العرش فأعلن استقلاله عن القاآن .

وكان وظيفة صاحب الديوان في أهميتها بعد الحاكم عند الإيلخانيين ، وكان يطلق على شاغلها كذلك لقب « وزير الممالك» ، وتليها وظيفة رئيس كتاب الديوان ووظيفة مشرف الممالك ، وناظر الممالك ، والمحاسب الكبير .

وكانت وظيفة مستوفى الممالك أعلى منصب مالى فى الديوان وكان شاغلها يعين من قبل الحاكم ويليه مسئول المحاسبات « دفتر دارى ممالك » ، ومسئول القانون والترتيب والتعديل».

الفصل الثالث : « الأسرة ووضع المرأة » :

لم يكن تعدد الزوجات شائعاً عند المغول وحدهم ، بل امتدَّ ليشمل الإيلخانيين كذلك ، سواء قبل اعتناقهم الإسلام أو بعد أن شرفوا باعتناقه.

وكان يطلق على زوجات الإيلخان الشرعيات لقب « خاتون » ، إلا أن الزوجة الأولى كانت بمثابة الخاتون الكبيرة بين الزوجات ، فكانت تتمتع بمكانة خاصة لاتدانيها فيها زوجة أخرى ، وربما كان من اللافت للنظر تمسك بعض حكام الإيلخانيين بفقرات من الياسا الجنكيزية ، المتعلقة بالزواج ، رغم مخالفتها الصريحة للشريعة الإسلامية . كما حدث لأبى سعيد عندما وقع فى حب « بغداد خاتون» .

أما المحظيات أو « السرارى » فيأتى ترتيبهن بعد زوجات الحاكم الشرعيات ، وكن يتمتعن بالاحترام ، وتصبح لهن ثروة ومسكن مستقل ، ويعامل أبناؤهن معاملة الأبناء الشرعيين .

وكان بين نساء الحاكم مجموعة من الجوارى اللاتى يتم الاستيلاء عليهن من أسرى الحرب أو من القبائل الفقيرة . وما كان لهذه الفئة أى حق من الحقوق ، بل كان ينظر إلى أبنائهن على أنهم أبناء غير شرعيين ، فيطردون من القبيلة .

ولم يتوقف الحديث فى هذا الفصل عند زوجات الإيلخان فحسب ، بل امتد ليشمل أيضا نساء الطبقة الأولى ، والطبقة المتوسطة ، وطبقة الجوارى ، ووضع المرأة فى كل طبقة من هذه الطبقات .

الباب الثانى : « النظام الاقتصادى » وينقسم بدوره إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : دخل الدولة الإيلخانية :

وقد تنوعت مصادر دخل الدولة الإيلخانية ، حيث كانت الغنائم والأسلوب التى يتم الاستيلاء عليها من الحروب تشكل أحد هذه المصادر .

كما شكلت مصادرة الأموال والممتلكات مصدراً آخر من مصادر دخل الدولة ، وكان صيد اللؤلؤ مصدرا هاما للدخل كذلك .

وإذا كانت الضرائب أهم مورد من موارد دخل ادولة الإيلخانية ، فإنها قد صارت عبئاً ثقيلاً على كاهل الرعايا بسبب تعددها وكثرتها .

الفصل الثانى : « الإقطاع » :

بعد أن ألقى الباحث الضوء على أقسام الأراضى الزراعية فى عهد الإيلخانيين متمثلة فى : أراضى الدولة ، وأراضى الخاصة السلطانية ، وأراضى الأوقاف والأملاك الخاصة ، بيَن كيف عيَن « غازان خان » إقطاعيات لجميع الجنود ، لأنه كان يدرك أن أكثر الجنود فى هذا العهد يميلون إلى إقتناء الأملاك والزراعة ، وبالتالى فإنهم يحققون رغبتهم عندما يملكون إقطاعا ، وبذلك لاتكون هناك حاجة إلى الخزانة للإنفاق على مصالحهم ،

ولأن كل واحد منهم يحصل على حصته ومعاشه من الإقطاعية .

الفصل الثالث : النقـود :

وكانت النقود في عهد الإيلخانيين تحمل بعض الشعارات التي تعبر عن ديانة الحاكم ومذهبه ، أو تعاطفه مع ديانة من الديانات على حساب ديانة أخرى .

وقد اختلفت طبيعة النقود كذلك مابين ذهبية وفضية وبرونزية أو عملة ورقية كما حدث في عهد « گيخاتو » ، حيث أمر بتداول عملة ورقية عرفت باسم « الچاو » ، وإن كانت لم تلق رواجا من المواطنين ، وعادت العملة الذهبية والفضية مرة أخرى .

الباب الثالث : « النظام الدستورى » :

وينقسم هذا الباب إلى فصلين :

الفصل الأول : الياسا : وهى عبارة عن مجموعة القوانين التى وضعها چنگيز خان ليحكم بها قومه ، حيث كان يهدف بتطبيقها أن يصرف قومه عن النزاعات والاقتتال فيما بينهم ، فقد نصت الياسا أن يمارس الجنود الصيد منذ بداية هطول الجليد إلى أن ينبت العشب ، أما بقية العام فكان الجيش متأهبا بصورة مستمرة للغزو والقتال .

وكان من بين مانصت عليه الياسا أن من زنى قُتل ، ومن بال في الماء أو على الرماد قُتل ... ومن ذبح حيوانا كذبيحة المسلمين ذُبح ، فقد أمر

بانتـزاع قلب الحيـوان من صـدره إلى أن يموت ، وهي صـورة تدل على شـدة القسوة التى جُبل المغول عليها .

وقد جمع المغول أقوال چنگيز خان وحكمه وجعلوها مرجعاً لجميع طوائف المغول وأطلقوا عليها اسم « بيليكهاى چنگيز » يعنى أقوال چنگيز وحكمه ، وراح المغول يستشدون بهما في مختلف شئون حياتهم .

الفصل الثانى : بين الياسا والشريعة الإسلامية :

وقد حاولت فى هذا الفصل أن ألقى الضوء على بعض قوانين الياسا التي جاءت موافقة لأحكام الشريعة الإسلامية مثل النهى عن الزنا واللواط ، والنهى عن الكذب والسحر والسرقة .

كما تحدثت عن معظم « قوانين الياسا » التى خالفت أحكام الشريعة الإسلامية مثل عدم الاكتراث بالطهارة والنظافة ، والقسوة فى ذبح الحيوان .

وقد أباحت الياسا للخان أن يتزوج من أى امرأة تعجبه ، ولو كانت متزوجة وأمرت الزوج أن يتخلى عنها طواعية للخان .

فلا عجب إذن أن يحاول غازان خان التوفيق بين الياسا والشريعة الإسلامية وهو ما عُرف اصطلاحا باسم الياسا الغازانية فامتدت إصلاحاته إلى القضاء ، كما شملت اصلاحاته النواحي الدينية كذلك حيث منع الناس من التلفظ بكلمات الكذب ، وحرم التعامل بالربا ، والحدّ من ظاهرة البغاء وشرب الخمر .

الباب الرابع : تحول المغول إلي الإسلام :

وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : المعتقدات القديمة :

وقد بينت في هذا الفصل كيف لعبت الخرافة دوراً هاما في حياة المغول اليومية كان من أثرها تقديسهم للنار والماء وتعلقهم ببعض مظاهر الطبيعة كالجبال والأشجار .

وربما كان من أوضح الخرافات السائدة في ذلك الوقت أنهم كانوا يدفنون مع الخان في قبرة كل ما يلزمه في الآخرة ، كما يدفنون معه مجموعة من الفتيات الجميلات ، كي لايتألم من وحشة الوحدة ومشقة الفراق .

الفصل الثاني : مرحلة الصراع بين المعتقدات القديمة والإسلام :

فرغم أن چنگيز خان كان يدين الشامانية ، إلا أنه كان يعطف على كافة الأديان ، كما سلك خلفه أوگتاى مسلك المداراة مع المسلمين ، وعاملهم معاملة الأصدقاء ، فلما جاء الدور على گيوك ناصب المسلمين العداء متأثرا برأى اثنين من وزرائه المسيحيين. ثم عادت سياسة المداراة في عهد منگو مرة أخرى رغم المكائد التى كان يقوم بها المسيحيون والبوذيون .

ورغم بدأ التسامح الذى سلكه قوبيلاى إلا أن عصره لم يخل من المكائد والمواجهات العنيفة بين البوذية والإسلام ، وقد اشترك اليهود والمسيحيون فى إذكاء نار الفتنة فى ذلك الوقت .

ورغم أن هولاكو ظل متمسكا بديانته البوذية إلا أنه أعلى من شأن المسيحين فى عهده ، ولم يكن آباقا أقل تعاطفا مع المسيحيين من أبيه .

فلما اعتنق أحمد تكودار الإسلام لم يعد للمسيحيين نفوذ فى بلاطه ، وكانت سياسة المهادنة التي سلكها مع المماليك سببا فى فقد عرشه وحياته .

وقد خلفه آرغون الذى كان شديد التعصب للمسيحيين واليهود ، كما كان كهنة البوذية يحيطون به .

وعندما اعتلى گيخاتو العرش سلك بدوره سبيل المهادنة مع بقية الديانات الأخرى ، حتى أنه أسند منصب الوزارة إلى أحد المسلمين هو «أحمد الخالدى الزنجانى» الملقب بصدر جهان » .

ثم خلفه بايدو ، الذى كان شديد العطف على المسيحيين ، حتي اعتبره كثير من المؤرخين مسيحياً .

وكان يتودد للمسلمين ويحرص على استرضاءهم .

فلما اعتلى غازان العرش من بعده أصبح الإسلام ديناً رسمياً للبلاد .

الفصل الثالث : غازان والتحول الكبير :

وقد شب غازان على اعتناق البوذية منذ طفولته ، فكان يمضى أكثر

أوقاته فى معابد الأصنام يتجاذب أطراف الحديث مع الكهنة ، إلى أن شرح الله صدره للإسلام ، فخير أصحاب الديانات الأخرى بين اعتناق الإسلام أو الرحيل عن إيران عائدين إلى أوطانهم .

وفى النهاية فإن الكلام يعجز عن تقديم خالص الشكر إلى أب كريم ، وعالم جليل ، كان لتوجيهات سيادته أكبر الأثر فى إنجاز هذا العمل ، ألا وهو أستاذى الدكتور أحمد حمدى السعيد الخولى ، فقد أمدنى بفيض من علمه ولم يبخل علىّ بالمصادر والمراجع التى أثرت هذا البحث فله منى كل الشكر والعرفان .

كما أتقدم بشكرى وتقديرى إلى الدكتورة / فاطمة نبهان على ماتحملته من تعب ومشقة فى سبيل إنجاز هذه الرسالة .

ولا يفوتنى أن أشكر أستاذتى الفاضلة الدكتورة / ملكه على التركى وأستاذى الدكتور صبرى عبد اللطيف سليم على ماتكبداه من عناء قراءة هذه الرسالة وعلى ملاحظتهما القيمة التى تكمل الفائدة من هذا العمل .

وأسأل الله عز وجل أن أكون - ببحثى هذا - قد أضفت جديداً إلى الدراسات المغولية من خلال رؤية المصادر الفارسية ، فى بيئة حكم فيها المغول سنوات عديدة .

والله ولى التوفيق ..

الباحث

١٠ / ٧ / ٢٠٠٤م



الباب الأول
النظم الاجتماعية



الفصل الأول
الأوضاع الاجتماعية وأسلوب المعيشة

الفصل الأول
الأوضاع الاجتماعية وأسلوب المعيشة

سوف أتعرض في هذا الفصل الحديث عن طبقات المجتمع في عهد الإيلخانيين ، وكيف كان هؤلاء القوم يعيشون ، وإلى أي مدى تأثر الإيرانيون بطباعهم وأخلاقهم بعد أن أضحى زمام الأمر في أيديهم ، ولكي تتضح الصورة فإني سألقي قدرا من الضوء على حياة المغول بصفة عامة .

كان المغول ينقسمون – قبل ظهور جنكيز خان – إلى قسمين :

قسم يقيم في الغابات ولا يفضل الارتحال عنها ، وكان أهله يعيشون على صيد الحيوانات والأسماك ، وقسم يضم الرعاة الذين يتنقلون بين الصحارى والوديان بحثا عن المراعي والمياه . (١)

ولم يكن المغول يعرفون شيئا عن التفاوت الاجتماعي بين طبقاتهم ، فقد كانوا جميعا في صراع مع الطبيعة ، بحثا عن الطعام والشراب .

وبمرور الأيام حدث تفاوت بين قبيلة وأخرى أدى إلى زيادة ثراء بعض القبائل ، وزيادة الفقر عند قبائل أخرى . (٢)

---

(١) ب. ولاديمير تسوف : نظام اجتماعي مغول ، ترجمهٔ شيرين بياني ، ص٥٧-٥٨ ، چاپ دوم ، تهران ، ١٣٦٥هـ.ش.

(٢) شيرين بياني : هشت مقاله در زمينهٔ تاريخ ، ص ٢٠٣ ، انتشارات توس ، ١٣٥٢هـ.ش.

وأخذت الطبقية في الظهور ، فكان الخان - في عُرفهم - هو أعلى طبقات المجتمع ، وكان من أهم أعماله تقسيم الغنائم بين القادة وأفراد القبائل ، وتنظيم أمور الصيد .

وكان رؤساء الجيش يشكلون طبقة اجتماعية بعد الخان ، فقد كان يرأس كل مجموعة من مجموعات الجيش رئيس أو قائد تم اختيار لقبه من أعداد المجموعة التي يرأسها . فهناك رئيس «التومان» - أي رئيس العشرة آلاف - ورئيس الألف (هزاره) ، ورئيس المائة (صده) ، ورئيس العشرة (دهه) .

وكان من بين الطبقات كذلك طبقة الأحرار ، وطبقة الخدم . أما طبقة الأحرار فهم السادة الذين يحق لهم امتلاك الخدم والعبيد ، وكانت أدنى طبقة من طبقات الأحرار تعرف باسم « قراچو » - أي أفراد الطبقة الدنيا - وكان يحق لهم امتلاك ثروات شخصية . أما طبقة الخدم الذين يرتبطون بسادتهم ، فما كان لهم أن يمتلكوا ثروة شخصية ، كما أن طبقة العبيد - وهم الذين تم أسرهم من قبائل أخرى - كانوا يوضعون تحت تصرف سادتهم، وكانوا يقومون بالعمل والخدمة في بيوتهم ومعسكراتهم . (١)

أما بقية طبقات المجتمع في ذلك الوقت فكانت عبارة عن الفلاحين ، والتجار والصناع .

---

(١) شيرين بياني : هشت مقاله در زمينهٔ تاريخ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

ولقد أثقلت كثرة الضرائب عاتق الفلاحين في عهد الإيلخانيين - قبل عهد غازان - حتى أن معظم الفلاحين تركوا أرضهم بوراً ، ولاذوا بالفرار .

وكان هناك قانون يفرض على الفلاحين وأرباب الحرف أن يسلموا محصولهم وبضائعهم إلى خزانة الدولة بثمن أقل من سعر السوق ، فكان هذا الأمر غير محتمل بالنسبة لهم . كما أن التجار والصناع كانوا مُجبرين على شراء المئونة التي كانت تحصلها الدولة في صورة الخراج بثمن أعلى من ثمنها في السوق أربع أو خمس مرّات . (١)

كما كان التجار يدفعون ضرائب باهظة لانتقال بضائعهم من مكان إلى آخر ، إضافة إلى أن الصناع كانوا مُلزمين بتسليم قسم من مصنوعاتهم إلى خزينة الدولة ، وأن يقوموا بأعمال إجبارية متعددة ، وعليهم أن يشاركوا في تشييد المباني العامة ، وتزيين المدينة عند قدوم الإيلخان والأمراء .

وكان الصناع بمثابة العبيد في مصانعهم ، لأن تلك المصانع كانت ملكاً لخزانة الإيلخان أو الأمراء . (٢)

---

(١) - أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله شيرازى ، وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، بمباى ، ١٣٦١هـ ، ص ٣٦٣ . وكذلك :

- ن. وپيكولوسكايا (وديكران) : تاريخ ايران از دوران باستان تا پايان سدهٔ هيجدهم ميلادى ، ترجمهٔ كريم كشاورز ، تهران ، ١٣٥٤هـ.ش ، ص ٣٦٣ .

(٢) ن. وپيكولوسكايا (وديكران) : المرجع السابق ، ص ٣٦٤ .

وأما ملابس المغول ، فمثلما كانت حياة المغول تتسم بالبساطة ، فإن ملابسهم كانت تتسم بالبساطة كذلك . فقد كان الرجال يرتدون ثيابا من القماش أشبه ما تكون بالجوال ، أما النساء فكن يرتدين سروالا طويلا تحت ثيابهن ، وكن يربطن الثياب على الكتف الأيمن ، بينما يتركن الجانب الأيسر غير مربوط .

وكان الرجال يضعون قلانس من الجلد على رءوسهم ، كما كانت النساء تضعن ملابس طويلة ، ثُبِت عليها قطعة من القماش (١) ، فلما اعتنق « غازان خان » الإسلام أمر بارتداء العمامة بدلا من القلنسوة . (٢)

كما أمر كيخاتو بالامتناع عن ارتداء الأقمشة المطرزة بالذهب ، وخاصة بعد أن روج لأوراقه المالية الجديدة التى عرفت باسم " الجاو " . (٣)

وإذا كنا قد تحدثنا عن بساطة الحياة عند المغول فى ملبسهم فإن طعامهم كان – هو الآخر – يتناسب مع حياتهم القبلية ، فكان يتكون من اللحم والحليب ، وكان المغول يشربون اللبن طازجا أو مخمرا . (٤)

---

(١) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهء محمود مير آفتاب ، بنگاه ترجمه ونشر كتاب ، ١٣٥١هـ.ش ، ص٤٤٢-٤٤٣ .

(٢) أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله شيرازى ، وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص ٣٤٤ .

(٣) الجاو : عملة ورقية أقرها گيخاتو ، وسيأتى الحديث عنها .

(٤) عطا ملك علاء الدين الجوينى : تاريخ جهانگشاى جوينى ، جلد اول ، چاپ سوم ، تهران ، ١٣٦٧هـ.ش ، ص١٧ .

ومع ذلك فقد كان بعض ما يأكله هؤلاء القوم مثار اشمئزاز المسلمين والنفور منهم وشدة كراهيتهم ، فقد كانوا يأكلون كل ما حرمه الإسلام كالفئران والقطط والكلاب . (١)

ومن العجيب حقا أنهم كانوا لا يراعون أى وجه من وجوه النظافة أثناء تناولهم الطعام ، بل إن طريقتهم في التهام الطعام تدل على وحشيتهم، فقد كان المغولى يزدرد قطعة اللحم الكبيرة دون أن يهتم بتقطيعها إلى قطع صغيرة وكان إذا اشتد الجوع به جرح حصانه وامتص قدرا من دمه .(٢)

ولقد اعتبر المغول أن ذبح الحيوان - بقطع حلقه - من أبشع الجرائم، فحرموا على المسلمين ذبح حيواناتهم وفقا للطريقة التى أجازها الشرع ، واستعاضوا عن ذلك طريقتهم الخاصة ، فكانوا يشقون بطن الحيوان ثم يمدون أيديهم إلى جوفه ، فإذا وصلوا إلى قلبه أمسكوه ونزعوه من مكانه .(٣)

ومن الواضح أن هذه الطريقة فى ذبح الحيوان تخلو من الرحمة

---

(١) إدوارد جرانفيل براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ، القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ص٥٦١ .

(٢) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٤٤١ .

(٣) إدوارد جرانفيل براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفروسى إلى السعدى، ص٥٦١ .

والشفقة ، وتدل على قسوة هؤلاء القوم ، إضافة إلى مخالفتها للشريعة الإسلامية .

وكان المغول يسرفون فى تناول الشراب ، حتى أن غازان نفسه لم يقم بتحريم الشراب - بعد إسلامه - بصورة كاملة ، و لكنه أمرهم بالابتعاد عن السكر فى الأماكن العامة ، ومزاولة الشراب فى بيوتهم ، كما سنرى أثناء الحديث عن غازان . (١)

وإذا كان هذا شأن المغول فى ملبسهم ومأكلهم فإن نظرتهم إلى الميراث تدعو إلى الدهشة ، فهم يرون أن الابن الأصغر يرث كل ممتلكات أبيه ، أما الابن الأكبر فيخلف أباه فى الحكم . (٢)

ويلاحظ أن هذا القانون - الخاص بالميراث - قد ألحق الظلم ببقية الأبناء فحرمهم من مال أبيهم .

وكان ميراث المتوفى لا ينتقل مطلقا إلى الحاكم - كما سيرد - بل ينتقل إلى خدم المتوفى أو الفقراء ، إذا لم يكن له وريث .

فلما اعتنق غازان خان الإسلام ، قام بتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية فى مجال الميراث . (٣)

وقد استمرت بعض عادات المغول مؤثرة فى حياة الإيلخانيين ، حتى

---

(١) عبد المحمد آيتى : تحرير تاريخ وصاف ، تهران ، ١٣٤٦هـ.ش ، ص ٢٣٣ .

(٢) شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٣٨٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨٩ .

بعد أن قطع الإيلخانيون علاقتهم ببلاط المغول - ومن بين تلك العادات - على سبيل المثال - آداب الجلوس على العرش .

وكان من بين عادات المغول البغيضة التي استمرت في عهد الإيلخانيين المبالغة في القتل ، والتمثيل بالقتلى . ففي عهد هولاكوخان عندما فتح الموصل وقتل المغول بقية سكان المدينة بحد السيف ، كان هولاكوخان غاضبا جدا على الملك الصالح فأمر بأن يدخلوا جسمه في الدهن « اللّية » ويربطوا عليه باللبد والحبال بإحكام ، ويلقوا به في شمس الصيف القائظ ، فتحولت اللية بعد أسبوع إلى ديدان أخذت تلتهم جسم ذلك التعس حتى فاضت روحه الغالية بعد شهر من ذلك البلاء ، ثم بعثوا بابنه - الذى كان في الثالثة من عمره - إلى الموصل ليقدوه نصفين على ساحل دجلة - وعلى سبيل الاعتبار علقوا جثته على الجانبين حتى تعفنت وتناثرت .(١)

ونرى في عهد السلطان «أحمد تكودار» أن «الوزير مجد الملك»(٢)

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ ، تاريخ المغول، المجلد الثاني، الجزء الأول، تاريخ هولاكو ، نقله عن الفارسية الأستاذ محمد صادق نشأت والدكتور محمد موسى هنداوى والدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٣٣٠ .

(٢) هو مجد الملك ابن صفي الملك اليزدى ، وكان أبوه وزيراً لأتابكة يزد. وقد اشتهر بحسن التدبير وقوة العزيمة والهمة والكفاءة النادرة، التحق مجد الملك في البداية بخدمة بهاء الدين ابن الخواجة شمس الدين الجوينى ثم اتصل =

كان قد اتصل بالأمير «اورغون» العدو اللدود للسلطان أحمد ، فكان بتصرفه هذا كالباحث عن حتفه ، وهذا ماحدث بالفعل ، فقد أصدر السلطان أمره بأن يقوم «سونجاق نويان» - القائد الأعلى لجيوشه - وأحد كبار الأمراء المغول وكان يدعى « أروق » بالتحقيق مع « مجد الملك » فيما نسب إليه ، فأجبر أولا على رد كل الأموال التى كان استولى عليها من أسرة الجوينيين (١) ، ولم يردها إلى خزانة الدولة . وسلمت مع كميات

= بصاحب الديوان نفسه ودخل فى خدمته وبدلاً من أن يحفظ الجميل ويظل مخلصاً لهذه الأسرة - (الجونيين) -لكثرة عطاياهم له . إلا أنه كان يسعى فى الباطن للقضاء على نفوذ هذه الأسرة.
فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي فى عهد الإيلخانيين، الدوحة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٠٦-١٠٧ .

(١) أسرة الجوينيين : من أهم الأسر التى لعبت دوراً هاماً بعد الغزو المغولى كانت أسرة الجونيين وهى أسرة عريقة ضربت بسهم وافر فى الأعمال الديوانية وفى ملازمة السلاطين والملوك فى عهود السلاجقة والخوارزمشاهيين و المغول.
والجوينيين هم أبناء حجة الإسلام عبد الملك الجوينى ، وكان الجد خواجه شمس الدين محمد مستوفياً لديوان السلطان محمد خوارزم شاه ، وفى عهد هولاكو أسند إلى شمس الدين محمد الجوينى منصب الوزارة ولما توفى هولاكو اعتلى العرش آبا قاخان فأحاط الوزير بمزيد من العناية والرعاية وترك له الإنفراد بتدبير أمور الوزارة . كما تولى علاء الدين عطا ملك شقيق الوزير شمس الدين الحكم فى ولاية بغداد بأمر السلطان آباقا ، وعمر تلك البلاد فى فترة قصيرة من الزمن وكانت قد خربت بعد قتل المستعصم ، وكان للوزير شمس الدين ولدان هما : خواجه بهاء الدين محمد وخواجه شرف الدين هارون ، وقد ولى خواجه بهاء الدين محمد فى بداية نشأته الحكم فى أصفهان ويزد فتجاوز بطشه وسطوته حدود العقل ، وسلك مع الأهالى مسلك الغلظة وكان صاحب =

كبيرة من الأقمشة والأمتعة لعطا ملك ، فالتمس هذا من الإيلخان أن يأذن له بتوزيعها على الأتباع ، فوافق على ذلك . (١)

وأثناء التفتيش على الأقمشة والأمتعة التى كان يحتفظ بها مجد الملك عثروا على بعض الأوراق وقطعة من جلد الأسد عليها تعاويذ وخطوط غير واضحة ، كتبت باللغة العبرية بالزعفران والمداد الأحمر ، مما يوهم بالسحر والشعوذة ونظراً لأن المغول يكرهون السحر - الذى يُسبّب الضرر - أشد الكراهية ، ارتاعوا كثيرا لعثورهم على هذه الأشياء ،وتركز التحقيق مع مجد الملك حول هذه المسألة ، واستدعى الكهنة والسحرة ،

= الديوان كثيراً ماينهى ولده عن التمادى فى سفك الدماء إلى أن مات هذا الأبن وهو فى الثلاثين من عمره .

وقد حيكت ضد الجوينيين الكثير من المؤامرات منها - كما رأينا - مؤامرة مجد الملك اليزدى والتى انتهت بمقتله وتقطيعه ، وكانت نهاية الوزير شمس الدين فى عهد اورغون حيث نجح الوشاة فى إقناعه بالخلاص من هذا الوزير فى عام ٦٨٣هـ.

حربى أمين سليمان (دكتور) : المؤرخ الإيرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص٣٣٧-٣٥٧ .

وكذلك : ملكة على التركى : سعدى الشيرازى وأسرة الجونيين ، القاهرة ، ١٤١٢هـ١٩٩٢/م ، ص١٨ .

(١) - رشيد الدين فضل الله همدانى : جامع التواريخ ، جلد دوم از آغاز سلطنت هلاكو خان تا پايان دوره غازان خان ، تهران ، ١٣٣٨هـ.ش ، ص ٧٨٦ .

- فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ، ص ٩٥ .

فقالوا : « تنقع هذه التعاويذ في الماء ، ويشرب مجد الملك عصارتها كي يلحق به شر هذا السحر » ، ثم أشاروا على مجد الملك بأن يقدم على هذا العمل ، ولكنه امتنع . (١)

ومهما يكن من أمر هذا الاتهام - سواء أكان حقاً أم باطلا - فإن السلطان أحمد أمر بمجازاة مجد الملك ، وكان الناس يتحرقون شوقاً للانتقام منه جزاء مؤامرته ودسائسه التي كانت كلها محض أكاذيب وأباطيل ضد أفراد أسرة الجوينيين الفضلاء فبمجرد أن سلم لهم قتلوه شر قتله ، وذلك بأن قطعوه إربا إربا ، وأرسلوا كل عضو من أعضائه إلى بلد من البلاد ، فأرسل رأسه إلى بغداد ، ويده إلى العراق وقدمه إلى فارس (٢) ، واشترى شخص لسانه بمائة دينار وحمله معه إلى تبريز . (٣)

وكان من مظاهر المبالغة في الانتقام ما حدث في عهد « أرغون » ، فقد أمر بإخراج جثة نجم الدين الأصفر - الذى كان نائبا للخواجه علاء الدين ، وكان قد توفى منذ مدة - وكانت هناك عداوة بين « أرغون » وعلاءالدين ، ومن ثم فقد قال أرغون : «إن ما تبقى فى ذمة علاء الدين ، كان من عهد أبى ، وإنى أطالب به الآن » . ثم قبض على نوابه وأتباعه ،

---

(١) - رشيد الدين فضل الله همداني : جامع التواريخ ، ص٧٨٦ .
- فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، ص١٢٦-١٢٧ .
(٢) أديب شرف الدين شيرازى : تاريخ وصاف ، ص ١٠٨-١٠٩ .
(٣) - ميرخواند (محمد بن سيد برهان الدين خواندشاه) : روضة الصفا ، جلد پنجم ، تهران ، ١٣٣٩هـ.ش ، ص٣٢٨-٣٢٩ .
- فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، ص١٢٧ .

وشرع فى مطالبتهم ومؤخذاتهم . وقد أخرجت جثة نجم الدين الأصفر من القبر وألقى بها فى الطريق. (١)

وقد استمر الإيلخانيون بعاداتهم الهمجية المبالغة فى القتل والدمار فى عهد « غازان خان » كذلك ، فبعد أن أصدر غازان للجند أمرا بمحاصرة مدينة نيسابور ، اضطر أهل المدينة إلى اللجوء إلى المسجد الجامع ، لكن الجنود سرعان ما توجهوا إلى المسجد بعد أن قاموا بنهب محلات المدينة ، وسرعان ما قاموا بعمل فتحات فى حائط المسجد ، وأخذ النساء والرجال فى الصياح طلباً للأمان ، ولم يُجد أمر غازان بالتوقف نفعاً ، ومن ثم فإنه خرج بنفسه ممتطيا صهوة جواده ، وأنزل أشد العقاب بعدة أشخاص من الجنود ، وأمر أن يعلقوا أعضاءهم على بوابات المدينة لكى يكف بقية الجند عن القتل والنهب . (٢)

وإن دلّ هذا على شيئ فإنما يدل على أن جند الإيلخانيين ما زالوا عند وحشيتهم التى درجوا عليها ، رغم اعتناقهم الدين الإسلامى ، مما يؤكد أن هذا الدين لم يكن قد استقر فى نفوسهم بعد .

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ ، تاريخ المغول ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، الإيلخانيون ، تاريخ أبناء هولاكو من آباقاخان إلى گيخاتوخان ، ترجمة محمد صادق نشأت ، والدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص٩٩ .

(٢) مجموعۀ خطابه هاى تحقيقى : غلامحسين يوسفى : أوضاع اجتماعى ايران ، تهران ، ١٣٥٠هـ.ش ، ص ٣٦٠-٣٦١ .

ومن العادات السيئة التى استمرت مع الإيلخانيين كذلك أنهم كانوا نادرا ما يوفون بالعهود ، بل كانوا يخدعون الشعوب المغلوبة بوعودهم حتى يستسلموا ، أملا فى النجاة من القتل ، ثم يُحنثون بعهودهم ويشرعون فى القتل والنهب ، كما فعل هولاكو عندما اقتحم مدينة بغداد ، وطلب من الخليفة العباسى أن يأمر جنده بالاستسلام وإلقاء السلاح ، وأن يخرج الناس أفواجاً ، وما أن نفذ المسلمون هذا الأمر حتى انقض عليهم المغول وأوسعوهم قتلا . (١)

ومثال آخر عندما حاصر هولاكو قلعة « الموت » أرسل هولاكو إلى المحاصرين منشورا يؤمنهم على حياتهم ، فنزل قائد القلعة وسلمها لهولاكو فصعد المغول إليها وكسروا المجانيق وخلعوا الأبواب ، وفى اليوم الرابع اقتحم الجنود القلعة وأعملوا فيها القتل والغارة والنهب . (٢)

كما كان من عادة الإيلخانيين اللجوء إلى الكهنة والعرافين طلباً للعلاج .

فقد كان « أرغون » يثق ثقة مطلقة فى الكيمياء والسحر ، والنجوم والشعوذة مثل أغلب سلاطين المغول وغيرهم ، ولهذا ارتفعت منزلة الكهنة البوذيين واللامات فى بلاطه ، وقد صنع هؤلاء معجوناً مركباً من

---

(١) مجموعه خطابه هاى تحقيقى : غلامحسين يوسفى : أوضاع اجتماعى ايران ، ص٣٥٩-٣٦٠ .

(٢) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، تاريخ هولاكو ، ترجمة د / فؤاد الصياد ، ص٢٥٦ .

الزئبق والكبريت والمواد الأخرى ، وأعطوا أرغون هذا الدواء من أجل إطالة العمر ، فتسبب هذا في اشتداد المرض عليه ، وإصابته بالفالج (الشلل) ، وأدى في النهاية إلى وفاته . (١)

وقد امتدت هذه العادات إلى « غازان خان » ، حيث كوى موضعين في جسده عملاً برأى أطباء الخطا (٢) ، لمداواته من مرض الرمد ، وقد تضررت بطنه بسبب الكي ، واعتراه الضعف حتى أنه لم يتماسك على صهوة جواده ، فكان يجلس في المحفة أكثر الوقت . (٣)

---

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ (الإيلخانيون أبناء هولاكو) ، الترجمة العربية ، ص ١٥٨ ، وكذلك : د/ فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، ص١٨٨ .

(٢) في النصف الأول من القرن السادس الهجري نزحت قبائل «الخطا» من موطنهم الأصلي في شمال الصين على أثر الاضطراب الذي ساد هذه المنطقة . واستقروا غرب إقليم التركستان حيث كونوا دولة في ولاية كاشغر وخُتن عرفت باسم «القراخطائيين» - ولفظ «قره» بمعنى أسود ، ويبدو أن المغول هم الذين أضافوا هذا اللفظ إلى قبائل الخطا للتعبير عن عدائهم وكراهيتهم لهم ..

وقد استطاع ملوك هذه الدولة الذين كان يلقب كل واحد منهم بلقب (كورخان) (أي: ملك الملوك) توسيع مملكتهم الجديدة شرقاً وغرباً ، حتى امتدت حدودها من صحراء جوبي إلى نهر سيحون ، ومن هضبة التبت إلى سيبريا .

فؤاد الصياد (دكتور) ، المغول في التاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ، ص ٢٩ .

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ ، تاريخ غازان ، ترجمة الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ، ص ١٨٧ .

وكان من أهم النتائج التى ترتبت على انتصار الإيلخانيين على الإيرانيين من الناحية الاجتماعية زوال الطبقة الإيرانية الحاكمة وإحلال حكام من الإيلخانيين بدلا منهم ، وكان الإيرانيون يعدونهم حكاماً كفرة ، مما ضاعف إحساسهم بالضيق .

ولم يتوقف الأمر عند زوال الأسر الإيرانية الحاكمة ، بل امتد ليشمل الإطاحة بالأسر الإيرانية العريقة ، وإحلال فئة فاسدة ممن يجيدون التملق والنفاق محلها .(١) وقد صور عطا ملك الجوينى هذا الأمر أبلغ تصوير ، عندما يقول ما ترجمته :

« فغدا كل واحد من أبناء السوق والفسوق أميرا ، وكل أجير آمرا ، وكل مزور وزيرا ، وكل مدبر أديبا ، وكل مستدفئ مستوفيا ، وكل مسرف مشرف ، وكل شيطان نائبا فى الديوان ، وكل ضعيف متصدرا ، وكل أجير رب الحرمة والجاه ، وكل فراش صاحب دور ، وكل حاف كافياً ، وكل ذى شوكة شخصاً ، وكل خسيس رئيسا ، وكل غادر قادراً ......» .

ويمضى الجوينى فيقول ما ترجمته :

« فى مثل هذا الزمان الذى حل فيه القحط محل المروءة والفتوة ، وأقبلت فيه سوق أصحاب الضلالة والجهالة ، وتمكن الأشرار والخوارون ،

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم، چاپ دوم، تهران، ١٣٥٣هـ.ش، ص ٧٧-٧٨ .

ونُكتبْ أعمال الكريم الفاضل وبررت إمكانيات اللئيم الجاهل . فهاهو ذا الحر بلازاد ، والراد مردودا ، والقريب بلا نصيب ، والحسيب بلا حساب ، وغدا كل داهية قريناً لكل داهية ، وكل محدث رهينا لحادثة ، وكل عاقل أسيرا بمصيبة ، وكلَ كامل مبتلى بنازلة ، وكل عزيز تابعا لذليل ، وكل مميز فى قبضة وضيع :

رأيت الدهر يرفع كل وغدٍ ٠٠٠ ويَخْفِضُ كل ذى شيم شريفه

كمثل البحر يغرق كل دُرَ ٠٠٠ ولا ينفك تطفو فيه جيفه

وكالميزان يخفض كل وافٍ ٠٠٠ ويرفع كل ذى زنة خفيفه، [١]

والنص يبين بصورة جلية اضطراب الأمور فى الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة ، فقد انقلبت الأوضاع ، وشاعت المفاسد بعد أن أضحى زمام الأمور فى يد السفلة والوضعاء ، وراح الناس لا يكترثون بمكارم الأخلاق أو الفضائل ، فشاع الكذب والتزوير ، والسرقة والاختلاس ، وانتشرت الرشوة بغير حدود .

وكان الأدب الفارسى مرآة صادقة لهذا العصر ، حيث بادر الأدباء والشعراء بالتعبير عن هذه الأوضاع خير تعبير ، وكان من أشد النقاد لهذه

---

(١) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم (جهانگشاى) ، ترجمة الدكتور محمد التونجى ، المجلد الأول ، حلب ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص ٥٠-٥١ .

الفترة «نظام الدين عبيد الله زاكانى» (١) الذى كان نقده مليئا بالسخرية والتهكم، ومن ثم نراه يشير إلى هذه الأوضاع السيئة بأسلوبه اللاذع فيقول ما ترجمته: «سأل أحد الأشخاص مولانا عضد الدين (٢) قائلا: «كيف أن الناس كانوا يسرفون فى الإدعاء بالألوهية والنبوة فى عهد الخلفاء ولا يفعلون ذلك الآن؟ قال: لقد ابتُلى الناس فى هذا الزمان بالظلم والجوع، فما عادوا يذكرون شيئا عن ربهم ولا عن نبيهم». (٣)

---

(١) هو نظام الدين أو (مجد الدين) عبيد الله الزاكانى القزوينى. المتخلص بـ «عبيد» وهو أحد شعراء وكتاب ايران المشهورين فى القرن الثامن الهجرى وترجع شهرته بالزاكانى لانتسابه إلى أسرة الزاكانيين وهى أحد الأفرع العربية لبنى خفاجة والتى توجهت إلى ايران بعد الإسلام واستقرت فى ضواحى قزوين.
ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم، بخش دوم، تهران، ١٣٥٢هـ.ش، ص ٩٦٣-٩٦٤.

(٢) هو مولانا عضد الدين عبد الرحمن أحمد الإيجى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ وهو من العلماء المشهورين فى قصبة ايج بفارس وكان معاصرا للشيخ أبى اسحاق اينجو وأسرة آل المظفر، والقاضى عضد الدين فقيه شافعى كان يشغل منصب القضاء وله مؤلفات كثيرة فى الفلسفة وعلم الكلام والأخلاق من أشهرها كتاب (المواقف فى علم الكلام) والذى يعد مرجعا هاما فى هذا المجال.
وله أيضا (شرح مختصر ابن الحاجب) وكذلك (الفوائد الغياثية) الذى قدمه إلى غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله الهمذانى - وكان غياث الدين قد تقلد الوزارة فى عهد أبى سعيد بهادرخان عام ٧٢٧ هـ.
زهراى خانلرى: فرهنگ ادبيات فارسى درى، تهران، ١٣٤٨هـ.ش. ص٧٧-٧٨؛ ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم، بخش اول، ص٢٢٣-٢٤٧.

(٣) «شخصى از مولانا عضد الدين پرسيد كه: چونست كه در زمان خلفا مردم دعوى خدايى وپيغمبرى بسيار مى كردند واكنون نمى كنند؟ گفت: مردم اين روزگار را چندان از ظلم وگرسنگى افتاده است كه نه از خدايشان بياد مى آيد ونه از پيغامبر!».
ذبيح الله صفا: المرجع السابق. ص ٩٦.

فهو يُشير في النص السابق صراحة إلى الظلم الذى حاق بالناس ، فجعلهم في شغل عن كل شيئ ، بل إن هذا الظلم قد ألهاهم حتى عن دينهم . ويوجه المزيد من النقد إلى المدارس التى كانت موجودة في ذلك الوقت ، وكيف أنها لا تعلم الأبناء علماً نافعاً ، وأن من يتخرج فيها لن يجد قوت يومه ، ومن ثم فإن البعد عنها والبحث عن حرفة - مهما كانت وضيعة - أفضل من الالتحاق بها ، يقول ما ترجمته :

« احتدم النقاش بين امرأة من الغجر وابنها ، فقالت له : إنك لا تقوم بأى عمل ، وتمضي عمرك في البطالة ، وكم قلت لك تعلم التشقلب في الهواء ، وقفز الكلب من العجلة ، و اللعب على الحبل لتسعد بحياتك ، وأقسم بالله إنى سألقى بك في المدرسة - إذا لم تسمع كلامى - لتتعلم علم ميراثهم ، وتصبح عالماً ، وتبقى طول عمرك في المذلة والفاقة والنحس ، ولن تتمكن من كسب حبة شعير من أى مكان » .(١)

ولا تخفى إشارته في النص السابق إلى علم الميراث كما كان يطبقه المغول والإيلخانيون - قبل عصر غازان - ولهذا نراه يتهكم بهذا العلم.

---

(١) «لوليى با پسر خود ما جرا مى كرد كه : تو هيچ كارى نمى كنى ، وعمر در بطالت بسر ميبرى ، چند باتو گويم كه معلق زدن بياموز وسگ از چنبر جهانيدن ورسنبازى تعلم كن ، تا از عمر خود برخوردار شوى ، اگر از من نمى شنوى بخدا ترا در مدرسه اندازم تا آن علم مرده ريگ ايشان بياموزى ودانشمند شوى وتازنده باشى در مذلت وفلاكت وادبار بمانى ، ويك جو از هيچ جا حاصل نتوانى كرد»

ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، ص ٩٦ .

وفي النص التالي يعبر بسخرية شديدة عن صورة الظلم التي عمت البلاد في ذلك الوقت ، وكيف تُسلب من الناس ممتلكاتهم دون أن يكون للمرء قدرة على منازلتهم، أو حتى مجرد الاعتراض على ذلك الظلم ، يقول ما ترجمته :

« ذهب أحد دهاقين [١] إصفهان إلى بوّابة قصر الخواجه بهاء الدين صاحب الديوان ، وقال للحارس : خبر سيدك أن الرب جالس بالخارج ويرغب في لقائك . فأخبر الحارس سيده ، فأمر بإحضاره ، وعندما دخل الدهقان سأله - الخواجه - أأنت رب؟ قال : بلى . فقال : كيف ؟! قال : لقد كنت قبل ذلك رب القرية ، ورب البستان ، ورب الدار ، فسلب نوابك القرية والبستان والدار مني ظلما ، وبقي الرب !! » . [٢]

وإذا كنا قد وجدنا هذا النقد الساخر لعبيد الزاكاني نثراً ، فقد عبر

---

(١) الدهاقين جمع دهقان وهو العمدة أو سيد القرية .
إبراهيم
الدسوقي شتا (دكتور) : المعجم الفارسي الكبير ، المجلد الأول ، القاهرة، ١٤١٢هـ./ ١٩٩٢م، ص ١٢٦٦ .

(٢) «دهقاني در اصفهان بدرخانهء خواجه بهاء الدين صاحب ديوان رفت ، باخواجه سرا گفت كه : باخواجه بگوى كه خدا بيرون نشسته است وباتو كارى دارد، باخواجه گفت : باحضار او اشارت كرد، چون در آمد پرسيد كه تو خدايى ؟ گفت : آرى ، گفت : چگونه ؟ گفت : حال آنكه من پيش ده خدا وخانه خدا وباغ خدا بودم ، نواب تو ده وباغ وخانه از من بظلم بستدند، خدا ماند» .
ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، ص ٩٦-٩٧ .

سيف الدين محمد الفرغاني[١] - شاعر القرنين السابع والثامن - عن هذه الأوضاع السيئة شعراً ، يقول ما ترجمته :

- أىَ خلل أصاب السعد بكل عمارة ، وأىَ قران للنحس بكل خراب ،
- لقد جرى دم الأحبة كالماء على سطح الأرض التى هى موطئ قدمى وقدمك ،
- ولكى تمتلئ بطن الآدمى امتلاء اللحد ، فإن ظهر الأرض أصبح بأكمله فماً كالقبر ،
- وما عاد هذا الجسد الشريد يذهب لأى مكان ، طلباً للأمان ، فإن الخوف لم يسكن فيه ، وإنما سكن بأعماق روحه ،[٢]

---

(١) سيف الفرغانى : هو مولانا سيف الدين أبو الحامد محمد الفرغانى ، من أشهر شعراء القرنين السابع والثامن الهجرى ، وتاريخ ولادته غير معروف ولكننا نستنتج من أشعاره أن ولادته كانت فى السنوات الأولى من القرن السابع الهجرى. وكان سيف الدين سنياً على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان ، وكان من أهم مايميز الفرغانى هو نصائحه البليغة فيما يخص أوضاع العالم المتردية فى عهده ، وأيضاً امتناعه عن مدح الأمراء الظالمين والحكام الفاسدين ، وقد توفى هذا العالم الشاعر الصوفى فى إحدى الخانقاهات الصغيرة فى (آقسرا).
ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم ، بخش اول ، ص٣٢٦-٣٢٧ .

(٢)

بهر عمارت سعود را چه خلل شد	بهر خرابى نحوس را چه قران بود
بر سرخاكى كه پايگاه من وتست	خون عزيزان بسان آب روان بود
تا كند از آدمى شكم چو لحد پر	پشت زمين همچو گور جمله دهان بود
اين تن آواره هيچ جاى نمى رفت	بهر امان ، كاندرو نه خوف بجان بود

ذبيح الله صفا : المرجع السابق ، ص٨٥ .

- ولقد فر ماء الحياة من أرواح الناس ، وهبّت عليهم رياح الفناء من مهبّ القهر ؛
- وعشّش الظلم كالخطاف بكل دار ، وتوارى العدل عن أعين الخلائق كالعنقاء ،
- وشُجّت رأس الإسلام ، فقد صارت دولة الدين عجوزا ، وحظ الكفر يانع الشباب ،
- وتسلط على الولاية أناسٌ حمقى لادين لهم ، فكيف يكون حال الحمل عندما يكون الذئب راعيه ،
- فكل من يقرأ الكتب لا يجد قوت يومه ، أما المنافق فيأكل أملاك السلاطين ،
- وأضحى الذهب والدراهم بحوزة كل خسيس يلازمه كالذباب ، وأضحى الدرّ والجواهر حليا للحمير كالأجراس ،
- فأنا (أحيا) في الزمن الذى يصبح فيه أسوأ الناس إماما لأهل العصر في ممالك الدنيا . (١)

---

(١) آب بقا از روان خلق گريزان — باد فنا از مهب قهر وزان بود
ظلم بهر خانه لانه كرده چو خطاف — عدل چو عنقا زچشم خلق نهان بود
رايت اسلام سر شكسته از يرا — دولت دين پير وبخت كفر جوان بود
مردم بى عقل ودين گرفته ولايت — حال برّه چون بود چو گرگ شبان بود
قوت شبانه نيافت هر كه كتب خواند — ملك سلاطين بخورد هر كه عوان بود
زر ودرم چون مگس ملازم هر خس — درّ وگوهر چون جرس حلى خران بود
من بزمانى كه در ممالك گيتى — هر كه بتر پيشواى اهل زمان بود

ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، ص ٨٥-٨٦ .

كان هذا حال إيران في عهد الإيلخانيين ، قبل أن يعتلي غازان العرش، فلما آل إليه أمر البلاد ساءه ذلك الوضع وأصدر أوامره بالإصلاح في شتى المجالات .

وكان اعتناق غازان الدين الإسلامي عن إيمان وإخلاص دافعاً له على القيام بضروب من النظم والإصلاحات ، تناولت كافة الشئون فوضع غازان القواعد والقوانين وألغى الآداب والرسوم التي كان معمولاً بها من قبل وكانت سبباً فيما شاع من تلاعب وإهمال وفساد مما لا يتفق مع قواعد العدل والنظام ولا يقوم على أساس الشرع والدين .

فحرص غازان على تنقية المجتمع من كل الشوائب التي كانت تحول دون تقدمه وانطلاقه وإزالة العوائق التي كانت تعرض حياة الناس وأمنهم للخطر ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى أن ينصرف الناس إلى أعمالهم في هدوء واطمئنان .

وسوف يقتصر حديثي في هذا الفصل على الإصلاحات الاجتماعية أما بقية الإصلاحات فستأتي فيما يناسبها من فصول ، وكان من أهم إصلاحات غازان الاجتماعية :

- تأمين الناس على حياتهم وأموالهم ضد غارات اللصوص وقطاع الطرق ، الذين كانوا يشنون غاراتهم على قوافل التجار والمشاة والمارة ويسلبونهم أمتعتهم ، بل ويتخلصون منهم بالقتل ، وكان اللصوص يتفقون مع حراس الطريق مما زاد في جرأتهم وإجرامهم ، بل إن الأهالي

كانوا يعرفون حقيقتهم ولا يحاولون إفشاء سرهم خشية بطشهم وانتقامهم .

فأصدر غازان جملة من القرارات الكفيلة بالقضاء على هذه الفئة قضاء مبرماً وصرح بأن كل شخص من المسئولين يتواطأ مع هؤلاء اللصوص أو يبدى تهاوناً فى القبض عليهم يعد مجرما يستحق العقاب الرادع . (١)

وقد اهتم غازان خان بالأسرة اهتماما عظيما واتخذ لتدعيمها وسائل اقتصادية ترمى إلى زيادة دخلها ورفع مستوى أفرادها الاجتماعى ، ولكنه لم ينس فى الوقت نفسه - متأثراً بالإسلام - العمل على تلافى تفكك الأسرة وذلك بالحض على تقليل مؤخر الصداق وجعل حده الأقصى تسعة عشر ديناراً ونصف دينار لأنه كما قال : «إذا روعيت بين الزوجة والزوج طرق المحبة والوفاق فإنه لا يستطيع مخلوق ما أن يفصلهما الواحد عن الآخر مطلقا ولا يمنع شيئ ما أحدهما عن الآخر ... وعندما يكون مؤخر الصداق كبيراً لا يستطيع الزوج أن يطلق الزوجة خوفاً من طلب المال مما يؤدى إلى الغيظ والغضب وقيام الخصام . (٢)

وكذلك شمل غازان بعطفه الفئات المغلوبة على أمرها من الغلمان والجوارى والأطفال الذين يكلفون بنقل الماء وتنكسر أوانيهم والكيزان

---

(١) فؤاد عبدالمعطى الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، ص ٣٣١ .

(٢) مصطفى طه بدر (دكتور) : مغول ايران بين المسيحية والإسلام، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤٤-٤٥ .

التى يحملونها أثناء نقل الماء إلى المنازل ويخشون عقاب ساداتهم فإن المتولى يعوضهم عنها أوانى جديدة وذلك بعد أن يتحرى الدقة . (١)

ومن الإصلاحات الهامة لغازان والتى كانت لها أكبر الآثار على الرعية أنه أصدر أمراً هاماً يقضى بألا يدخل الأمراء والشحنه (٢) والرسل إلى بيت إلا باستئذان وموافقة ورضا صاحبه . (٣) وذلك على عكس ما كان يحدث من قبل كما أنه أصدر أمراً بألا يقيم أحد من الجيش أو رسل البريد أو جباة الضرائب وموظفى الدولة فى بيوت الرعية حيث ينتج عن إقامتهم سوء سلوكهم مع الرعية . (٤)

كما أنه أمر رسل البريد ألا يستخدموا خيل الرعايا كما كان يحدث من قبل لأنهم كانوا يظلمون الرعية بذلك . (٥)

ومن العادات المذمومة المستهجنة التى قضى عليها غازان هى سلوك جماعة أرباب الحرف الصغيرة من الحمالين والجمالين وغيرهم من حراس

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ص٥٥٠ .

(٢) الشحنه : هو رئيس الشرطة ، وسنتحدث عنه بالتفصيل فى الفصل القادم.

(٣) عبد المحمد آيتى : تحرير تاريخ وصاف ، ص ٢٣٣ .

(٤) ج.آ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تا فروپاشى دولت ايلخانان، جلد پنجم ، ترجمهٔ حسن انوشه، تهران، ١٣٧٩هـ.ش، ص٤٦٧ .

(5) Howorth H.H : History of the Mongols, P.III, London, 1878, pp.511.

الكلاب ومروضى الحيوان إذ كانوا يضايقون الناس لا سيما ذوى اليسر والوجاهة منهم ويطالبونهم بدفع مبالغ لهم للاستعانة بها على معيشتهم وكان هذا يتخذ طابع الإلحاح والإجبار والغلظة وإذا امتنع الأثرياء عن الدفع كانوا يتعرضون للسب والإهانة وقد يصل الأمر إلى الضرب ، فأمر غازان بأن ينادى فى الأسواق والأماكن العامة أنه محظور على أى شخص أن يعطى نقوداً لمن ينتمى إلى هذه الجماعة وإذا سمع أن شخصاً اغتصب نقودا من أحد السكان فإن على المسئولين أن يستعيدوها منه بضرب الهراوات وتوقيع العقوبات . وبذلك تخلص الناس من متاعب المفسدين والمعتدين والأشقياء . (١)

---

(١) فؤاد عبدالمعطى الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، ص ٣٣١ .



الفصل الثانى

الإدارة

الفصل الثانى

الإدارة

لم يعرف بلاط جنكيزخان الجوانب الإدارية التى تصادفنا أيام الإيلخانيين ، ولكن جنكيز أوجد بعض المناصب فى بلاطه ، أشارت المصادر إلى طبيعة عمل هذه المناصب دون أن تذكر اسم كل منصب ، ومن بينها على سبيل المثال :

- أربعة رجال وظيفتهم حمل القسى والسهام.
- أربعة مشرفين على الطعام والشراب .
- مشرف على رعى الماشية .
- مشرف على تجهيز العربات .
- مشرفان على تدريب الخيول .
- ثلا ثة مشرفين على قطعان الخيل فى المراعى .....

أما حرس جنكيزخان فكان على النحو التالى :

- سبعون رجلاً للحراسة النهارية ، وثمانون رجلا للحراسة الليلية .

وقد تم إعداد ألف رجل من الشجعان « بهادور » ليكونوا حرساً شخصياً للخان ، وكانت هذه المجموعة تشكل طليعة الحرس وقت القتال ، كما تشكل قسما من حرس البلاط وقت السلم ، وكان عسس الحرس يستبدلون كل ثلاثة أيام وأخذت أعداد الحراسة فى الزيادة بعد ذلك .

أما الجيش فكان يضم على رأسه قادة العشرة والمائة والألف والتومان، وكان التومان يضم عشرة ألف مقاتل . (١)

ومثلما كانت سلطة الحاكم المغولي مطلقة « كانت سلطة الحاكم الإيلخاني غير محدودة ، تتضمن حق الحياة والموت على رعاياه ، ومن بينهم الأمراء المغول والوزراء وبقية أفراد الرعية من الشعوب المحكومة ، وكان القتل مصير أكثر من يشك في ولائهم ، ولم تكن للرعية حقوق بل واجبات ، أهمها الطاعة ودفع الضرائب بمختلف أنواعها » .(٢)

ونبدأ حديثنا عن أوضاع الدولة في عهد الإيلخانيين بالحديث عن الحاكم :

الحاكم :

كان خلفاء هولاكو يشكلون الأسرة الوحيدة التي ورثت الحكم في إيران حتى سنة ٧٣٦ هـ . وما كان بوسع الحكام أنفسهم أن يعينوا أفرادا من خارج الأسرة الحاكمة خلفاً لهم ، ومن ثم فلم يكن عجيبا أن نرى الصراع يحتدم على أشده بين أفراد الأسرة الحاكمة عندما اعتنق « أحمد

---

(١) ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش بارتولد : تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٤٠١هـ١٩٨١/م، ص٥٤٦-٥٤٨ .

(٢) جعفر حسين خصباك : العراق في عهد الإيلخانيين (الفتح - الإدارة - الأحوال الاقتصادية ، الأحوال الاجتماعية) ، بغداد ، ١٩٦٨م، ص ٨١ .

تكودار» الإسلام ، فقد رأوا فى سياسته خطراً يهدد كيانهم ، فاتحدوا ضده للخلاص منه .[١]

انتخاب الحاكم :

كان المتبع عند المغول أن يخلف الابن الأكبر أباه فى الحكم ، إلا أن هذه القاعدة لم تكن مضطردة عندهم ، حيث كان الحاكم يوصى - فى بعض الأحيان - بتحديد من يخلفه - حيث أوصى «هولاكو» أن يخلفه ابنه «أباقا» فى الحكم ، وقد حاول «يشموت» - أخو هولاكو - الوصول إلى الحكم مخالفاً بذلك وصية أبيه إلا أن بقية إخوته قالوا لآباقا :

« إننا عبيدك ، ونعتبرك قائم مقام أبينا » فأجاب آباقا خان : « إن السيد هو قوبيلاى قاآن ، فكيف يتسنى الجلوس دون أمره ؟ » فقال الأمراء : « إنك سيد لكافة الأنجال ، وتعرف جيدا الرسوم والقوانين والأحكام القديمة والحديثة ، وقد اختارك هولاكو فى حياته ولياً للعهد ، فكيف يجلس غيرك على العرش ؟» .

وقد استقر رأى القوريلتاى [٢] فى النهاية على اختيار آباقا ،

---

(١) أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله شيرازى : وصاف الحضرة : تاريخ وصاف، ص ١٢٥ .

(٢) القوريلتاى : هو السلطة العليا فى الامبراطورية المغولية ، أو بمعنى آخر هو الاجتماع العام للمغول ويجب أن يحضره الصغير والكبير ، من ذوى المسئولية فى دول المغول وعقاب من يتخلف عنه الموت ، إلا بعذر مقبول وقاهر ، وكان =

وأجلسوه على العرش حيث حدد لهم نصير الدين الطوسى [١] ساعة السعد المناسبة لجلوسه حسبما أشار عليه الطالع . [٢]

وفى بعض الأحيان كان لسرعة مجئ أحد المرشحين إلى مقر «القوريلتاى» تأثير كبير فى انتخابه ، فعندما بادر «كيخاتو» بالمجئ إلى القوريلتاى قبل غيره من المرشحين دفع الأعضاء إلى التصويت لصالحه .[٣]

= من اختصاصه انتخاب الحاكم الجديد للمغول .
سعد بن محمد حذيفة الغامدى : المجتمع المغولى ضوابطه وقوانينه وأقوال جنگيزخان وحكمه الياسا والبيليك ، الرياض ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(١) نصير الدين الطوسى : ولد سنة ٥٩٧هـ ، ويعد أكبر المشتغلين بالعلوم العقلية بعد ابن سينا ، واشتهر خاصة بالاشتغال بالفلك ، وله مؤلفات عديدة فى مختلف فروع العلوم والآداب . وقد قدر لهذا العالم أن يقوم بإنقاذ التراث الإسلامى من أيدى المغول ، فقد التحق بخدمة هولاكو وابنه آباقا فى إيران والعراق وصار موضع ثقة ومحل الاعتماد وقد فوض إليه الإشراف على الأوقاف الإسلامية فى كل أنحاء البلاد فقام بضبطها وصرفها على إقامة المدارس والمعاهد العلمية ، وتوفى سنة ٦٧٢هـ.
فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ، ص ٣٥، حاشية .

(٢) رشيد الدين فضل الله الهمدانى : جامع التواريخ (تاريخ المغول ، المجلد الثانى، الجزء الثانى) ، تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلى گيخاتو خان، ص١٠-١١ .

(٣) غياث الدين محمد بن همام خواندمير : حبيب السير فى أخبار أفراد البشر ، جلد سوم، تهران، ١٣٥٣هـ.ش، ص ١٣٥ .

وكان القوريلتاى ينعقد لاختيار الحاكم الجديد رغم معرفتهم بالنتيجة سلفاً ، ويبدو أن سبب انعقاده يرجع إلى الحفاظ على الجانب الشكلى إلى جانب الالتزام الداخلى والاقتناع بالقواعد التى وضعها جنكيزخان .

الانتخاب والبيعة :

كان الانتخاب يجرى فى خيمة تتسع لأكثر من ألفى شخص ممن لهم حق الانتخاب ، وكان هؤلاء الأعضاء يرتدون ثيابا ملونةً فاخرة طوال أيام المراسم الأربعة . وكانت هذه الخيمة تحاط بسورٍ له بوابتان تختص إحداهما بالحاكم ، وتختص الأخرى ببقية أعضاء القوريلتاى . وكانت الخيمة تراقب بعناية شديدة بحيث يُعاقب من يدخلها ممن لا حق لهم فى الدخول ، أما عامة المغول فكانوا يقفون خارج هذه الخيمة انتظاراً للنتيجة . (١)

ولم يكن للقوريلتاى مكان ثابت لانعقاده ، فكان العظماء يجتمعون - أحياناً - فى المكان الذى مات فيه الحاكم ، أو يجتمعون فى عاصمة ملكهم « تبريز » ، أو يجتمعون فى المكان الذى حقق فيه حاكمهم نصراً .

وكانت المراسم تنتهى ببيعة الخان الجديد فور انتخابه . ولما كان المغول وثنيين . فإنهم كانوا يجعلون هذه المراسم فى صورة عيد دينى ، وقد

---

(١) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

ظل هذا العيد باقيا كذلك زمن الإيلخانيين . (١)

وكان للبيعة طقوس خاصة ، فكان العظماء يرفعون قلانسهم ، ويفكون أحزمتهم ويضعونها على أكتافهم ، ويتعاملون مع الحاكم الجديد باحترام شديد ويُمسك المقربون منه بيديه ، ويجلسونه على العرش ، ويناوله أحد الأمراء كأس التهنئة ، ثم يعمدون إلى اللهو .

فنرى رشيد الدين يقول في جلوس ارغون :-

« وبعد أن أختار المنجمون الطالع المسعود من برج القوس ، أخذ (هولاجو) بيد اورغون اليمنى وأخذ (أنبارجي) بيده اليسرى وأجلساه على العرش وطوق الجميع أعناقهم بالأحزمة حسب العادات المتبعة ، ثم ركعوا له وتناولوا الكئوس وعمدوا إلى اللهو والشراب وبعد أن فرغوا من الاحتفالات والأفراح بادر الملك بإرسال المراسيم الملكية إلى أطراف الممالك بقصد استمالة الرعبة حتى هدأ العالم المضطرب ثم شمل الأمراء بعطفه البالغ وطيب خاطرهم بالوعود الحسنة » . (٢)

وتستمر مراسم أعياد الجلوس بعد ذلك ثلاثة أيام ، ويشرع الخان

---

(١) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٦٥ .

(٢) رشيد الدين فضل الله الهمداني : جامع التواريخ (تاريخ جنگيز خان من اوگتاى إلى تيمور قا آن) ، نقله عن الفارسية الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٣٠ ؛ وكذلك : جامع التواريخ (من آباقا إلى گيخاتو خان) ، ص ٩٢ ، ص١٢٦ .

الجديد في استقبال الضيوف بنفسه ، ويجود عليهم بالنقود والهدايا الكثيرة . فكان قسم كبير من أموال خزانة الدولة يتبدد عادة في مثل هذه المناسبات . وقد استمرت هذه المراسم أيام الإيلخانيين كذلك . (١)

علاقة الإيلخانيين « بالقآن » :

كان الإيلخانيون يحكمون إيران وما جاورها بلقب « ممثل القآن » ومن ثم فلا غرابة أن نرى هولاكو ينقش على السكة اسم « منكو » (٢) ، ويقوم بتسليمه خُمس الغنائم التي يستولي عليها في الحروب . (٣)

---

(١) رشيد الدين فضل الله : (جامع التواريخ) من آباقا إلى گيخاتو ، ص ٩٣ ؛ وكذلك : غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطى ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، ١٩٥٨م، ص ٥٠٥ .

(٢) منكو قا آن : هو منكو بن تولى خان بن جنگيزخان ، كان خان المغول منذ ربيع الأول سنة ٦٤٨ هـ وكان يتصف بالعدل والإنصاف ، وكان يقف إلى جوار المسلمين ويقدم مشايخهم وعلماءهم على سائر الأديان الأخرى وهو الذى أرسل أخويه قوبيلاى قا آن إلى الشرق وهولاكو إلى الغرب لفتح العالم، ويذكر صاحب تاريخ گزيده أن وفاته كانت سنة ٦٥٧هـ.
يحيى بن عبد اللطيف الحسين القزوينى : لب التواريخ ، تهران ، ١٣١٥هـ.ش، ص١٣٩ .

(٣) أبو العباس أحمد القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، الجزء الرابع، القاهرة ، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، ص ٤١٩ ؛ وكذلك : فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، ص ٢٨ .

وما كان بوسع الإيلخان أن يعتلى العرش قبل وصول رسالة تأييد من « القاآن » بالموافقة على جلوسه . وظل هذا الأمر ساريا حتى موت قوبيلاى[1] سنة ٦٩٣هـ ، فلم يجلس آباقا على العرش - بصفة رسمية - إلى أن جاءت رسالة من الصين بالموافقة عليه .[2] فأرسل آباقا إلى القاآن كثيرا من الهدايا ، كما أرسل مع مندوبى القاآن رسولا من طرفه ، ظل مرافقا لمن حملوا الرسالة حتى بلاط القاآن .

ومما يدل على احترام الإيلخانيين للقاآن ، ونظرتهم إليه نظرة المسئول عنهم ، أن « أورغون » شكا إلى القاآن من « أحمد تكودار » لتركه دين آبائه ، واعتناقه الإسلام ، فغضب قوبيلاى بشدة من هذا الأمر .[3]

ولم يجلس « أرغون » على العرش إلا بعد أن وصلته رسالة تأييد من «القاآن» فى ٢٧ ذى الحجة سنو ٦٨٤هـ ، فاعتلى بعدها عرش الإيلخانيين فى صفر سنة ٦٨٥ هـ بصفة رسمية .

---

(١) قوبيلاى قا آن : هو قوبيلاى بن تولى بن جنگيز خان أخو منگو قا آن ، وكانت فترة حكمه من ٦٥٨هـ وحتى ٦٩٣هـ وهو الخان الأعظم للمغول وكان متأثراً بالروح الصينية وحضارتهم ، واتخذ عاصمته هناك «قراقروم» وقام بإصلاحات كثيرة خلدت اسمه على الدهر ، وقد اتخذ الرحالة «ماركو پولو» مستشاراً له وعهد إليه بالقيام ببعض الأعمال الهامة وكان يرسله فى كثير من سفاراته .
فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ، ص٣٤ ، حاشية.

(٢) رشيد الدين الدين فضل الله : جامع التواريخ (من آباقا إلى گيخاتوخان) ، ص١١ .

(٣) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٦٩ .

وكان يوجد بإيران ممثل دائم للقآن هو « جينك سانك پولاد » وظل قائما بعمله إلى أن مات . (١)

فلما اعتلى غازان العرش انقطعت علاقة الإيلخانيين بالقآن ، فقد مات قوبيلاى قآن « عم غازان الكبير سنة ٦٩٣ هـ ، فأمر غازان أن تنقش عبارة « تنگرى كوچوندور » فوق السكة ، ومعناها « با تأييدات خداوند متعال » يعني : « بتأييد من الله المتعال » ، وكان سابقوه يكتبون عبارة : «قآن العظيم» . وهذا يدل على نزعة غازان الاستقلالية عن القآن . (٢)

ألقاب الحكام :

أما بالنسبة للألقاب فقد لقب « تموجين » بلقب « چنكيزخان » .(٣)

وكان هذا اللقب يعني « الخان الأعظم » (٤) . ثم لقب خلفاؤه أنفسهم بلقب «قآن » ، وهي تعلو في معناها لقب الخان .

ولم تكن ألقاب حكام إيران تمضي على وتيرة واحدة ، فقد لقب

---

(١) شيرين بيانى : هشت مقاله در زمينهء تاريخ ، انتشارات توس، ١٣٥٢هـ.ش. ؛ وكذلك حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ رشيدى، تهران ، ١٣٥٠هـ.ش، ص٤١ حاشية (٢) .

(٢) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٧٠ .

(٣) پل پليو : تاريخ سرى مغولان ، ترجمهء شيرين بيانى ، تهران ، ١٣٥٠هش.ش، ص٥٤ .

(٤) اى . پ پطروشفسكى (وآخرون) : تاريخ ايران از دوران باستان تا پايان سدهء هيجدهم ميلادى ، ترجمهء كريم كشاورز ، تهران، ١٣٥٤هـ.ش، ص٣٢١ .

هولاكو نفسه - فى عهد منكو - بلقب « خان » (١) ، ثم لقب نفسه - فى عهد قوبيلاى - بلقب « الإيلخان المعظم » .

وقام « أباقا » بنقش لقب عمه وحده - أول الأمر - على وجه السكة، وهو « قاآن العادل » ، ثم أضاف إليه بعد فترة كلمة « الإيلخان » .

وظل حكام الإيلخانيين ينقشون هذا اللقب بعده على السكة حتى سنة ٦٩٤ هـ وكان هذا اللقب يتم نقشه على العملة فى عهد « گيخاتو » و « بايدو » ، ولكنه كان يكتب بالخط المغولى . (٢)

أما « غازان » فقد لقب نفسه - لأول مرة - بلقب « قاآن » ، وبهذا الشكل اتضحت فكرة استقلاله ، حيث كان ينقش على بعض سكته لقب « السلطان الأعظم غازان سلطان محمود » وكان يضيف إليها عبارة « به تأييد خدواند متعال » . (٣)

---

(١) يعتبر لقب الخان أقل من لقب «خاقان» وقد تلقب رؤساء الأراضى الأميرية المغولية الذين تفرعوا من أسرة جنگيزخان بلقب خان وكانوا يخضعون - وإن كان بصفة اسمية على أقل تقدير - للرئيس المغولى الأعلى المتربع على العرش المغولى فى عاصمتهم قراقروم فى منغوليا والذى كان يحمل لقب «خاقان».
ب. يا. فلاديميرتسوف : حياة جنگيزخان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ترجمه من الروسية إلى الإنجليزية د.س. ميرسكى ، وترجمه إلى العربية سعد الغامدى، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٧ .

(٢) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٧٣ .

(٣) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٧١ ؛ وكذلك : فؤاد الصياد (دكتور) الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، ص ٢٥٩ .

وقد أحجم أبو سعيد عن استعمال الألقاب المفصلة ، ولقب نفسه بلقب « السلطان الأعظم أبو سعيد بهادرخان » ثم اختار لنفسه اسم «بهادرخان» سنة ٧١٧ هـ وبعد سنة ٧٣٥ هـ اختار الحكام لقب «السلطان» بغير إضافات . (١)

صاحب الديوان « وزير الممالك » :

وتندرج وظيفة « صاحب الديوان » في أهميتها بعد الحاكم عند الإيلخانيين ، وكان يطلق على شاغلها كذلك لقب « وزير الممالك » . (٢)

ولما كان « صاحب الديوان » أو « وزير الممالك » هذا يمثل الحاكم ، فقد لقبوه بلقب « النائب » ، وكان يرأس الديوان الكبير (٣) ، وكان يسند إليه « أمر متحصلات البلاد ودخلها وخرجها ، وإليه يرجع أمر كل ذي قلم ومنصب شرعي ، وله التصرف المطلق في الولاية ، والعزل والعطاء والمنع ، لا يشاور السلطان إلا في حل الأمور » .(٤)

وكانت إدارة الأمور المالية تُفصَل - في بعض الأحيان - عن وظيفة

---

(١) ميرخواند (محمد بن سيد برهان الدين خواندشاه) : روضة الصفا ، جلد پنجم ، تهران ، ١٣٣٩هـ.ش ، ص ٤٩٧ .
(٢) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٨٣ .
(٣) وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص٣٢٧ ، ٣٤٧ .
(٤) جعفر حسين خصباك : العراق في عهد المغول الإيلخانيين ، ص ٦٥ .

«وزير الممالك» ، كما حدث بين « رشيد الدين » و « سعد الدين » فى عهد «غازان» .

فقد اختار غازان خان رشيد الدين فضل الله الهمذانى ليتقلد منصب الوزارة وذلك فى عام ٦٩٧ هـ . إلا أن غازان رأى ألا يترك رشيد الدين وحده فى الوزارة فأشرك معه رجلا من أهل « ساوة » اسمه « سعد الدين محمد الساوجى » وحينما يذكر الوزيران كان يتقدم اسم رشيد الدين دائما ويقرر المؤرخ حمد الله مستوفى القزوينى فى سياق حديثه عن تنصيب الوزيرين أن كل الأعمال كانت تبرم بناء على أمر رشيد الدين (١) واستمر الوضع على نفس المنوال حتى عهد اوجايتو حيث عهد بالوزارة إلى الخواجه رشيد الدين فضل الله الهمذانى والخواجه سعد الدين محمد الساوجى وطلب إليهما الاستمرار فى تصريف شئون الدولة على أن تكون الصدارة لرشيد الدين كما كان الحال فى عهد أخيه غازان . (٢)

وكان من بين وزراء الإيلخانيين من تمتعوا بنفوذ لا حدود له ، حيث ترك لهم الحكام زمام أمور الدولة فى أيديهم ، كما حدث فى عهد « بُغا » وزير « أرغون » . (٣)

---

(١) حمد الله بن أبي بكر أحمد بن نصر مستوفى قزوينى : تاريخ گزيده، جلد دوم، لندن، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، ص ٥٩٣ .

(٢) فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، ص ٢٨٧-٢٨٨، ص٣٤٩ .

(٣) ميرخواند : روضة الصفا، جلد پنجم، ص ٣٥٤-٣٥٥ .

ورغم ما تمتع بـه هؤلاء الوزراء من نفوذ ، فإن الشئ اللافت للنظر أن جميع الوزراء في عهـد الدولة الإيلخانية قد قتلوا ، ولم ينج من القتل إلا «تاج الدين عليشاه» ، والذى توفى سنة ٧٢٤ هـ . (١)

رئيس كتاب الديوان :

استطاع جنكيز خان - بمساعدة مستشاريه من الأويغور والصين - أن يؤسس «داراً للإنشاء» لإدارة أمور الدولة ، تكون مهمتها تدوين القوانين وإصدار الوثائق المختلفة .

وقد قُسمت دار الإنشاء إلى عدة أقسام وفقاً لعدد اللغات الرسمية في البلاط من مغولية وفارسية وأويغورية وغيرها من اللغات . (٢)

وكان المشرف على هذه الدار يعرف باسم « رئيس كتاب الديوان » وهي وظيفة تأتي بعد صاحب الديوان في أهميتها ، لأن رئيس الكتاب يكون مطلعا على أسرار إدارة صاحب الديوان ، ومن ثم فإن أى تغيير يطرأ على صاحب الديوان يجر معه رئيس كتابه كذلك . (٣)

وكانت الوثائق تستهل أيام « قاآنات » المغول بعبارة « باتأييدات

---

(١) فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : مؤرخ المغول الكبير (رشيد الدين فضل الله الهمذاني) ، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص١٢٣ .

(٢) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٩٠ .

(٣) جعفر حسين خصباك : العراق في عهد المغول الإيلخانيين، ص٦٩-٧٠ .

خداوند جاودان» ، أما حكام الإيلخانيين المسلمين (١) فاستهلوها بالبسملة .

وكانت هناك طريقة مختصرة في الكتابة ، بحيث يُذكر اسم مرسل الوثيقة ، واسم المرسل إليه ، وكان المخاطب يرد في المتن على سبيل المفرد الغائب . (٢)

ولقد أمر غازان أن تختم الوثائق والرسائل الخاصة بالسلاطين والأمراء ، وكذلك الأمور الهامة الأخرى في الدولة بالخاتم الكبير ، أما

---

(١) الحكام الإيلخانيين من غير المسلمين هم :

- هولاكو خان ٦٥٤هـ - ٦٦٣هـ = ١٢٥٦م - ١٢٦٤م
- آباقا آن ٦٦٣هـ - ٦٨٠هـ = ١٢٦٤م - ١٢٨١م
- ارغون خان ٦٨٣هـ - ٦٩٠هـ = ١٢٨٤م - ١٢٩١م
- كيخاتو خان ٦٩٠هـ - ٦٩٤هـ = ١٢٩١م - ١٢٩٤م
- بايدو خان ٦٩٤هـ - ٦٩٤هـ = ١٢٩٤م - ١٢٩٤م

أما الحكام الإيلخانيين المسلمين هم :

- أحمد تگودار ٦٨١هـ - ٦٨٣هـ = ١٢٨٢م - ١٢٨٤م
- محمود غازان ٦٩٤هـ - ٧٠٣هـ = ١٢٦٤م - ١٣٠٣م
- محمد خدابنده ٧٠٣هـ - ٧١٦هـ = ١٣٠٣م - ١٣١٦م
- أبو سعيد بهادرخان ٧١٦هـ - ٧٣٦هـ = ١٣١٦م - ١٣٣٥م

وتعاقب على الحكم عدد من الحكام المسلمين منذ عام ٧٣٦هـ - ٧٥٦هـ = ١٣٣٥م - ١٣٥٥م وكان أخرهم أنوشروان العادل .

فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، ص٥٧٣ .

(٢) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٩١ .

الوثائق ورسائل القضاة والأئمة والشيوخ وغيرهم فتختم بالخاتم الصغير ، وكان كلا الخاتمين يصنع من حجر « اليشم » كما كان هناك خاتم من الذهب تختم به الوثائق الأقل أهميـة ، وخاتما آخر من الذهب تختم به الوثائق العسكرية ، وكانوا يستخدمون خاتما صغيرا من الذهب لأمور الخزانة – أما خاتم الدولة فكان قبل غازان مستطيل الشكل ، فأمر غازان بجعله مستديرا ، فترة من الزمن . (١)

مشرف الممالك :

كان الإشراف على الممالك منصبا غاية في الأهمية ، حيث كان يتم اختيار صاحبه من قبل الحاكم ، وكانت مهمته التحقيق في الأمور العامة .

ومما يدل على رفعة شأن هذه الوظيفة ما كتبه رشيد الدين لابنه مجدالدين عندما اختاره « اولجايتو » لهذه الوظيفة ، حيث يقول له إن الإيلخان قد أمر بإلحاقه بمنصب رفيع يعد « أعلى المناصب والمناقب لأرباب الدولة » ، فسوف يسند إليه منصب « الإشراف على ممالك إيران » . (٢)

ولعل من أسباب تأكيد الإيلخانيين على هذه الوظيفة رغبتهم في السيطرة على امبراطوريتهم المترامية الأطراف ، للمحافظة عليها من

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمداني : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ترجمة الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ، ص٣٣٠ .

(٢) هاشم رجب زاده (دكتر) آئين كشورداري در عهد وزارت رشيد الدين فضل الله همداني ، تهران ، ٢٣٥٣ شاهنشاهي ، ص ١٩٧ .

الأخطار الداخلية والخارجية التى أخذت تتهددها بازدياد جشعهم الشديد ، الذى كان يدفعهم إلى الحصول على أكبر كمية من المال من رعاياهم ، ولمعرفتهم بفساد موظفيهم ، وحجبهم المال عن خزينة السلطان . (١)

فعندما اتهم مجد الملك الخواجه شمس الدين بإتلاف أموال الديوان ، أمر آباقا بتعيين مجد الملك « مشرفاً للممالك » للتحقيق فى أمور الحسابات.

وقد تعددت مسميات هذه الوظيفة ، فأحيانا ترد بمسمى « المتصدى للإشراف على الديوان الكبير » أو « صاحب إشراف الممالك » أو « مدير أمور الممالك » أو « ناظم مهام الولايات » . (٢)

وكان من أهم أعماله القيام بضبط أمور الديوان ، والوقوف على كمية الوجوه والعوايد ، وكيفية المصارف ، ولهذا كان يعمل على أن يصل العائد إلى الخزانة بسهولة . ولذا فقد كان موظفو الديوان فى كل مكان مكلفون بموافقته فى إجراء الأمور ، وأن يستشيروه فى تعيين عمالهم ، وفى كافة الأمور . (٣)

ناظر الممالك :

وكان ناظر الممالك - مثل مشرف الممالك - مسئولاً هو الآخر عن المراقبة فى جميع أمور المملكة ، ومن بينها الأمور المالية العامة ، كما كان

---

(١) جعفر حسين خصباك : العراق فى عهد المغول الإيلخانيين ، ص ٧٠ .

(٢) آئين كشور دارى : ص ١٩٨ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

مسئولا عن رفع التعدى على الناس .

ولرشيد الدين خطاب يوجه فيه حديثه إلى ابنه الأمير غياث الدين ، الذى أرسله «اولجايتو» « ناظرا » على خراسان ، لأنه كان قد سمع أنها قد أصيبت بالخراب بسبب ظلم رؤسائها وحكامها ، وكتابها وموظفى الضرائب فيها .

ونرى رشيد الدين يوصى ابنه - فى هذه الرسالة - برعاية أحوال الناس وإشاعة العدل ، ورفع الظلم الذى نزل بأهلها . (١)

المحاسب الكبير « ألغ بيتكچى » :

وقد ورد ذكر هذا المنصب فى المراجع المختلفة ، واعتبروا شاغل هذا المنصب « من أصحاب الديوان الكبير » وعدوه معادلا لناظر الممالك ومشرف الممالك .

ويسمى النخجوانى صاحب هذا المنصب « ناظم مهام الممالك » و « ملك ملوك الوزراء » ويعتبر هذا المنصب من « كرائم الأعمال وشرائف المناصب والأشغال » ، ويقول عن « ألغ بيتكچى الممالك المحروسة » : إنه كان مسئولا عن إدارة الأمور ، وكان يقوم بالإشراف - مع أصحاب المناصب الأخرى ، والمسئولين فى الديوان - عن زيادة دخل الخزانة ، وتنصيب العمال ، وكان يشرف كذلك على دفاتر الوارد والمنصرف ، ومن هنا وجب

---

(١) محمد شفيع : مكاتبات رشيدى ، لاهور، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، ص ١٤٥ .

على جميع أصحاب المناصب في المراكز والولايات إطلاعه على جميع الأمور الديوانية بشأن سير العمل وتعيين الموظفين . (١)

مستوفي الممالك :

وكان المستوفي هو صاحب أعلى منصب مالي في الديوان ، وكان يُعين من قبل الحاكم . ويتحدث النخجواني عن عمل صاحب هذا المنصب فيقول إن عليه « تدبير أمور الخزانة ، وترتيب مرسوم الأمراء والجند » ، ويسمى المستوفي بمسميات مختلفة منها : «ضابط ديوان الممالك» و«حافظ المصالح» و « حافظ القوانين » وصاحب ديوان الاستيفا » . (٢)

مسئول المحاسبات بالبلاد « دفترداري ممالك » :

كان ترتيب الوثائق والدفاتر المالية وضبط الحسابات مرتبطاً – في البداية – بديوان الاستيفا ، ولكن نظراً للتوسع في الأمور المالية العامة في عهد غازان فقد استدعى هذا الأمر ظهور منصب جديد هو «دفتردار ممالك» وألحق بالديوان الكبير .

ويعتبر صاحب هذا المنصب أعلى مسئول عن النواحي المالية في

---

(١) هاشم رجب زاده (دكتر) آئين كشورداري در عهد وزارت رشيد الدين فضل الله همداني، ص ١٩٩ .
نقلاً عن : دستور الكاتب في تعيين المراتب لمحمد بن هندوشاه نخجواني.
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ، نقلاً عن دستور الكاتب .

الديوان بعد مستوفى الممالك ، ويرجع إنشاء هذا المنصب إلى الخواجه شمس الدين الجوينى ، ويفسر لنا النخجوانى هذا الأمر بقوله : « عندما استولى هولاكو على بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وأقام حكومة الإيلخانيين ، لم يتم ضبط أموال الديوان طوال ثلاث سنوات ، وكانت أموال الضرائب والعوائد تصل إلى صاحب الديوان ، لكنه كان يخشى من أصحاب الأهواء الذين يسعون بالوشاية باستمرار عند الإيلخان ومن ثم فقد شرع فى تعيين الخواجه جمال الدين منشى الذى كان على دراية بالحساب وضبط دفاتر الديوان - فى هذه الوظيفة . (١)

مسئول القانون والترتيب والتعديل «قانون وياسا ميشى وتعديل» :

وكان هذا المنصب من الأعمال الهامة فى الديوان الكبير ، حيث يقوم شاغله بترتيب الدفاتر وحساب الضرائب . فقد أمر غازان أن يذهب مأمور ضرائب إلى كل ولاية ، ويقوم بفهرسة كاملة للقرى والأماكن العامرة بالتفصيل ، كما أمر بتعيين مأمور ضرائب فى كل ولاية ليكون ملازما للديوان الكبير ، وأن يكتب حوالات للديوان أول كل سنة بمقدار عوائد الضرائب هناك ، لكى ترسل بعد تسجيلها إلى الولايات . فكانت المنشورات ترسل إلى المناطق من « ديوان القانون» .

أما بالنسبة لتعديل القانون فتعنى إعادة تصحيح التقويم ، عندما

---

(١) هاشم رجب زاده (دكتر) آئين كشوردارى در عهد وزارت رشيد الدين فضل الله همدانى، ص ٢٠١-٢٠٢ ، نقلاً عن دستور الكاتب.

يكون التقويم السابق مجالاً للاعتراض . (١)

إدارة أمور الولايات :

كان ممثلو الإيلخان في الولايات يلقبون بلقب « الحاكم » أو « الوالي »، وكانت تسند إليهم الواجبات العسكرية ، وبصفة خاصة في المناطق الخطرة على الحدود . (٢)

كما كانوا مسئولين عن الأمور المالية ، وكان يوجد بهذه الولايات حاكم عسكري يحمل لقب « شحنه » ، فقد وجد في تبريز وإصفهان وغيرها من المدن . (٣)

أما خراسان فكانت واحدة من الولايات التي لقيت اهتماما بالغاً من الإيلخانيين (٤) حيث كان يرسل إليها ولي العهد ليدير أمورها - ولو كان

---

(١) هاشم رجب زاده (دكتر) آئين كشورداري در عهد وزارت رشيد الدين فضل الله همداني، ص ٢٠٣-٢٠٤ ، نقلاً عن دستور الكاتب .

(٢) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٣٣٩ .

(٣) وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص ٢٥١ ؛ وكذلك : عبد المحمد آيتي : تحرير تاريخ وصاف، تهران ، ١٣٤٦هـ.ش، ص ١٥٠ .

(٤) كانت خراسان ولاية متميزة في دولة المغول في إيران وذلك نظراً لأهميتها الاستراتيجية بسبب مواجهتها لحدود مغول ماوراء النهر . ومن هنا درج سلاطين المغول على أن يولوا عليها كبار الأمراء من الأسرة الحاكمة وعلى هذا رأينا آباقا وغازان خان واولجايتو وأبا سعيد قد تولوا حكم خراسان قبل أن يصلوا إلى منصب الخانية . ونظراً لأن إقليم خراسان كان معقل الأوزبك ، فقد جرت العادة على أن يعين الملوك الصفويين منذ إسماعيل أكبر أولادهم سناً لحكم هذا الإقليم، بهدف إرهاب الأوزبك.

فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص١٥٢ ، حاشية ٢ . وكذلك :

أحمد حمدي السعيد الخولي (دكتور) : الدولة الصفوية ، تاريخها السياسي والاجتماعي ، القاهرة ، ١٩٨١م.

صغير السن - نيابة عن الحاكم ، وكان يلقب بلقب « قائم مقام » .

وكان النواب يتغيرون كلما اعتلى حاكم جديد عرش الإيلخانيين ، وخاصة إذا كانت هناك عداوة بين الحاكم الجديد وسلفه .

وقد اختفى منصب النائب منذ عهد غازان ومن جاءوا بعده ، وما عدنا نسمع كلاماً عن النواب . ويبدو أن الحكام قد ضموا واجبات النواب إلى مسئوليتهم الخاصة. (١)

الوظائف العسكرية :

كان الجيش منظما تنظيما دقيقا ، بحيث يحدد عدده بسهولة يوم استعراضه ، فهم يسجلون في دفتر الجيش كل شئ . فالقواد يوزعونهم عشرة عشرة ، ويعينون عريفا على كل عشرة ، ومن بين عشرة عرفاء يعينون أمير المائة ، وهو المسئول عنهم جميعا ، ومن هؤلاء الأمراء يعينون واحداً على الألف ، ومن أمراء الألف العشرة يحددون قائدا ويدعى « أمير التومان » (٢) ، وسوف يتم الحديث عن هذا الأمر بالتفصيل عند الحديث عن « الياسا » .

وكان على الجندى أن يطيع قادته طاعة عمياء ، فإذا أخطأ كان عقابه الموت .

---

(١) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٣٤١ .

(٢) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم ، الجزء الأول ، ترجمة الدكتور محمد التونجى ، حلب ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٦٦ .

كما كان القادة أنفسهم معرضين للعقاب إذا لحقت الهزيمة بالجيش.

وكان معظم جيش المغول من الفرسان نظراً لظروف بيئتهم الطبيعية ولطول المسافات التي يقطعونها ، ومن ثم فقد كان الحصان وسيلة ضرورية لتنقلاتهم .

وعندما كان الإيلخانيون يستشعرون خطراً يتهددهم من إحدى الجهات فإنهم كانوا يفوضون شحنة هذا الإقليم قيادة الجيش والدفاع عن حدود البلاد . (١)

وكان تأمين المئونة لجنود المغول - في بداية أمرهم - سهلا وبسيطا ، ذلك أنهم كانوا يحصلون على كل ما كانوا يحتاجون إليه من طعام للمحاربين وطعام لماشيتهم من المناطق التي استولوا عليها .

وما كان المغول يدفعون رواتب للجند في البداية ، حيث كان الجند يقنعون بنصيبهم من غنائم الحرب ، بعد أن يحصل القاآن على نصيبه منها .

فلما جاء الدور على هولاكو كان أمراء التومان يحصلون على رواتب سنوية هم وأمراء الألف وقادة الوحدات الصغيرة . فلما لحقت الهزيمة بالإيلخانيين في عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ لم يتمكن هولاكو من دفع تلك الرواتب ، فقد كان ما يتبقى من الغنائم - بعد إرسال نصيب القا آن -

---

(١) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٤٠٢-٤٠٣ .

مبلغاً غاية في الضآلة . (١)

وقد اقتضى وجود جيش دائم فى عهد الإيلخانيين ضرورة دفع رواتب لأفراده ، وكانت هذه الرواتب تدفع فى البداية فى صورة مئونة يتم تسليمها لهم بقدر معين كل شهر ، لكن هذا القدر كان ضئيلا للغاية ، ومع هذا فإن سوء الأوضاع الاقتصادية فى عهد « كيخاتو » ، واختلاس كبار القادة قد أدى إلى توقف دفع هذه المئونة .(٢)

وقد ورث غازان هذا الوضع السئ ، وكان فى بداية الأمر راغباً فى أن يدفع رواتب الجند نقداً ، فلما أدرك أن هذا الأمر سيؤدى إلى إفلاس الخزانة تخلى عن تلك الفكرة ، وهداه تفكيره أن يكون راتب الجند عن طريق الإقطاع ، فقرر أن يقطعهم بعض الأراضى القريبة من معسكراتهم ، ويزودهم بأدوات الزراعة والخيل والبذور ، وتدون هذه الأراضى فى دفاتر خاصة ، وتصدر بها وثائق رسمية ، وحظر عليهم إهداء هذه الأراضى أو بيعها . (٣)

وكانت تلك الأرض تئول إلى أبناء الجندى المتوفى ، فإذا لم يكن له وريث من الأبناء ورثه أحد غلمانه ، فإذا لم يكن له وريث من الغلمان ورثه فقراء الجند .

---

(١) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٤٠٤-٤٠٥ .

(٢) خواندمير : حبيب السير ، جلد سوم، ص ١٣٧ .

(٣) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، الترجمة العربية، ص ٣٤٢ .

وقد اجتهد غازان أن يصلح إدارة شئون الجيش ، ومن ثم فقد عزل مجموعة من أصحاب المناصب الذين ثبت تورطهم في جرائم الاختلاس.(١)

ويرى « شپولر » أن نظم غازان في كثير من النواحي تسير على النمط المتبع في الغرب ، فالحاجات متشابهة ، والأساليب متشابهة ، وأجهزة الديوان في عهد غازان تستند إلى أساليب شرقية قديمة مأخوذة بدورها من إدارة امبراطورية روما الشرقية » . (٢)

وخيرُ ردٍ علي هذا الادعاء ماذكره أستاذى الدكتورفؤاد الصياد في أن هذه النظم - سواء في الديوان أو في المصالح الأخرى - تستند إلى أحكام الشريعة الإسلامية ، وهي مستمدة من نظم إسلامية خالصة . (٣)

---

(١) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٤٠٧ .

(٢) «دستورات غازان از بسيارى جهات سازمان مغرب زمين را به خاطر ما مى آورد : نيازمندهاى مشابه ، روش هاى مشابه را ايجاب كرده است . از آن گذشته سازمان دبير خانهء غازانى بى شك متكى بر سرمشق هاى كهن شرقى است ، كه آن سرمشق ها نيز به نوبهء خود از دبير خانهء امپراطور روم شرقى إلهام گرفته است».

برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٩٢ .

(٣) فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) السلطان محمود غازان خان المغولي واعتناقه الإسلام، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٦١ ، حاشية (١) .



الفصل الثالث
الأسرة ووضع المرأة

الفصل الثالث
الأسـرة ووضع المـرأة

الأسرة ووضع المـرأة :

كـان الزواج يتم عند المغـول بطريقـة من أثنتين : إحداهمـا أن يتقـدم الرجل المغـولى لخطبـة زوجتـه من أهلهـا ، والثـانيـة أن يقـوم باختطافـهـا والتزوج منها .

وربما كان خير مثال للطريقة الأولى صورة زواج « تيموچين » ، عندما رافقه أبوه «يسـوگـاى بـهادر » إلى منطقة بعيدة ، ليخطب له فتاة صارت زوجته فيما بعد . (١)

أمـا الطريقـة الثـانيـة فـتـتـمـثـل في زواج « يسـوگـاى بهـادر » والد «تيـموچين » حيـث استطاع - بمسـاعـدة أخـويه - أن يخطف زوجـة أحـد (الماركـيـت ، وتـدعى (هـوآلـون) (٢) ، وتزوجـهـا ، وأنجـبـت له ابنه «تيموچين» . (٣)

---

(١) پليو ، پل : تاريخ سرى مغولان ، ترجمهٔ شيرين بيانى ، انتشارات دانشگاه تهران ، تهران ، ١٣٥٠ هـ.ش ، ص ١٨-١٩ .

(٢) ورد اسمها عند صاحب كتاب «حياة چنگيز خان» (اوپلون) ، لكن المراجع الفارسية تذكرها باسم (هوآلون) .

(٣) ب . يا . ڤلاديمير ستوف : حياة چنگيز خان (الادارية والسياسية والعسكرية) ، ترجمة من الإنجليزية إلى العربيـة ، سعد الدين الغامدى (دكتور) ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص ٢٦-٢٧ .

وكانت عادات المغول وتقاليدهم تحتم عليهم الزواج من قبائل غير قبيلتهم وإلا تعرض أفراد القبيلة لأشد أنواع العقاب ، كما حدث فى عهد « أوگتاى » حيث ذاع نبأ « أن الخان يريد أن يزوج بنات - إحدى القبائل - من رجال قبيلة أخرى . فسارع أهلوهن بتزويجهن من رجال القبيلة ، فلما علم « اوكداى » بذلك أمر بإحضار بنات القبيلة كلهن ، ممن تجاوزن سن السابعة، وأن يعتدى عليهن بصورة وحشية أمام أنظار آبائهن وإخوانهن وبعولتهن ، ثم أمر بتفريقهن بعد ذلك ، فأخذ البعض منهن إلى البلاط كمحظيات ، ووزع البعض الآخر على الأمراء وعلى الحاضرين من المغول والمسلمين ، بينما أرسلت البقية الباقية إلى بيوت الدعارة ، وإلى محطات البريد للترفيه عن رسل القآن » . (١)

وهذا يُظهر لنا إلى أى مدى كان المغول ملتزمين بتطبيق هذا المبدأ عند الزواج ، وإلى أى مدى كانت العقوبة تلحق بمن يخالفه .

وكان المغول يتزوجون بكثير من الزوجات ، حيث كان تعدد الزوجات عندهم أمراً عادياً ، ولكن الزوجة الأولى كانت تحظى على الدوام

---

(١) بارتولد (ڤاسيلى ڤلاديمير وڤتش) : تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص ٦٥١ .وكذلك :

- رشيد الدين فضل الله الهمزانى : جامع التواريخ (تاريخ خلفاء چنگيز خان من اوگتاى قا آن إلى تيمور قا آن) ، ترجمة د. فؤاد صادق ، ص٩٢-٩٣ .

بمنزلة أكبر كما سنرى فيما بعد . (١)

وكان على المغولي أن يدفع المهر لعروسه وفقاً لظروفه الاقتصاديه ، ولكن هذا المهر صار مُبالغاً فيه أيام الإيلخانيين ، حتى أننا نرى « أولجايتو » يدفع مهر زوجته « بيلغان خاتون » تسعمائة ألف دينار . (٢)

ومن هنا فليس عجيبا أن يقوم « غازان خان » بإصدار مرسوم يقضي بعدم المغالاة في المهر ، بحيث لا يزيد على تسع عشرة ديناراً ونصف ، كما سنرى في إصلاحات غازان الاجتماعية .

وكان والد العريس يهدي والد العروس - أثناء الخطبة - عدة رءوس من الأغنام أو الخيل ، على حسب طاقته (٣) ، أما العروس فكانت تحمل الهدايا - أثناء الزواج - من أمها ، لتقدمها إلى أم زوجها . (٤)

وكان جهاز العروس عند المغول مناسباً لحياتهم القبلية ، لكنه كان يتفاوت وفقاً لظروف والد العريس الاقتصاديه . وكان هذا الجهاز يميل إلى الأبهة والمبالغة في عهد الإيلخانيين ، فكان السلاطين يتمادون في المبالغة لإظهار عظمتهم وازدياد ثرائهم . فكانوا يرسلون مع العروس كل أنواع

---

(١) ب. ولاديميرتسف : نظام اجتماعي مغول (فئود اليسم خانه بدوشي) ، ترجمه شيرين بياني ، چاپ دوم ، تهران ، ١٣٦٥ هـ.ش، ص ٨١ .

(٢) القاشاني (أبو القاسم عبدالله بن محمد) : تاريخ اولجايتو ، به اهتمام مهين همبلي ، بنگاه ترجمه ونشر كتاب ، تهران ، ١٣٤٨ هـ.ش، ص٤٤ .

(٣) تاريخ سري مغولان ، ص ١٩ .

(٤) نظام اجتماعي مغول ، ص ٩٥ .

المئونة اللائقة بوضعها الاجتماعى ، ويزودونها بالمال والمجوهرات ، والخدم والغلمان والجوارى ، وكثير من الماشية . (١)

منزلة المرأة :

ولما كانت منزلة المرأة عند المغول والإيلخانيين تتحدد وفقاً لطبقتها في ذلك المجتمع، فإنى سأحاول أن ألقى الضوء عليها من خلال هذه الطبقات .

نساء الحاكم :

من المعروف أن المغول كانوا يتزوجون بأكثر من زوجة ، ما بين زوجات شرعيات ، ومحظيات ، وسبايا (جوارى) ، حتى أن چنگيزخان قد بلغ عدد نسائه خمسمائة ما بين زوجه شرعية ومحظية وجارية . (٢)

وإن كان هناك من يرى أن في هذا الأمر مبالغة غير مقبولة ، فيقول :

---

(١) نخجوانى (محمد بن هندوشاه) : دستور الكاتب في تعيين المراتب ، جزء اول از جلد يكم ، ، نشر وتحقيق عبد الكريم على اوغلى زاده، مسكو ، ١٩٦٤م، ص٤٢٨ .

(٢) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ، جلد اول (از آغاز پيدايش قبايل مغول تا پايان دورهٔ تيمور قا آن) ، ، نشر وتحقيق بهمن كريمى، طهران ١٣٣٨هـ.ش، ص٢٢٢ وكذلك :

فؤاد عبدالمعطى الصياد (دكتور) : المغول في التاريخ، القاهرة ،١٩٧٤م ، ص٢٤٨ .

«وقد سار چنگيزخان على هذه الطريقة - يقصد تعدد الزوجات - فيقال إن زوجاته بلغ عددهن خمسمائة زوجة من بنات الأمراء والخانات ، ولا شك أن هذه مبالغة باترة».(١)

ولما كانت أوثق المصادر الفارسية - وعلى رأسها جامع التواريخ لرشيد الدين - تؤكد عدد زوجات چنگيزخان بالصورة السابقة ، فإني لا أدري على أي أساس بنى صاحب هذا الرأي اعتراضه على هذا الأمر .

ولم تتوقف فكرة تعدد الزوجات عند المغول وحدهم ، بل امتدت لتشمل الإيلخانيين كذلك ، سواء قبل اعتناقهم الإسلام أو بعد إسلامهم .

وأبدأ حديثي عن زوجات الإيلخان الشرعيات ، واللاتي كان يطلق على الواحدة منهن لقب « خاتون » :

أ- الخاتون :

ورغم أن كل زوجات الإيلخان الشرعيات كن يحملن هذا اللقب ، إلا أن الزوجة الأولى كانت تعتبر بمثابة الخاتون الكبيرة بين الزوجات ، وكانت تتمتع بمكانة خاصة لا تدانيها فيها زوجة أخرى . يحدثنا ابن بطوطة عن منزلة الخاتون الكبيرة فيقول : « فإذا كان بعد صلاة العصر انصرفت الملكة من الخواتين ، ثم ينصرف سائرهن فيتبعنها إلى محلتها ، فإذا دخلت إليها

---

(١) صلاح محمد نوار : المرأة ودورها في المجتمع المغولي طبقا لمصادر المغول وقوانين الياسا، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٩٩م، ص ١٥٦.

انصرفت كل واحدة إلى محلتها راكبة عربتها ، ومع كل واحدة نحو خمسين جارية راكبات على الخيل ، وأمام العربات نحو عشرين من قواعد النساء راكبات على الخيل فيما بين الفتيان والعربة ، وخلف الجميع نحو مائة مملوك من الصبيان ، وأمام الفتيان نحو مائة من المماليك الكبار ركبانا ، ومثلهم مشاة ، بأيديهم القضبان ، والسيوف مشدودة على أوساطهم ، وهم بين الفرسان والفتيان ..... » (١)

وكان من مظاهر انفراد الخاتون الأولى بمزايا خاصة ، أنها كانت تجلس على العرش إلى جوار الإيلخان والتاج على رأسها ، فقد كانت « قتلغشاه خاتون » أكبر زوجات أولجايتو وأعظمهن شأنا (٢) ، ومن ثم فلا غرابة أن نجد صاحب « تاريخ اولجايتو » يقول ما ترجمته :

« ووضعوا التاج على رأس «قتلغشاه خاتون» .. يوم الأحد السادس والعشرين (من شعبان سنة ٧٠٤ هـ) وأجلسوها في مخيم "دوقوزخاتون الكبير" » . (٣)

---

(١) ابن بطوطة (محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي) : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفه برحلة ابن بطوطة ، بيروت - بدون تاريخ ، ص ٢٢١ .

(٢) فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي (في عهد الإيلخانيين) أسرة هولاكو ، الدوحة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ص ٤١٢ .

(٣) «وروز يكشنبه بيست وششم (شعبان سال ٧٠٤ هـ) برسر قتلغشاه خاتون .. بوغناق نهادند ودر اردوى بزرگ دوقوزخاتون إجلاس فرمود»
تاريخ اولجايتو ، ص ٤٤

وكانت الخاتون تشارك الإيلخان في أمور الملك ، وتشترك معه في الحرب بل لقد بلغ الأمر ببعض الخواتين إلى حد إدارة أمور المملكة بنفسها[١]، مثلما حدث في أيام السلطان أحمد تگودار ، الذى كان يُشغل بالسماع والطرب ، وقلما كان يعنى بتدبير شئون الملك ، فكانت أمه « قوتى خاتون » - التي كانت على جانب كبير من العقل والكفاية - تدير شئون البلاد » . [٢]

فلما تمرد العظماء والأمراء ضده - ضد تگودار - خرج من العاصمة والتحق بمعسكر أمه . [٣]

= وقد ورد في النص كلمة «بوغناق» وصحيحها هو ماورد عند رشيد الدين في صورة (بوقتاق) ، بمعنى القلنسوة المرصعة بالجواهر .

(جامع التواريخ - تاريخ المغول ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، الايلخانيون ، تاريخ أبناء هولاكو من أباقاخان إلى گيخا توخان ، ١٩٦٠ ، ص ٦) .

وقد ذكره ابن بطوطة في صورة «البغطاق» وعرفه بقوله : هو مثل التاج الصغير المكلل بالجواهر وبأعلاه ريش الطواويس .

رحلة ابن بطوطة ، ص ٢٢٢ .

(١) نظراً لصغر سنّ أبناء «قتلق تركان» - المعروفة باسم «تركان خاتون» ، فقد أصدر «منكو قا آن» أمراً - في عهد آباقا - بأن تتولى هذه المرأة حكم ولاية كرمان ، فقامت بأمور الحكم على خير وجه . وقد عمرت الولاية في عهدها ، وانتعش أمر الناس ، كما أحسنت معاملة العلماء ، ورفعت المعاناة عن كاهل العباد .

كرمانى (أحمد على خان وزيرى) : تاريخ كرمان ، به تصحيح وتحشيه با مقدمه محمد ابراهيم باستانى باريزى ، تهران ، ١٣٥٢هـ.ش ، ص٣٥١ .

(٢) جامع التواريخ (المجلد الثانى - الجزء الثانى) ، ص٩٧ .

(٣) شيرازى (أديب شرف الدين عبدالله بن فضل الله) وصاف الحضرة : تاريخ وصاف : «تجزية الأمصار وتزجية الأعصار» ، بمباى ١٣٦٩هـ ، ص ١٣٥ .

ومما يؤكد دور الخاتون في اختيار الحاكم والرضا عنه ما حدث بعد موت «الوجايتو» ، حيث تم دعوة أبى سعيد من خراسان لخلافة أبيه ، فلم يكد يصل حتى مُثل بين يدى « قتلغشاه خاتون » أكبر زوجات أولجايتو ، وخصها بالملاطفة وحسن المعاملة . (١)

وربما كان من الأشياء اللافتة للنظر أن يظل بعض حكام الإيلخانيين متمسكين بفقرات من « ياسا » چنگيزخان الخاصة بالزواج ، رغم مخالفتها الصريحة لقوانين الشريعة الإسلامية .

فقد نص قانون چنگيزخان على « أن كل زوجة يميل إليها قلب الملك ، فإن على زوجها أن يطلقها عن طيب خاطر ، لتكون زوجة للحاكم» . (٢)

فإن السلطان أبا سعيد عندما وقع فى حب « بغداد خاتون » - ابنة چوبان كبير أمراء أبي سعيد - أراد أن يتزوج منها وفقا لقانون چنگيز السابق ، رغم كونه مسلما ، ورغم أن « بغداد خاتون » كانت متزوجة من الأمير الشيخ حسن بزرگ (الكبير) .

وقد أدى رفض الأمير چوبان تطليق ابنته من زوجها إلى توتر العلاقات بين أبى سعيد وچوبان ، وانتهت باشتعال الحرب ، وهزيمة چوبان وجنده ، « وطوال مدة اختلال أحوال الأمير چوبان وأبنائه لم ينس السلطان

---

(١) مير خواند (محمد بن سيد برهان الدين خواند شاه) : روضة الصفا ، جلد پنجم، تهران ١٣٣٩هـ.ش، ص ٤٧٩ .

(٢) روضة الصفا ، جلد پنجم ، ص ٥٠٨ .

أبو سعيد عشقه بغداد خاتون ابنة چوپان التي كانت في عصمة رجل آخر هو الأمير الشيخ حسن الجلايرى ، فأرسل الإيلخان قاضي القضاة إلي هذا الأمير ، وأجبره على طلاق زوجته فورا ، وبعد انقضاء العدة الشرعية على تلك السيدة تزوج منها السلطان أبو سعيد . وبهذا حقق غرضه غصبا واقتداراً ، وسرعان ما احتلت هذه المرأة منزلة سامية في بلاط السلطان ، وصارت لها الكلمة الأولى في كل الشئون » . (١)

ولقد كان الزواج من نساء الأسرة الحاكمة - في ذلك الوقت - وسيلة للوصول إلى الحكم . حيث أنه عندما توفى أبو سعيد - وما كان قد أنجب أولاداً من الذكور ، وكان غازان خان أثناء توليه للعرش قد تخلص من أفراد أسرة هولاكو إما بقتلهم وإما بتجريدهم من امتيازاتهم - لم يكن هناك أمير يصلح لتولى الحكم بعده ، فانقسم الأمراء على أنفسهم على اختيار الشخص الذى في مقدوره أن يقوم بهذه المهمة ..

فلما استقر الرأى على تنصيب أرباخان الذى كان أحد حفدة الأمير « أريق بوكا » بن « تولى خان » بن « چنگيزخان » ، والذى كان أبو سعيد قد اختاره وليا للعهد ، فإنه تزوج من « ساتى بيك » بنت السلطان الراحل « اولجايتو » ، وأخت أبى سعيد ليقوى بذلك دولته ، ويوطد عرشه . (٢)

وفي سنة ٧٣٩ هـ اعتلت « ساتى بيك » العرش لعدم وجود رجل

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى ، ص ٤٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩٠-٤٩١ .

مشهور من أسرة هولاكو ، وقرئت الخطبة كما ضربت السكة باسمها .(١)

ولقد تعددت ألقاب زوجات الحكام منذ أيام المغول الأوائل .فكان يطلق على زوجة الأمير لقب « خانشها » ، وهو يرادف « شاهزاده خانم » ، أي زوجة الأمير . وعندما تزوج « يسوگاى بهادر » - والد چنگيز . - من « هوآلون » ثم أنجب منها ، لقبها بلقب « آكا » بمعنى « مادر » أى « الأم » ، ثم لقبت بعد ذلك بلقب « هوآلون آكا » أى « الأم هوآلون » . (٢)

أما في عهد الإيلخانيين فإنهم استخدموا لقبين : أحدهما « بيكى » ، وهو يرادف «أمير بانو » أو "سالاربانو" أو « ملكه » ، وكان هذا اللقب يقابل لقب «بيك » . أما اللقب الآخر فهو لقب « خاتون » ، وهو يرادف «بانوى خان » أى « زوجة الحاكم» ، وكان يستخدم أكثر من غيره من الألقاب ، وكان هذا اللقب يقابل لقب «خان » . (٣) كما كان لكل زوجة من زوجات الحاكم لقب آخر إضافة إلى لقبها الأصلي وكان هذا اللقب بمثابة صفة توصف بها ، وغالباً ما كان يكتب في المنشورات والمكاتبات مثل « مهد أعلى » و « مهد عليا » و « عصمت الدنيا والدين» و «صفوة الدنيا والدين » ، وغير ذلك . (٤)

---

(١) خواند مير (غياث الدين محمد بن همام) : حبيب السير فى أخبار أفراد البشر ، جلدسوم ، تهران ١٣٥٣هـ.ش، ص ٢٢٨ .

(٢) شيرين بيانى : زن در ايران عصر مغول ، انتشارات دانشگاه ، تهران ، تهران ١٣٥٢هـ.ش. ص ٨٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٤) دستور الكاتب ، ص ١٣٣-١٣٤ .

ب- المحظيات « السرارى » (قوما) :

ويأتى ترتيب هؤلاء الزوجات بعد زوجات الحاكم الشرعيات وسنرى أن الياسا تنص على أن تجمع الأبكار المرافقات للجيش عشرة عشرة ومائة مائة ويختار أمير التومان منهن عدداً فيرسلهن إلى الخان أو إلى أبناء الملوك فينتقى منهن ما يروق له . (١)

فإذا ارتبط الحاكم ببعض هؤلاء الفتيات صرن زوجات محظيات له فكن يتمتعن بالاحترام وتصبح لهن ثروة ومسكن مستقل ويعامل أبناؤهن معاملة الأبناء الشرعيين .

وأشهر محظية تحولت إلى خاتون عظيمة هى « توقيتي خاتون » التى كانت محظية هولاكو أول الأمر ثم تزوجت بعد وفاته من ابنه وخليفته « آباقا » الذى أجلسها مكان « الخاتون العظمى » وهى «دوقوزخاتون » ووضع التاج على رأسها وعاملها بنفس ما كانت تتعامل به من الرفعة والمنزلة العالية . (١)

كما نرى أن السلطان « أحمد تكودار » قد تزوج من محظية أبيه «آباقا» وكانت تدعى « ايل قتلغ » فصارت متساوية مع زوجاته الأخريات .(٣)

---

(١) الجوينى (عطا ملك) : تاريخ فاتح العالم ، الجزء الأول ، ص٦٧ .

(٢) رشيد الدين فضل الله الهمزانى : جامع التواريخ ، جلد دوم ، از آغاز سلطنت هولاكو تا پايان دورهٔ غازان ، ص ٧٤٠ .

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، ترجمة د/ فؤاد الصياد ، ص٦ و ٨٨ .

جـ - الجوارى :

وكـان من بين نسـاء الحكام مـجـمـوعـة من الجـوارى اللائى كن يتم الاستيلاء عليهن من أسرى الحرب أو من القبائل الفقيرة وغالباً ما كان يتم بيع بقية الأسرى منهن فى الأسواق ليصبحن فى خدمة سادتهن بعد ذلك .

وما كان لهذه الفئة أى حق من الحقوق فكان يُنظر إلى أبنائهن على أنهم أبناء غير شرعيين ويتم طردهم من القبيلة . (١)

حرية الخاتون فى اختيار ديانتها :

كان للخاتون حرية كاملة فى اختيار الديانة التى تعتنقها بصرف النظر عن ديانة زوجها. فمع أن هولاكو كان بوذياً إلا أن زوجته « دوقوزخاتون » كانت مسيحية من قبيلة الكرايت .

ولم تتوقف « دوقوز خاتون » عند حد إعتناق المسيحية فحسب بل إنها أخذت تروج لهذا كذلك وكان هولاكو بدوره - يُجلّ المسيحيين ، ويكن لهم كثيراً من الاحترام رعاية لخاطر زوجته . (٢)

كما تزوج « آباقا » خليفة هولاكو من مريم ابنة امبراطور الروم رغم أنه كان بوذياً مثل أبيه ، وكانت « مريم » مسيحية متعصبة حتى أنه كان

---

(١) شيرين بيانى ، زن در ايران عصر مغول ، ص ٤٤ .

(٢) عباس اقبال : تاريخ مغول واوايل ايام تيمورى، تهران، ١٣٧٩هـ، ص ١٩٨ .

يرافقها على الدوام كنيسة متنقلة . (١)

ومن العجيب حقاً أن اختلاف دين الزوجة عن دين زوجها كان يترتب عليه في الغالب اتباع الأبناء دين أمهاتهم وربما كان أصدق مثال لهذا الأمر ما حدث للسلطان « أحمد تكودار » و « اولجايتو » فقد تم تعميدهما في مرحلة الطفولة . وسمي كل واحد منهما باسم « نيقولا » (٢) ليكون على دين أمه رغم أن أبويهما كانا بوذيين .

فلما اعتنق الإيلخانيون الإسلام ، وأصبح الإسلام ديناً رسمياً لهم ارتبط سلاطينهم بزوجات مسلمات استجابة لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ولأمة مسلمة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾. (٣) صدق الله العظيم

وكان من عادة المغول أن يتزوج الحاكم بعد وفاة إحدى زوجاته وتقيم الزوجة الجديدة في بيت الزوجة المتوفاة مثلما حدث عندما حان أجل «بولجانا » زوجة «أرغون» ناشدت زوجها - عندما حان أجلها - أن يتزوج من أسرتها ، فأرسل ثلاثة من أشرافه إلى الخان الأعظم طالباً منه إرسال زوجة أخرى من بين أقرباء ملكته المتوفاة ، ووقع الاختيار على فتاة في السابعة عشرة من عمرها بارعة الجمال فائقة التهذيب تدعى « كوجاتين »

---

(١) شپولر (بارتولد) : تاريخ مغول در ايران ، ترجمه« محمود مير آفتاب ، ص ٢٢٠.

(٢) شپولر (بارتولد) : تاريخ مغول در ايران ، ص١٨٨ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٢١ .

وبعد رحلة طويلة استغرقت ثمانية أشهر عادوا إلى بلاط الخان وقاموا برحلة ثانية استغرقت ثمانية عشر شهراً كان أرغون قد أدركته المنية[١] فتزوجت هذه الفتاة من غازان خليفة اورغون .

وكان من عادة المغول ألا تشترك البنت في ميراث أبيها ، وما كانت تحصل من ماله وممتلكاته إلا ما يقدم إليها أثناء تجهيزها للزواج ، [٢] ثم تصبح بعد ذلك مسئولة من زوجها ، حيث أصبحت عضواً من أعضاء قبيلته ، وتكاد صلتها بقبيلتها تكون مقطوعة وخاصة في النواحي المادية .

فلما أسلم الإيلخانيون وطبقوا أحكام الشريعة الإسلامية ، صار للبنت نصف ما يرثه الولد إعمالاً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ . [٣]

وبالتالي فليس غريباً أن نرى رشيد الدين فضل الله يوصي بأن يحصل كل واحد من أبنائه الذكور مبلغ ألف تومان ، وأن تحصل كل واحدة من الإناث مبلغ خمسمائة تومان . [٤]

---

(١) ماركوبولو : رحلات ماركو بولو ، ترجمها إلى الإنجليزية وليم مارسدن ، وترجمها إلى العربية عبدالعزيز توفيق جاويد ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ ، ص ٤٣-٤٤ .

(٢) شيرين بياني : زن در ايران ، عصر مغول ، ص ٤٥ .

(٣) سورة النساء : آية : ١١ .

(٤) رشيد الدين فضل الله الهمزاني : مكاتبات رشيدى ، نشر وتحقيق محمد شفيع لاهورى ، لاهور ١٣٦٤ هـ ، ١٩٤٥ ، ص ٢٣٨ .

كما كان من عاداتهم أن مخيم كل خاتون تموت يؤول إلى الخاتون الجديدة التي يتزوجها الحاكم ، فعندما ماتت « دوقوزخاتون » زوجة هولاكو آل مخيمها إلى ابنة أخيها « توقيتي خاتون » محظية هولاكو فلما ماتت «توقيتي خاتون» انتقل هذا المخيم إلى كوكاجي خاتون ، وانتقل بعد موتها إلى « كرامون خاتون» . (١)

وكانت أملاك الخوانيين تؤول بعد موتهن إلى أبنائهن الذكور فإذا لم يكن للخاتون المتوفاة ولد آلت ممتلكاتها إلى أبناء الخواتين الأخريات . (٢)

وكان المغول يقومون بدفن حاجيات الميت الخاصة معه ، من طعام وشراب وغير ذلك - كما كان يفعل قدماء المصريين إلى أن اعتنقوا الإسلام فتغيرت تلك الصورة ، وبدأ الإيلخانيون يدفنون موتاهم بصورة تتفق مع ما ورد في الإسلام . (٣)

---

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد دوم ، ص ٦٧٨ .
(٢) شيرين بياني (دكتر) : زن در ايران عصر مغول ، ص ٤٧ .
(٣) كانت عادة المغول - منذ عهد چنگيز خان إلى ماقبل غازان خان - أن يخفوا مواضيع قبوره ، ويقيموها بعيدة عن العمران بحيث تظل سراً مختفياً على الناس ، ولما اعتنق غازان الإسلام كان أول سلطان يدفن في مقبرة ظاهرة ، حيث حملوا جثمانه إلى تبريز ودفنوه في قبة شيدها له .
حمد الله مستوفي القزويني : تاريخ گزيده ، باهتمام دكتر عبدالحسين نوائي ، چاب سوم ، تهران ١٣٦٤هـ.ش ، ص ٦٠٦ .

ورغم هذا فعندما توفيت « آبش خاتون » [١] زوجة منكوتيمور[٢] فإنهم ، دفنوها في أحد أحياء تبريز على عادة المغول رغم أنها كانت أشد الناس عدلاً وإيماناً في حياتها ، ووضعوا إلى جوارها أواني الذهب والفضة ، ممتلئة بالشراب الأحمر ...».[٣]

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أنهم لم يفهموا أمور دينهم بطريقة صحيحة .

وكان حكام المغول والإيلخانيون يكنون أشد الاحترام لأمهاتهم ويتعاملون معهن بمزيد من الطاعة والإنقياد . [٤]

وغالبا ما كانت تُسندُ مهمة تربية هؤلاء الحكام إلى بعض المربيات ، اللائي كان يتم اختيارهن بعناية فائقة ، حتى أن الإيلخانيين كانوا يشترطون أن تكون مربية أبنائهن مسلمة فاضلة لتحسن تربية الحاكم الجديد [٥] ،

---

(١) «آبش خاتون» بنت الأتابك سعد الثاني بن أبي بكر أتابك فارس .
فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، ص١٢٢ ، حاشية (١) .

(٢) «منكوتيمور» هو الابن الحادي عشر لهولاكو .
رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، تاريخ المغول المجلد الثاني ، الجزء الأول ، ص٢٢٨ .

(٣) تاريخ وصاف : جلد دوم ، ص ٢٢٢ .

(٤) شيرين بياني : زن در ايران عصر مغول ، ص٥٥ .

(٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

فلقد أسلموا أبا سعيد لمربية حسنة الخلق تدعى مريم لكي تربيه في أحضان حنانها ، فانطلق لسانه منذ الصغر بفصيح الكلام . (١)

ولم يتوقف احترام الإيلخانيين عند حد أمهاتهم ، بل كان الواحد منهم يعامل مربيته بنفس قدر الاحترام الذى يعامل به أمه ، فإذا عهد بواحد منهم إلى مربية ، فأرضعته ، وتربى فى أحضانها ، فإنها تصير بمنزلة أمه ، وكان عليه أن يعاملها بالحسنى دون أن يفرق بينها وبين أمه . (٢)

وبعد أن تحدثنا عن زوجات الحكام من المغول والإيلخانيين ننتقل الآن للحديث عن مكانة المرأة فى طبقات المجتمع الإيلخانى بصورها المختلفة . فقد كان المجتمع ينقسم إلي ثلاث طبقات : الطبقة الأولى وهم طبقة الإقطاعيين (الأشراف) وتتكون من الأمراء وكبار القواد ، والطبقة الثانية وهى الطبقة المتوسطة وتتكوت من عامة الناس ، والطبقة الثالثة وتتكون من العبيد وكان معظمهم من أسرى الحرب والمبعدين ، كما كان منهم الغلمان والجوارى الذين يتم شراؤهم . (٣)

---

(١) البناكتى (فخر الدين أبو سليمان داود) ، روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب ، المعروف بتاريخ بناكتى به كوشش، د/ جعفر شعار، تهران ١٣٤٨هـ ، ص٤٧٧ .

(٢) دستور الكاتب، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٣) شيرين بيانى : زن در ايران عصر مغول، ص٧٩، ٨٠ .

١- نساء الطبقة الأولى :

كانت زوجات القواد والأمراء يشاركن أزواجهن في كافة الأعمال تقريبا ، بل إنهن كن يخرجن للقتال مرتديات ملابس لا يمكن تمييزها عن ملابس الرجال . وكان من بين نساء هذه الطبقة من فاقت الرجال في شجاعتهم ، مثلما ذكر « ماركوپولو » عن ابنة « قايدو » [١] حيث يقول : إنها كانت تدعى (أبجيارم) ومعناها في لغة التتار « القمر المنير » وكانت من قوة البدن بحيث لم يوجد في المملكة كلها شاب يستطيع التغلب عليها إذ كانت تصرعهم جميعاً . وأراد أبوها أن يزوجها ، ولكنها أبت ذلك قائلة إنها لن تتخذ لنفسها زوجاً حتى تلتقي برجل يقهرها قوة واقتداراً، فأعطاها أبوها وعداً مكتوباً بأنها تستطيع أن تتزوج بملء إرادتها . فأرسلت إلى كافة أرجاء العالم رجالاً يعلنون أنه إذا جاء أي شاب لمنازلتها .. فتغلب عليها بالقوة فإنها ستقبله زوجاً .. وتوافد الكثيرون من كافة أرجاء الدنيا ليجربوا حظهم معها .. وتم الاتفاق على أنه لو تمكن الفتى من التغلب عليها بحيث يطرحها أرضاً سيحظى بها زوجة له ، ولكن لو حدث

---

(١) «قايدو» هو ابن قاشي بن اوگتاى قآن ، ربى في معسكر چنگيز خان وبعد وفاة جده اوگتاى صار ملازماً لمنگو قآن ، وبعده كان يلازم «آريق بوكا» وسعى في إجلاسه على عرش الخانية ، فلما خضع «أريق بوقا» لأخيه قوبيلاى قا آن وأطاع أمره استشعر قايدو خوفاً من قوبيلاى، فثار عليه وخرج على القانون وارتكب عدة مخالفات وطغى وبغى وقد عمر دهراً طويلاً إلى أن توفى متأثراً بجراحه في إحدى المعارك التي خاضها ضد «تيمور قآن».

- فؤاد الصياد (دكتور) الشرق الإسلامي ، حاشية ٢ ، ص ٤٧ .

العكس وقهرته .. خسر لها مائة حصان ، وبهذه الطريقة حصلت على أكثر من عشرة آلاف حصان ، إذ أنها لم تلتق بإنسان قادر على التغلب عليها .

وفي عام ١٢٨٠ م وفد على القصر ابن لملك ثرى ، كان شديد الجمال صغير السن ، وكانت تصحبه حاشية ممتازة ، وأحضر معه ألف حصان من أجمل الجياد . وما كاد يصل حتى أعلن أنه جاء - ليجرب قوته مع الأميرة ، واستقبله « قايدو » بحفاوة عظيمة لشدة رغبته في أن يكون هذا الشاب زوجاً لابنته .. وأبلغ « قايدو » ابنته سراً أنه يريد منها أن تسمح بأن تقهر في هذه المرة ، بيد أنها أبت قائلة إن أى شئ في الدنيا لا يمكن أن يحملها على فعل ذلك .. وفازت الابنة .. وخسر الأمير الشاب خيله الألف ، وصار الملك يأخذ ابنته في معارك قتاله العديدة ، فما كان فارس واحد في جحفله كله ليبدى من البسالة ما كانت تبديه ، وأخيراً اندفعت الفتاة إلى وسط الأعداء ، وأطبقت على أحد الفوارس وحملته إلى قومها . (١)

كما كان من بين نساء هذه الطبقة من جنت بسوء تصرفاتها على مستقبل زوجها ، فكانت سبباً في القضاء عليه ، كما حدث « لسعد الدين الساوجى » الذى كان وزيرا لغازان واولجايتو ، « وكان سعد الدين زاهداً تقياً متديناً ، محباً للفقراء راعيا للعلماء والفضلاء والزهاد والعباد ،

---

(١) وليم مارسدن : رحلات ماركوپولو ، الجزء الثالث ، ترجمة عبدالعزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ، ص ١١١ - ١١٣ .

أحسن تنظيم شئون الدولة مدة وزارته ، فاستحق بذلك ثناء الخالق والخلق ، ولكنه حينما حان أجله أخطأه التوفيق . وإن أكثر الخلل الذى طرأ على تصرفه إنما يرجع إلى زوجته التى كانت فى غاية اللجاجة وسوء الخلق وكانت مسيطرة عليه، وقد تعرضت لأشد أنواع العذاب بعد نكبته » .(١)

ويؤكد صاحب « تاريخ اولجايتو » سوء تصرف هذه الزوجة فيقول ما ترجمته : «وإن أكثر خلل أمر سعد الدين يرجع إلى سوء زوجته فقد كانت شيطانة في صورة بشر » . (٢)

وإذا كنا قد رأينا نماذج للمرأة المقاتلة ، والمرأة السيئة ، فإن أكثر نساء هذه الطبقة كن متعلمات فاضلات ، وكن يعشقن الأدب ، فشجعن العلماء والأدباء ، ولقد كانت عصمة الدين ابنة عطا ملك الجوينى - صاحب تاريخ نگشاى - حسنة الخط وتحسن التعبير . (٣)

كما كان من بين نساء هذه الطبقة من كانت تحضر مجالس الفقهاء وتجود بالطعام على كل عابر ، حيث يذكر ابن بطوطة أن زوجة قاضى

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمزانى ، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص ١٥٥ .

(٢) «وبيشتر خلل كار سعد الدين از شقاوت زنش بود، كه شيطانى است در صورت بشر»

أبو القاسم عبدالله بن محمد القاشانى : تاريخ اولجايتو ، تهران ، ١٣٤٨هـ.ش، ص ١٢٩ .

(٣) المرجع السابق، ٥٢ .

مدينة خوارزم بعثت إليه بمائة دينار ووجهت أختها إليه دعوة جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة بزاويتها التى بنتها ، وفيها الطعام للوارد والصادر ، ثم يقول عنها " وهى من أفضل النساء وأكرمهن " . (١)

٢- نساء الطبقة الثانية (المتوسطة) :

وكانت المرأة فى هذه الطبقة - منذ أيام المغول - هى التى تدير عجلة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية ، فقد كانت تقوم بحلب الأبقار وطهى الطعام وتربية الأطفال كما كانت تقوم بالاشتراك مع عشيرتها فى الحروب، وما كانت تقل عن الرجل مهارة فى ركوب الخيل ودقة استخدام السلاح كالقوس والرمح . (٢)

وإذا كانت المرأة تقوم بهذه المهام وقت السلم ، فقد أمرتها «الياسا»(٣) بأن تقوم بكافة الأعمال التى يقوم بها زوجها أثناء القتال ، فى حالة بقائها فى البيت . (٤)

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٢٤٢ .

(٢) سعد الغامدى (دكتور) : المغول (بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية) ، ص١١٢ - ١١٣ .

(٣) الياساهى مجموعة القوانين التى وضعها «جنگيز» لقومه ، وسوف يأتى الحديث عنها بالتفصيل فى الفصل الأول من الباب الثالث .

(٤) ب. ولاديميرتسوف : نظام اجتماعى مغول (فئود اليسم خانه بدوشى) ، ترجمهٔ شيين بيانى ، چاپ دوم ، تهران ، ١٣٦٥هـ.ش، ص ٩٤ .

ومن هنا نرى أن العبء الأكبر من المسئولية كان يقع على كاهل المرأة المغولية ، أما دور الرجل فكان يأتى تالياً لدورها .

لكن المرأة أخذت تفقد جزءاً كبيراً من دورها فى عهد الإيلخانين ، وخاصة بعد أن تغير نمط الحياة ، وعاش الإيلخانيون حياة الاستقرار فى المدينة ، بعد حياة الترحال والتنقل التى تعودوا عليها . وبالتالى فقد تغير أسلوب الحديث عنها والنظرة إليها كذلك ، وربما كان المثل الذى ساقه الوصاف خير دليل على ذلك الأمر حيث يقول ما ترجمته : « أربعة لا أمان لهم : الشباب ، والصحة ، والحصان والمرأة » (١) وهذا المثل إن صح ما ورد فيه بشأن الشباب والصحة ، فإنه يبين الفارق الواضح بين نظرة المغول إلى الحصان والمرأة ، ونظرة الايلخانيين إليهما . فالحصان كان عنصراً أساسيا فى حياة المغولى ، لأنه كان وسيلة تنقله من مكان لآخر ، بحثاً عن العشب والماء ، إضافة إلى أنه كان يستفيد من لحمه ويشرب لبن الفرس كذلك ، بل إن المغولى كان يجرح حصانه ليشرب من دمه إذا عز عليه الحصول على الطعام . (٢)

فكان الحصان ركناً أساسياً من أركان حياة المغولى ، كما كانت المرأة تشكل الركن الآخر من حياته ، حيث كانت تشاركه كافة أعماله إضافة إلى ما تقوم به من أعمال داخل بيتها .

---

(١) تاريخ وصاف : جلد پنجم ، ص ٥٨٤ .

(٢) شپولر بارتولد : تاريخ مغول در ايران ، ص ٤٤١ .

ومن هنا فإننى أرجع ما ورد بهذا المثل - عند الإيلخانيين - بشأن الحصان والمرأة إلى حياة الاستقرار والترف ، بعد حياة الترحال والشظف فلم يعد للحصان سابق دوره ، لكننى أعجب من نظرة الإيلخانيين إلى المرأة عن نظرة أسلافهم إليها .

وربما كان السبب فى ذلك راجعاً إلى ما تقوم به بعض النساء من الدسائس والمؤامرات فى ذلك الوقت .

وليس بعيداً كذلك أن يكون هذا المثل متأثراً بمثل عربى قيل فى هذا المعنى وهو الذى يقول : ثلاثة لا أمان لهم الدهر ولو صفى والحاكم ولو قرب منك والمرأة ولو طالت عشرتها .

ورغم هذا فإن المرأة قد احتفظت بدود ليس هيناً فى عهد الإيلخانيين وفقاً لما قررته الشريعة الإسلامية فكانت تحتفظ بثروة شخصية وترعى بيتها وتشارك في الاحتفالات الدينية . (١)

٣- الطبقة الثالثة (الجوارى) :

وكانت هذه الطبقة تتكون فى الغالب من سبايا الحروب من النساء والفتيات ، أو ممن يتم شراؤهن بالمال وكانت تجارة الجوارى رائجة فى ذلك الوقت .

---

(١) شيرين بيانى : زن در ايران عصر مغول ، ص ١٢٠-١٢١.

كما كان السلاطين يقومون بإهداء بعض هؤلاء الجوارى لقادتهم والمقربين منهم ، وقد استمرت هذه الطبقة في عهد الإيلخانيين كذلك ، فنلاحظ أن رشيد الدين فضل الله - يهب أبناءه الخدم والجوارى يقول ما ترجمته : أهب « خمسمائة نفر من الخدم - إضافة إلى الخدم الذين أوقفتهم - للأبناء الذكور ، كما أهب الإناث ثلاثمائة جارية - إضافة إلى الجوارى اللاتى أوقفتهن » . (١)

وكانت هذه الطبقة محرومة من جميع الامتيازات وتخضع خضوعاً كاملاً لإمرة سادتهم . وما كان يحق لهم امتلاك ثروة بأى وجه من الوجوه كما ينظر إلى مواليدهن على أنهم أبناء غير شرعيين وما كان يؤخذ بشهادة هؤلاء الجوارى في المحاكم .

البغاء ودور الدعارة :

كان قوبيلاى قد أمر ببناء كثير من الفنادق في ضواحي مدينة بكين لينزل بها الجنود والتجار ، وكان يحيط بهذه الفنادق دور للبغاء بلغ عدد البغايا اللائى يمارسن هذا العمل خمسة وعشرون ألف بغى ، وقد جُعل على كل مائة ألف من هؤلاء البغايا ضباط مشرفون يأتمرون بأوامر قائد عام ، وعندما يصل سفراء مكلفون بأى عمل يتصل بمصالح الخان الأعظم فقد

---

(١) «پانصد نفر غلام خارج غلامانى كه وقف شده بفرزندان ذكور داده ام ، ديگر سيصد نفر كنيزك خارج كنيزانى كه وقف شده بفرزندان اناث داده ام»
- رشيد الدين فضل الله : مكاتبات رشيدى ، ص ٢٣٦ .

جرت العادة بالنفقة عليهم على حساب جلالته ولكى يعاملوا بأبلغ تكريم يؤمر القائد بتزويد كل فرد من أفراد السفارة كل ليلة بإحدى هؤلاء العاهرات ، التي يجرى تغييرها بالمثل كل ليلة ، وهى خدمة لا يتقاضين عليها أى أجر نظراً لأنها تعد شبه إتاوة عليهن أداؤها للعاهل . (١)

وقد استمرت دور البغاء في عهد الإيلخانيين كذلك ، بل ازداد وضعها سوءا حيث كانت هذه الدور تجاور المساجد والخوانق وبيوت الناس ، فكان ذلك الأمر سببا في مضايقة الخلائف لغيرتهم الشديدة على دينهم.

ومما زاد الطين بلة أن التجار والمستغلين الذين كانوا - يجلبون الجوارى من أطراف البلاد ، كانوا يفضلون بيعهن لأصحاب بيوت الدعارة ، الذين كانوا يدفعون أثمانا خيالية ، وكان أصحاب هذه البيوت يجبرون على ممارسة الرذيلة . (٢)

ولقد رأى غازان بحق أن فتح هذه المواخير وإجبار العاهرات على السكنى فيها لممارسة الرذيلة أمر محظور ومذموم ومخالف لأحكام الشريعة . (٣) ولهذا ينبغى المبادرة بعلاج الموضوع والعمل على غلق هذه البيوت ، ولكنه رأى أن هذه العادة كانت متبعة منذ قديم الأيام ، مما يتعذر

---

(١) رحلات ماركو بولو : الجزء الثانى ، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) رشيد الدين فضل الله : تاريخ غازان خان ، ترجمة د. الصياد ، ص٤٠٤.

(٣) يقول الله تعالى : ﴿ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء، إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ ، سورة النور : آية «٣٣» .

معه مكافحة البغاء دفعة واحدة . فلابد إذن من الحذر والتأنى والصبر مؤقتا على هذا المكروه ، وإذن فالسبيل إلى تحقيق هذا الهدف هو التدرج فى علاج الوباء .

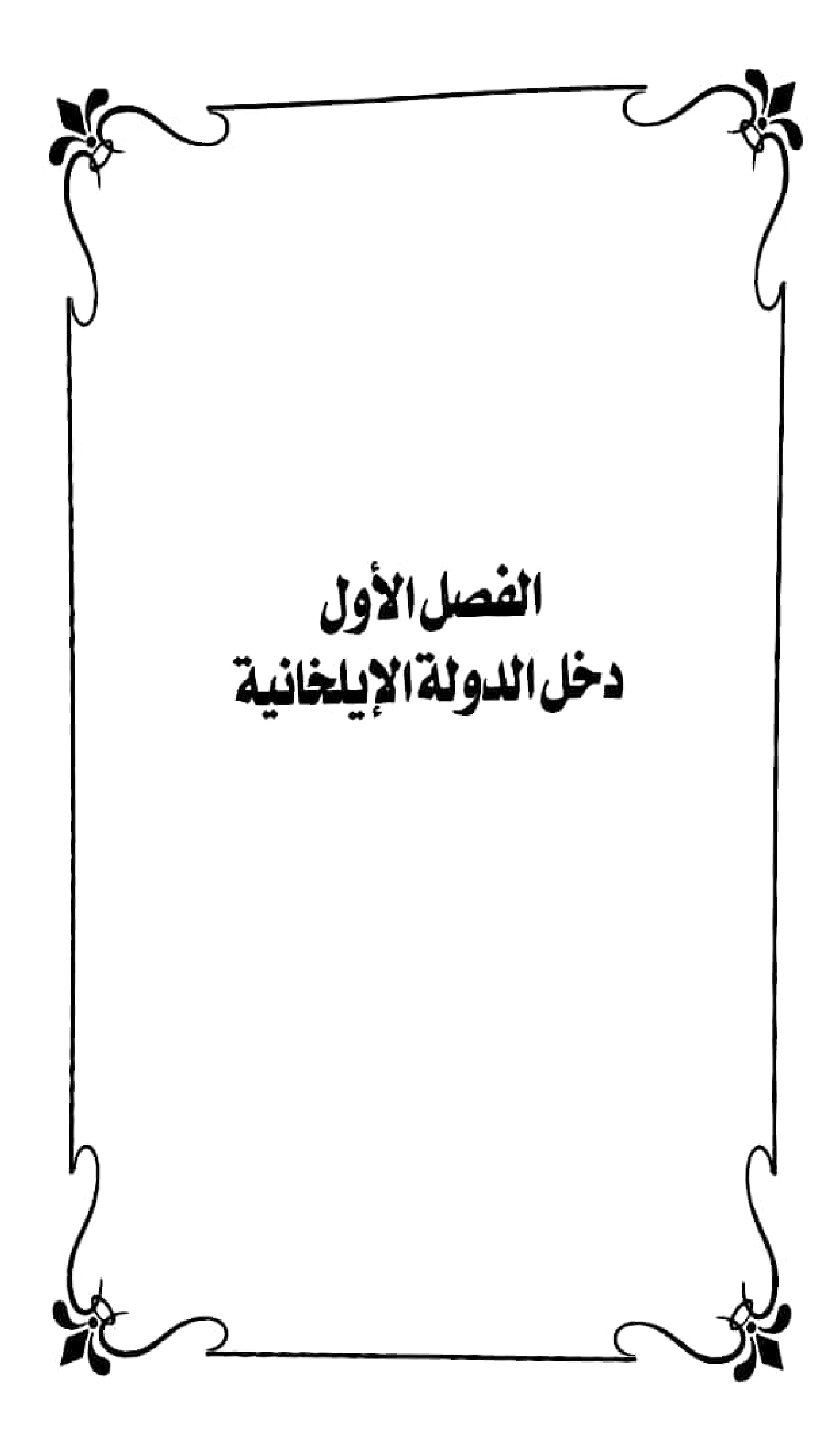
وبناء على هذا صدر مرسوم غازان خان الذى يقضى بأن كل جارية لا ترغب فى ممارسة الرذيلة فى بيوت الدعارة ، لا تباع إلى جماعة المشرفين عليها . وأما من يقمن فى تلك البيوت فإن كل من تريد أن تغادرها لتعيش عيشة شريفة لا تمنع من ذلك ، ويحدد لها ثمن تشترى به وتتزوج من الزوج الذى يقع عليه اختيارها . (١)

---

(١) جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ص٦٦ .



الباب الثانى
النظام الاقتصادى



الفصل الأول

دخل الدولة الإيلخانية

الفصل الأول
دخل الدولة الإيلخانية

تنوعت مصادر دخل الدولة الإيلخانية ، فقد كانت الغنائم والأسلاب التى كان يتم الاستيلاء عليها عند انتصارهم فى الحروب أحد هذه المصادر . ففى عهد « آباقا » - على سبيل المثال - عندما دخل فى حرب مع الشام ، وبعد أن دخل «حلب» دون مقاومة تذكر - فى البداية - ولكن وبعد أن اتفق الجميع على الوقوف في وجه المغول، ولّوا الأدبار بعد أن وقع فى أيديهم كثير من الأسلاب والغنائم . (١)

وكذلك فى عهد «غازان» عندما دخل فى عدة حروب مع سوريا في عام ٦٩٩ هـ، فبالرغم من الأمان الذى أقره «غازان» لأهل دمشق فقد عاد المغول ونهبوا الأماكن المحيطة بدمشق ونهبوا الأموال . (٢)

كما كانت مصادرة الممتلكات مصدراً آخر من مصادر دخل هذه الدولة . حيث كان بعض أفراد هذه الدولة يمتلكون ثروات طائلة ، وعندما كان أحدهم يقدم للمحاكمة، نتيجة لخطأ ارتكبه أو لوشاية أحدٍ ضده فإنه كان غالباً ما يُقتل ثم تُصادر أملاكه .

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ، ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

فعندما أراد «ارغون» (١) دخول الحرب ضد «أحمد تكودار»(٢) حرص على لقاء كبار الأمراء الذين تحت إمرتهم عدد كبير من الجند، وطلب نجدتهم قائلاً : «لقد استدعاني والدى أثناء حياته فذهبت إليه، حسب الأوامر ، بغير جيش فلما حللت هناك ، كان قد أسلم الروح، وكانت الأمور قد انقلبت رأساً على عقب ، ولما لم يكن معى جند، كان لا مفر لي من التسليم ، والآن إذا ساعدتمونى أنتم الأمراء ، فسوف استخلص بحد السيف تاج أبى وعرشه وأكون شاكراً لكم سعيكم ويبقى لنا حسن الذكر». (٣)

ولكن الحرب فى حاجة إلى نفقات باهظة ، ولابد لأرغون من

---

(١) هو ارغون بن آباقاخان بن هولاكو بن تولى بن جنگيز خان جلس على عرش الخانية بعد أن تمرد على عمه «أحمد تگودار» واستولى علي العرش سنة ٦٨٣هـ واستمرت مدة حكمه حوالى سبع سنوات إلى أن توفى سنة ٦٩٠هـ .
حمد الله مستوفى القزوينى : تاريخ گزيده ، باهتمام دكتر عبد الحسين نوائى، تهران ١٣٦٤هـ.ش ، ص ٥٩٥-٥٩٩ .

(٢) هو ابن هولاكو خان بن تولى بن جنگيز خان جلس على عرش الخانية بعد أخيه «آباقا» سنة ٦٨١ هـ وكان فى البداية يدعى بـ«تكودار اغلى» ولكنه عُرف باسم «السلطان أحمد» بعد اعتناقه للإسلام ، وحكم مدة عامين وشهرين إلى أن قتل فى سنة ٦٨٣ هـ.
-- يحيى عبداللطيف الحسين القزوينى : لب التواريخ ، تهران ١٣١٥هـ.ش ، ص١٤٢، ١٤٣ .

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمدانى : جامع التواريخ ، الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من آباقا إلى گيخاتو ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، ترجمة د/ فؤاد الصياد، ص ١٠٠ ، القاهرة ١٩٦٠م .

استرضاء الأمراء والجنود عن طريق مايغدقه عليهم من أموال وعطايا ، وهنا وجد المفسدون الفرصة سانحة للإيقاع بالخواجه «وجيه الدين زنگی»(١) فأخبروا «أرغون» أن هذا الرجل أثناء مباشرته عمله ، كان يستولى لنفسه على مبالغ طائلة، وبذلك حصل على ثروة كبيرة ، وبالإصغاء إلى هذه الترهات، وتلفيق هذه المفتريات طمع «أرغون» في الحصول على هذه الأموال فأمر باعتقال «وجيه الدين» وقيدوه بالسلاسل فجاءه زبانية جهنم فى عنف وقسوة ، ولكن لما كان هذا الرجل مطمئناً إلى سلامة موقفه، لم يطرأ عليه خوف ولم يُبدِ اضطراباً قط، (٢) ولم يحاول أن يستغيث أو أن يلجأ إلى أحد الخواص أو المقربين ليطلب إليه الوقوف إلى جانبه وعرف أن كل مايسعى إليه «أرغون» هو الحصول على المال بأى طريقة كانت ، فأسرع ودفع له «خمسمائة تومان» أى مايعادل خمسة ملايين دينار ولما وجد «أرغون» أن مقصده قد تحقق أعز «الخواجه وجيه الدين» وخلع عليه وكلفه مرة أخرى بمباشرة الشئون المالية فى خراسان . (٣)

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على شدة حرص «أرغون» على الحصول على المال بأية طريقة ، بصرف النظر عن مايمكن أن يفعله وجيه الدين مع الرعية بعد إعادة تعيينه مشرفاً على الشئون المالية ؛ وهذا معناه

---

(١) «وجيه الدين زنگی» كان المشرف على خراسان منذ عام ١٢٧٠م وحتى عام ١٢٨٢م .

بارتولد اشبولر ، تاريخ مغول در ايران ، ترجمه محمود مير افتاب ، ص ٣٤٢ .

(٢) فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ، ص ١٤١ .

(٣) ميرخواند : تاريخ روضة الصفا ، جلد پنجم ، ص ٣٣٤ .

أن مصلحة الرعية لم تكن موضوع اهتمام الحاكم قدْر ماكان يعنيه جمع المال .

ومن صور المصادرات الأخرى ماحدث مع الخواجه « شمس الدين محمد الجويني» الذى وزر مدة تسع وعشرين سنة لوالد أرغون وعمه وجده،(١) ورغم هذا فقد قدمه «أرغون» للمحاكمة بسبب التهمة التى وجهها إليه « الأمير بوقا» (٢) بأنه دس السم لوالد أرغون ، ولقد كان

(١) الجد هو هولاكو وحكم من ٦٥٦ هـ وحتى ٦٦٣ هـ .
أما الوالد فهو آباقا وحكم من ٦٦٣ هـ وحتى ٦٨٠ هـ .
أما العم فهو أحمد تگودار وحكم من ٦٨١ هـ وحتى ٦٨٣هـ .
ثم أرغون نفسه وحكم من ٦٨٣ هـ وحتى ٦٩٠ هـ.

(٢) هو الأمير «بوقا جينگسانك» وقد تولى إدارة شئون الوزارة فى عهد «أرغون خان» وقد اشترك بعد ذلك هو والخواجه شمس الدين فى شئون إدارة الممالك ، ولكن تحت تصرف (الأمير بوقا) الذى سرعان ماتخوف من (الخواجه شمس الدين) وأوقع بينه وبين «أرغون» حتى أمر أرغون بقتله ، حينئذ قال له الخواجه شمس الدين الجوينى :
« أيها الأمير لاتعمل على إيذائى ، ولا تعلم الملك قتل الوزراء ، فإنهم اليوم يقتلوننى وسرعان مايقتلونك أنت أيضاً فتأكد من ذلك . »
ولقد تحققت نبوءة «شمس الدين» فقد قتلوا «الأمير بوقا» بعد أن تأكد أن أخاه يختلس من أموال الضرائب فما كان أرغون إلا أن أمر بعزل أخى «بوقا» وسرعان ما تغير الخان علي «بوقا» وأصبح يمل حضوره وأخذ يضيق الخناق عليه ويحد من سلطته كما أمر بعزل نوابه وأتباعه من مناصبهم من الديوان .
فلما شعر «بوقا» بحرج موقفه فكر فى تدبير مؤامرة للإطاحة بأرغون وإحلال الأمير «جوشكاب» - وهو حفيد هولاكو - وكان فى ذلك الوقت حاكماً على المنطقة الواقعة على نهر الفرات إلا أن «جوشكاب» أسرع إلي أرغون وأطلعه =

الخواجه «شمس الدين» من أعظم الوزراء والعمال والكتاب الإيرانيين وما كان أحد يمتلك ثروة تعادل ثروته .(١) حتى أن صاحب «حبيب السير» يقول إن دخل ممتلكاته اليومي كان يصل إلى «مائة تومان» .(٢)

ويبدو أن صاحب «حبيب السير» قد بالغ كثيراً في تقدير حجم ماتدره ممتلكات «الخواجه شمس الدين الجويني» رغم كثرتها ، والدليل على هذا أنهم عندما طالبوا «الخواجه شمس الدين» بدفع ألفي تومان عجز عن تسديد هذا المبلغ وقدم فقط «مائة تومان» ذهب ثم إنهم عرضوا عليه أن يشترى نفسه بحيث لايهرق دمه ، فطلب المهلة لبيع أملاكه ، حينئذ حصل بطريق القرض من أصحابه وأهله ، على مايقرب من أربعين توماناً أخرى من الذهب وقال :

« هذا الذى قد حُصِّل ، ولايمكن أن يُحصل غيره فأنتم الذين تختارون

= على كل مايحاك ضده فأمر أرغون باعتقاله وقتل في عام ٦٨٧هـ وتتبعوا أعوانه وأنصاره وقتلوهم كما أعدموا أخاه ، كذلك قضوا قضاء مبرماً على ذرية «بوقا».

- حمد الله مستوفى القزوينى : تاريخ گزيده ، باهتمام دكتر عبدالحسين نوائى، ص٥٩٥.

- فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ، ص ١٥٥ .

(١) عباس إقبال : تاريخ مفصل ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجاريه، ص ٥٠٢، تهران ١٣١٢هـ .

(٢) خواندمير (غياث الدين محمد) : حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، جلد سوم ، ص١٢٧ .

فعله فافعلوه». (١)

فلو كان دخل «الخواجه شمس الدين» مثلما ذكر خواندمير «مائة تومان» في اليوم ما اضطر إلى الاقتراض بهذه الصورة ولاستطاع أن يفتدى روحه من الهلاك .

وليس معنى هذا أن ثروة «الخواجه شمس الدين» كانت هينة ، ولكنه طلب أن يُمهل فترة ليبيع شيئاً من ممتلكاته التى حددها فى وصيته حيث قال : « إن أملاكه الشاهنشاهية بلغت عشرة آلاف تومان » (٢)

ولما لم يتمكن «الخواجه شمس الدين» من تدبير المبلغ المطلوب منه تم قتله ومصادرة أمواله ولم يتوقف الأمر عند قتله فحسب بل إنهم قتلوا أبناءه الأربعة : يحيى وفرج الله ومسعود وأتابك ، حتى أنهم لم يرحموا الأطفال الأبرياء فأستأصلوا بذلك شأفة أسرة الجونيين . (٣)

وكذلك نجد المصادرة فى عهد «اولجايتو» حيث نُشاهد «سعد الدين الساوجي» وقد قُتل هو الآخر بأمر «السلطان اولجايتو» سنة ٧١١ هـ عندما ثبتت تهمة الخيانة عليه، وتمت مصادرة جميع ممتلكاته . (٤)

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : المشرق الإسلامي فى عهد الإيلخانيين ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٥٦ .

(٣) عبد الحميد آيتى : تحرير تاريخ وصاف ، تهران ، ص ٨٤ .

(٤) حسينقلى ستوده : مجموعهٔ خطابهاى تحقيقى در بارهٔ رشيد الدين ، فضل الله الهمدانى : «عوايد ودر آمد هاى خواجه رشيد الدين» ، ص١٣٩ ، تهران ، ١٢٥٠هـ.

كما أن معظم الفلاحين الذين فروا من أرضهم وهجروا قراهم قد تمت مصادرة ممتلكاتهم لتصبح جزءاً من دخل الدولة .

ولقد شكل صيد اللؤلؤ مصدراً ثالثاً من مصادر دخل الدولة الإيلخانية ، و ،يتضح هذا الأمر بجلاء مما ذكره «وصاف» من أن دخل الدولة من اللؤلؤ في ثلاث سنوات كان في حدود ١٥٠٠ من [١] ، ويذكر أن الغواصين كانوا يستخرجون في العام - الجيد الغوص - حوالى ٧٥٠ مناً من اللآلى ، أما في العام - المتوسط الغوص - فكانوا يستخرجون قرابة ٤٥٠ مناً ، وفي العام - الضعيف الغوص - كانوا يستخرجون قرابة ٢٥٠ مناً .[٢]

وربما كانت الضرائب أهم مورد لدخل الدولة الإيلخانية ، إلا أن هذه الضرائب قد تعددت وتكاثرت بحيث صارت عبئاً ثقيلاً على كاهل الرعايا ، ومما زاد الطن بلة ، أن معظم هذه الضرائب كانت تُجبى أكثر من مرة ، وكان الجباة يختلسون القدر الأكبر من هذه الضرائب ، فتظل خزانة الدولة بحاجة إلى المال بصورة مستمرة .

---

(١) المن أو المن التبريزى وهو يساوى ٥ / ٦ كيلو جرام ، وبقى هو السائد فى بلاد فارس حتى أواسط القرن الرابع عشر ، وفى عهد غازان أصبح وزن المن الشرعى ٢٦٠ درهما هو المعيار الرسمى للدولة .
فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ،ص ٣٢١ حاشية (٢) .

(٢) أديب شرف الدين عبدالله بن فضل الله الشيرازى ، المعروف بـ«وصاف الحضرة» : تاريخ وصاف ، ص ٣٣٦ ، بمباى ١٣٦٩ هـ.

ونظراً لأن هذه الضرائب قد تعددت مسمياتها، فسوف أجتهد في إلقاء الضوء عليها.

١- الخراج:

وهى الضريبة التى كانت تجبى على الأرض، وكانت نسبتها ٢ / ٥ من محصول الأرض، وكانت تدفع فى الغالب بصورة عينية، أما النواحى المجاورة للمدن فكانت تدفع الخراج نقداً. ولم تكن قيمة الخراج تدفع بنسب موحدة فى جميع الولايات، فقد ورد فى أحد مراسيم «غازان» أن تكون قيمة الخراج هى الثلث حتى الربع، أما خراج الأراضى الديوانية فى «خوزستان» فكان ٦ / ١٠ المحصول. (١)

كما أضيف إلى أصل الخراج مبلغ إضافى عرف باسم «فرع الخراج» كان يجبى بنسبة العشر من أصل الخراج. (٢)

٢- ضريبة القپچور:

وكانت ضريبة القپچور تجبى فى أول الأمر من ساكنى الصحراء على المراعى والماشية، فكان الجباة يجبون الصحارى ويطوفون بالقرى قرية

---

(١) ج.آ. بويل وديگران: تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تا فروپاشى دولت ايلخانان، جلد پنجم، ترجمهٔ حسن أنوشه، ص ٥٠٣، تهران ١٣٧٩ هـ.ش.

(٢) أديب شرف الدين عبدالله بن فضل الله الشيرازى المعروف بـ: وصاف الحضرة: تاريخ وصاف، ص ٤٣٨، ٤٩٩.

قرية، ويشرعون في عد المواشي ويأخذون رأساً من الماشية على كل مائة رأس من (الإبل والخيل والأبقار والحمير والأغنام). (١) فإذا كان عدد الماشية أقل من مائة تم إعفاء صاحبها .

ولما رأى الحكام أن دخل هذه الضريبة غيرُ كافٍ لسد احتياجاتهم فإنهم لم يتوقفوا عند حد فرضها على ساكني الصحراء وحدهم، بل اتسع مفهوم هذه الضريبة ليتم جبايتها من ساكني المدن كذلك ، وإن كانت تجبى بنفس الاسم إلا أنها كانت تحصل في صورة نقدية . (٢)

ومن هنا اضطرب مفهوم هذا المسمى حتي أننا نرى رشيد الدين يذكر بعض الولايات علي أنها «ولايات قپچورية» أى تجبى منها ضريبة القپچور، في حين يذكر ولاية أخرى مثل «خوزستان» . (٣) قائلاً : إن مايجبى منها

(١) شيرين بياني : تاريخ آل جلاير ، تهران ١٣٤٥ هـ، ص ٢١٧ .

(٢) ج. آ. بويل وديگران : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تا فروپاشى دولت ايلخانان ، ص ٥٠٣ .

(٣) يتألف إقليم «خوستان» من الأرض الرسوبية التي كونها «نهر كارون» وروافده الكثيرة وقد عرف العرب «نهر الكارون» باسم «دجيل الأهواز» وسمى «بدجيل» تصغير دجلة ، والأهواز لأنه يمر بمدينة الأهواز فميّزوه بذلك عن دجيل دجلة في أعلى بغداد .

ومعنى خوزستان بلاد الخوز ويكتب هذا الاسم أيضاً بصورة حوز، أو هوز ، وجمع الهوز بالعربية الأهواز ، وكانت الأهواز قاعدة الإقليم ، وقد بطلت تسمية هذا الاقليم بخوستان اليوم ، وصارت هذه الولاية التابعة لبلاد فارس تسمى «عربستان» أى أقليم العرب .

كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس كوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، سوريا ، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م ، ص ٢٦٧ .

هو الخراج فقط . (١)

ونرى ولايات أخرى «مثل فارس» (٢) يجبى منها القپچور والخراج معاً ، ويذكر رشيد الدين أن ضريبة القپچور هذه كان يتم تحصيلها عشر مرات في السنة، وأحياناً عشرين أو ثلاثين مرة . (٣)

ورغم أن «غازان» قد قام بإصلاحات في جميع النواحي، ومن بينها ضريبة القپچور، إلا أنه لم يحدد قيمة هذه الضريبة حيث كانت تجبى من كل ولاية على أساس نفقات جزافية معينة . (٤)

---

(١) محمد شفيع لاهورى : مكاتبات رشيدى لاهور ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٢) أخطأ اليونانيون عندما استعملوا اسم « إقليم فارس» على المملكة كلها، في حين أن الفرس أنفسهم يسمون بلادهم مملكة ايران وما فارس إلا إقليم واحد من أقاليمها الجنوبية .

كى ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٨٣ .

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمدانى : جامع التواريخ از هولاكو تيمور قا آن ، ص ١٠٢٤ ويرى صاحب كتاب تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ص ٥٠٢ أن هناك مبالغة في هذا الرأى، ويؤيده في هذا الرأى صاحب كتاب «كشاورزى ومناسبات ارضى» ذلك أن حياة الرعاة والفلاحين في ذلك الوقت لم تكن تسمح بدفع هذه الضريبة كل هذه المرات . ايليا پطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات ارضى در ايران عهد مغول ترجمهء كريم كشاورز ، تهران ١٣٤٧ هـ ، ص ٧٠٤ .

(٤) ج. آ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تا فروپاشى دولت ايلخانان ، ص٥٠٣ .

٣- ضريبة القلان :

وهى ضريبة غير واضحة المعالم ، ومن ثم فقد اختلفت الآراء حول تفسير ماهيتها . فيرى رشيد الدين أن هذه الضريبة تؤدى لخدمة الجند ، لكنه يعود ويذكر فى مكاتباته أن هذه الضريبة كانت تحصل لسد نفقات أمراء الجيش أثناء ذهابهم وإيابهم . (١)

ورغم هذا فإن رشيد الدين يذكر أن ما تم تحصيله من هذه الضريبة فى عهد غازان من ولايات خوزستان هو مبلغ ألف ومائتى دينار سنوياً وهو مبلغ زهيد . (٢)

٤- ضريب العلفة والعلوفة :

وهى تعنى المئونة والعلف لقادة الجند والجيش فى ناحية معينة . فمئونة الجند عبارة عن القمح والخراف والدجاج والشراب ، أما العلف فلخيل الجند . ومن العجيب أن يتم التوسع فى مفهوم هذه الضريبة حتى أنها كانت تجبى بصورة نقدية، وربما كان خير دليل على ذلك ما ذكره صاحب «تاريخ نامهء هرات» حيث يذكر أن أحد قادة الجيش الإيلخانى ويدعى «محمد سام» قد طلب من رؤساء مدينة «هراة» خمسمائة خروار(٣) من القمح ، وخمسمائة رأس من الأغنام ، وخمسين رأساً من

---

(١) محمد شفيع لاهورى ، مكاتبات رشيد ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) خروار : حمل الحمار ، حمل جمل ، أو جواد ، مائه من تبريزى من الغلة، ٣٠٠ كجم، طن ، المعجم الفارسى الكبير ابراهيم شتا (دكتور) ، ص ١٠٣٨ .

الخيل وثلاثين عبداً، وعشرة آلاف دينار نقداً لتجهيز جيشه . (١)

وكانت هذه الضريبة من الضرائب التى ترهق الرعايا إرهاقاً شديداً، وكانت سبباً فى زيادة فقر الرعايا والخراب الذى حاق بهم، خاصة وأن طريقة جبايتها كانت تتم بصورة مهينة لاتخلو من إلحاق الأذى بالمواطنين.(٢)

٥- ضريبة التغار : (٣)

وهى شديدة الشبه بالضريبة السابقة لكنها تحمل معنى أدق حيث كانت تدفع للجيش فى صورة عينية من الغلال والدقيق وكانت نسبتها «مائة من» من الغلال لكل خروار . (٤)

٦- ضريبة التمغا :

وهى ضريبة تم تداولها لأول مرة فى عهد المغول ، وكانت تجبى على

---

(١) سيف الدين بن محمد بن يعقوب هروى: تاريخ نامهء هراة ، ص٥٢٢ ، كلكته ١٣٦٢هـ- ١٩٤٣م .

(٢) ايليا بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات ارضى در ايران عهد مغول ، ص٧٤٠.

(٣) تغار : الزاد ، العلف .
سبك شناسى ، جلد سوم ، ص ٩٨ .

(٤) ايليا پطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات ارضى ، ص ٧٣٥ ، ٧٣٧ .

التجارة والحرف، بل لقد وصل الأمر إلى أنها كانت تجبى على البغاء. (١) كما كانت تجبى كذلك ممن يبيعون التموين والحطب ، عندما يحضر الفلاحون من القرى البعيدة لبيع حاجاتهم في الأسواق . (٢)

ويفهم من إحدى الرسائل التى أرسلها « رشيد الدين» إلى الشيخ «صدر الدين تركه» (٣) أن قيمة ضريبة التمغا عشرة بالمائة، (٤) وقد خفض غازان قيمتها في بعض المدن إلى النصف، وقام بإلغائها في مدن أخرى مدة من الزمن . (٥)

٧- ضريبة العوارض :

ورغم أن معنى هذه الضريبة هو الطوارئ أى أنها تجبى لأمر هام حدث

---

(١) ج. أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تا فروپاشى دولت ايلخانان ، ص٥٥ .

(٢) مرتضى راوندى : تاريخ اجتماعى ايران ، جلد پنجم ، تهران ، ١٣٥٧ هـ.ش ، ص ١٤٤ .

(٣) الخواجه صدر الدين محمد تركه كان من فحول العلماء والمجتهدين المعاصرين «لرشيد الدين» أصله من «خجند» تركستان ، هاجر جده من هذه المدينة إلى إيران، ولما كانت لغته هى التركية عُرف أبناؤه بأسرة «تركه» وكان صدر الدين هذا هو رأس الأسرة التى تقطن إصفهان .
فؤاد الصياد (دكتور) : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل اله الهمدانى، حاشية ٢ ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ، ص٤٢٥ .

(٤) محمد شفيع لاهورى : مكاتبات رشيدى ، ص ٣٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص١٢١ .

في ذلك الوقت واستدعى جبايتها إلا أنها أخذت صفة الدوام، وكانت تشكل هي الأخرى عبئاً على المواطنين .(١)

٨- ضريبة الطبغور (التبغور) :

وهي ضريبة خاصة بتجهيز الجند كما يذكر «وصاف» ، حيث يقول إنها مخصصة «لإعداد الجند المنصورين - كثرهم الله ونصرهم - فهم المسئولون عن حفظ الثغور». (٢)

٩- ضريبة الرؤوس (سرانه عمومى) :

ولاينبغي أن نخلط بين هذه الضريبة وبين الجزية التي كانت تؤخذ من غير المسلمين فقد تم إيقاف تحصيل الجزية بعد انتصار المغول ، فلما اعتنق غازان الإسلام قرر تحصيل الجزية من أهل الذمة ، لكنه عاد فألغاها استجابة لشفاعة أحد الأساقفة النسطوريين ، فلما جاء الدور علي «أولجايتو» ٧٠٦هـ - ١٣٠٦م » أعاد الجزية مرة أخرى . (٣)

---

(١) ايليا بطروشفسكي : كشاورزى ومناسبات ارضى در ايران عهد مغول، ص ٧٣٤
(١) شرف الدين الشيرازى وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص ٤٣٨ .
(٣) ج . أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تافروپاشى دولت ايلخانان ، ص ٥٠٥، ٥٠٦ .

١٠- ضريبة حصر البساتين (باغ شماره) :

وكانت تؤخذ عن ثمار البساتين بصورة نقدية أو عينية، وهي ضريبة قديمة كانت تجبى منذ زمن «كسرى الأول أنوشروان» (١) عن مزارع العنب والنخيل والزيتون والأشجار المثمرة الأخرى ، وكانت تجبى في عهد «أنوشروان» بصورة نقدية. (٢)

وقد استمرت الضريبة في عهد المغول ، وورد ذكرها في تاريخ «وصاف» فبين أنها تعرف باسم «ضريبة الثمرة (٣) ويبدو أن «ضريبة الثمرة» وضريبة «حصر البساتين » مسميان لشئ واحد . (٤)

وقد وردت هذه الضريبة في مكاتبات «رشيدى» حيث يعتقد «ايليا بطروشفسكى» أن ماذهب إليه ناشر «مكاتبات رشيدى» - «محمد شفيع» من أن الكتابة الصحيحة لهذه الكلمة هي «ثمار» بالثاء وليست «تمار» بالتاء. (٥)

---

(١) هو كسرى الأول بن قباد من ملوك الساسانيين ، وهو الذى قضى على مزدك وأتباعه ، وبعد دخوله الحرب مع قيصر الروم وإنتصاره عليه - أمر قيصر الروم بدفع الضريبة إلى إيران .
زهراى خانلرى (دكتر) : فرهنگ ادبيات فارس ، ص ٧٣-٧٤ ، تهران ١٣٤٨هـ .

(٢) ارثر كريستنسن ؛ إيران في عهد الساسانيين ، ترجمه الدكتور يحيى الخاب ، ص ٣٥١، القاهرة ، ١٩٥٧م .

(٣) وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص ٤٣٩ .

(٤) ايليا بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات ارضى ، ص ٧٤٤ .

(٥) ايليا بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات ارضى ، ص ٧٤٤ .

١١- ضريبة التفاوت والتوفير :

وهي ضريبة تعني الإضافة أو (الضريبة الإضافية) ويطلقون عليها كذلك الإضافة على الضريبة. (١)

وكان بالإمكان الوصول إلى الحد الأعلى لميزانية الضرائب بمقتضى جباية هذه الضريبة. (٢) وهي أشبه بالضريبة على الدخل في الوقت الحاضر .

وكانت هذه الضريبة مرادفة لضريبة أخرى ظهرت في ذلك الوقت وتعرف باسم «الزوائد». (٣)

ولم تذكر المصادر شيئاً عن تفاصيل هذه الضريبة أو قيمتها. (٤) ويبدو أن عدم ذكر قيمتها مرتبط بنسبة النقص في ميزانية الضرائب، ولهذا السبب فإنها تحدد وفق مايرى الحاكم .

١٢- ضريبة الإخراجات :

وهي ضريبة خاصة بالإنفاق على استقبال أصحاب المناصب ومرافقيهم . (٥) لكن هذه الضريبة كانت تُجبى في بعض الأحيان بصورة

---

(١) محمد شفيع لاهوری ، مكاتبات رشیدی ، ص١١ .
(٢) ایلیا بطروشفسکی : كشاورزی ومناسبات ارضی ، ص ٧٣٠ .
(٣) وصاف الحضرة : تاریخ وصاف ، ص ٣٢٦ .
(٤) ج. أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ص ٥٠٦ .
(٥) ایلیا بطروشفسکی : كشاورزی ومناسبات ارضی ، ص ٧٤٨ .

مؤقتة وتجبى في أحيان أخرى بصفة دائمة . (١)

١٣- ضريب الحرز والتخمين :

الحرز من الناحية اللغوية معناه التقدير ، والتخمين معناه القياس ، فكان الجباة يتوجهون إلى الأراضي التي لم تحدد عليها الضرائب (٢) عندما يحتاج جهاز الدولة أموالاً .

وكانوا يقومون بتقدير الضرائب المقررة على هذه الأراضي بصورة جزافية ، أو قياساً على ضرائب مشابهة . (٣)

١٤- ضريب الطرح :

وهذه الضريبة لها معنيان المعنى الأول هو إكراه الفلاحين على بيع محاصيلهم إلى خزانة الدولة بثمن أقل كثيراً من ثمنها الحقيقي الذي تباع به في الأسواق ، والمعنى الثاني لهذه الضريبة هو إكراه الناس على شراء نفس المحاصيل من خزانة الدولة بأضعاف ثمنها في السوق . (٤)

وربما كان خير مثال لهذه الضريبة ماذكره «وصاف» في تاريخه من أن أهل «فارس» اضطروا إلى بيع «حمل القمح» إلى خزانة الدولة بمبلغ ستة

---

(١) ج . أ . بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ص٥٠٦ .
(٢) شيرين بياني : تاريخ آل جلاير ، ص ٢١٧ .
(٣) ج . أ . بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ص ٥٠٧ .
(٤) ايليا بطروشفسكي : كشاورزى ومناسبات ارضى ، ص ٧٥٧ .

دينارات، في وقت كان يتم العثور عليه بصعوبة بمبلغ ثلاثين ديناراً. (١)

١٥- ضريبة ساوري :

وهي كلمة مغولية ترادف كلمة «پيشكش» في الفارسية أي «الهدية»، وهي هدية إجبارية كان على الرعية أن يقدموها عند مقدم الإيلخان أو أحد أعضاء أسرته، أو عند قدوم أحد الأعيان والأكابر، كما كان عليهم أن يقدموا الهدايا في الأعياد كذلك. (٢)

١٦- ضريبة البيغار (السخرة) :

وكانت هذه الضريبة تطلق على العمل الإجباري ، مثل شق القنوات وتشيد القلاع والقصور، وإنشاء الطرق، وكانت هذه الأعمال غاية في الصعوبة فقد لقي آلاف الأشخاص حتفهم في القيام بها كما نفقت أعداد هائلة من الدواب أثناء تنفيذ هذه الأعمال . (٣)

١٧- ضريبة الألاغ :

و«ألاغ» كلمة مغولية بمعنى الدّابّة، وكانت هذه الضريبة تفرض على الفلاحين لتوفير الدواب والبغال الخاصة بخدمات البريد (يام) وخدمات

---

(١) وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص٣٦٣ .

(٢) ج.أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ص ٥٠٧ .

(٣) اى . پ . بطروشفسكى وديگران : تاريخ ايران از دوران باستان ، تاپايان سده‌ٔ هيجدهم ميلادى ، ترجمهٔ كريم كشاورز ، تهران ، ١٣٥٤هـ ، ص ٣٦١ .

السفراء وقواد الجيش. وكانت هذه الضريبة تمثل عبئاً ثقيلاً على الرعية، فإنهم لم يرغموا على توفير الدواب فحسب بل إنهم كانوا مكرهين على توفير علف الدواب كذلك. (١)

١٨- ضرائب خاصة بالجباة :

كان جباة الضرائب يحصلون على مبلغ عشرين فى المائة إلى أصل الضريبة لتغطية نفقاتهم وعلف خيولهم ونفقات مرشديهم الذين يقومون بإرشادهم من قرية إلى أخرى . (٢)

١٩- ضريبة نزوله (نزوله إجلال) :

وكانت هذه الضريبة تعنى توفير المساكن لكل أمير من أمراء المغول، أو مندوب رفيع المقام فى الدولة ، عندما ينزل علي مدينة أو قرية، حيث كان يشغل هو ومرافقوه وخدمه مئات المنازل ، وكان خدم الأمير يسرقون كل شئ تطاله أيديهم من أموال صاحب البيت ، كما كانوا يعتدون على شرف نسائه ، ويتعاملون مع أصحاب البيوت باستهزاء وسخرية ، حتى أن القرويين وسكان المدينة كانوا يتعمدون أن يتركوا بيوتهم نصف خربة لكى لاتكون مقصداً لنزول أى قادم . غير أن هذه الحيلة بدورها لم تنطل

---

(١) اى . پ. بطروشفسكى وديگران : تاريخ ايران از دوران باستان ، ترجمهء كريم كشاورز ، تهران ، ١٣٥٤هـ ، ص ٣٦١ .

(٢) شيرين بيانى : تاريخ آل جلاير ، ص ٢١٧ .

عليهم، فقد كان هؤلاء يتوالون عليهم بلا انقطاع . (١)

كما كان الإيلخانيون يقومون بجباية الضرائب على الأسواق والدكاكين والعبيد والجوارى ، فلا عجب إذن أن يهجر القرويون البائسون أرضهم جماعات جماعات، ويفرون فى كل صوب ، فظل القسم الأعظم من الأرض بدون زراعة، وتخلى عنه الزراع وأفلست خزانة الدولة بالكامل ، فما عاد هناك إنسان بوسعه أن يدفع هذا الخراج أو تلك الضرائب وحتى المبالغ الزهيدة التى كانت تجبى بصعوبة ، ما كانت تصل إلى الخزانة ، فقلت التجارة داخل البلاد . (٢)

أما فترة غازان فكانت هى الفترة التى تم فيها الرخاء والازدهار ، وقلت فيها الضرائب مع تعديل أسلوب جبايتها .

أسلوب جباية الضرائب :

أما أسلوب جباية الضريبة عند الإيلخانيين فكان على ثلاثة أنواع هى: الضمان، الإقطاع ، الجباية المباشرة . وسأتحدث عن كل نوع منها :

---

(١) اى . پ. بطروشفسكى وديگران : تاريخ ايران از دوران باستان ، ترجمه كريم كشاورز ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٢) اى . پ. بطروشفسكى وديگران : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ .

فالضمان :

هو أن يتعهد أحد الأشخاص بتقديم مبلغ معين للحكومة عن منطقة من المناطق مقابل جبايته للضرائب لنفسه .

أما الإقطاع :

فهو أن تقطع المنطقة أو المدينة أو غيرها لأحد الأفراد مقابل دفع حصة معينة من ضرائبها للحكومة .

وأما الجباية المباشرة :

فهي أن يكون للحكومة موظفون يقومون بجباية الضرائب طبقاً لأوامرها . (١)

وكان الضامن أو المقطع يقوم بجباية الكثير من المال لنفسه إضافة لما هو مكلف بدفعه إلى الحكومة ، ومن ثم فقد شاع الفساد بين الحكام وجباة الضرائب .

وكان ذلك من بين الأسباب التى دفعت بعض الخانات إلى مصادرة أموال بعض الحكام والضمناء والجباة وتعذيبهم والفتك بهم ، بل كانوا يتعمدون غض النظر عن تصرفاتهم فى سبيل الحصول على الأموال اللازمة منهم كما سبق أن رأينا بالنسبة «لأرغون» و «وجيه الدين زنگى» .

ونتيجة لهذا الوضع السئ فقد جلا أكثر الرعايا فى البلاد عن وطنهم

---

(١) جعفر حسين خصباك : العراق فى عهد المغول الإيخانيين ، ص ١١٤ .

فخلت المدن والقرى من السكان وبقيت خاوية على عروشها ، ولم يستطع العديد من الرسل إعادة واحد من الرعية إلى مقره، أما أولئك الذين كانوا قد بقوا في مدنهم فقد سدوا أبواب منازلهم بالحجارة وضيقوا مداخلها ، وكانوا يروحون ويجيئون عن طريق أسطح منازلهم ويهربون خوفاً من الجباة . (١)

فلما اعتلى «غازان خان» العرش ورأى أمور الرعية على هذا المنوال وتأكد من أن خزانة الدولة خاوية رغم كثرة الضرائب وتنوعها رأى أن إصلاح حال الضرائب هو الخطوة الأولى التي تمكنه من المضى في بقية الإصلاحات الأخرى(٢) ، ومن ثم فقد هداه تفكيره لإصدار فرمان بإقامة دور خاصة للرسل في البلاد ومنع الشحنة والحكام من النزول في منازل الناس .(٣)

فنجح بذلك في تخليص الرعية من الضريبة التي سبق الحديث عنها وهي ضريبة «نزولة الإجلال» . بحيث لايُرسل رسول واحد من كل مائة أو مائتين من الرسل والأتباع ، الذين كانوا من قبل يذهبون عبثاً إلى الولايات إلا إذا كان إيفاده لتصريف مصالح الملك الضرورية ، وأن يذهب لأداء هذه

---

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ترجمه د. فؤاد الصياد ، ص ٢٨٥ .

(٢) ريبكا (يان) : تاريخ ادبيات ايران از دوران باستان تا قاجاريه ، ترجمه دكتر عيسى شهابى ، تهران ، ١٣٥٤هـ.ش. ، ص٣٩١ .

(٣) رشيد الدين فضل الله : تاريخ مبارك غازانى ، ص٢٩٨ .

المهمة الرُسل العداءون ، وسعاة البريد الذين لايرون قرية ولا مدينة ، ويكون توقفهم فقط لطعام يتناولونه على عجل، أو لركوب جواد آخر ، أو لقضاء حاجة، وإذا دعت الضرورة إلى إيفاد أحد الرسل لتحصيل الأموال، فإنه أمر بتشييد دور خاصة لضيافة الرسل كي ينزلوا فيها في المدن ، وقد زودت هذه الدور بالفراش وملابس النوم، وكل ما يحتاج إليه ، كذلك خصصت مبالغ من الأموال تنفق دائماً على هذه الدور وتعميرها.(١)

كما كان من بين إصلاحاته الخاصة بالضرائب أنه إذا سدد الرعايا الضريبة نقداً فإنه لايجوز للجباة أن يستبدلوا بها بضاعة عينية ، وإذا جاء أحدهم ببضاعة بدل النقد فإن عليه أن يحملها إلي السوق ويبيعها ، ويأتي بثمنها نقداً إلى الخزانة . (٢)

وبمقتضى هذا المرسوم يكون «غازان» قد ألغى ضريبة الطرح السابقة. وإن دل هذا الأمر على شئ فإنما يدل على مدى تحرى «السلطان غازان» الدقة في البعد عن ظلم الرعية وتوخية العدل في تصرفاته والبعد عن استغلال الرعية كما كان يفعل الحكام السابقون .

كما ألغى «غازان خان» الضرائب الاستثنائية (٣) ومنع تحصيل

---

(١) رشيد الدين فضل الله : تاريخ مبارك غازانى ، ص٤٠٠ .

(٢) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، ازآغاز سلطنت هولاكو ، تاغازان خان، جلد دوم ، ص ١٠٣٢ .

(٣) الضرائب الاستثنائية : وهى كما سبق وأشرنا مثل ضريبة التفاوت والتوفير وضريبة الزوائد ، وضريبة الإخراجات .

نفقات توفير العلف لدواب الجباة والرسل . (١)

وأمر بتحديد المبالغ المقررة على الولايات على أن تعلن بياناتها على الأهالي دون زيادة أو نقصان بحضور القضاة والسادات والأئمة العدول والأكابر في المدينة، ويلزم كل واحد من السكان في كل قرية وموضع بأن يسدد سريعاً الأموال والرسوم وفق كل قائمة معلقة في تلك الولايات .. على أن يخصص موضع لبيان الأموال العينية، وكذلك البضائع المقررة ومقدارها بحيث يكون سداد كل قسم من تلك الأقسام في الموعد المحدد. (٢)

وقد حال الموت الفجائي لغازان سنة ٧٠٣ هـ دون تحقيق كثير من إصلاحاته. (٣) حتى أن غازان أوصى وهو على فراش الموت توصية صريحة بالحفاظ على نظام ضرائبه . وطلب من «أولجايتو» أن يقتفي أثر برامجه. (٤)

ورغم أن «أولجايتو» قد أمر بعدم فرار القرويين سنة ٧٠٥ هـ إلا أن الفوضى السابقة سرعان ما أطلت برأسها مرة أخرى فقد تم إلقاء القبض على «سعد الدين» - صاحب الديوان - بتهمة اختلاس ثلاثمائة ألف

---

(١) رشيد الدين فضل الله : تاريخ غازان خان ، ترجمه د. فؤاد الصياد ، ص ٢٩٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص٢٩٩ .
(٣) بارتولد اشبولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٣١٩ .
(٤) وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص ٤٦٧ .

دينار. [١]

وفى عام ٧١٦ هـ - ١٣١٦ م - عام وفاة اولجايتو - أراد الأمير «يساول» حاكم خراسان أن يقيم حفل زواج لابنه فقرر ضريبة «عوارض» على ولاية خراسان قدرها ثلاثمائة ألف دينار، وكان نصيب مدينة هراة منها مبلغ خمسون ألف دينار، فتوجه نائبان إلى هذه المدينة وبصحبتهم خمسون فارساً وأخرجوا أهل المدينة بالهراوات من المسجد الجامع مقيدين، وفرضوا علي كل فرد مابين مائة دينار ومائتى دينار، وأخذوا يجمعون هذه المبالغ بالضرب والشتم والإيذاء، حتى أصيب مايقرب من مائتى شخص من أهل المدينة، ولم يكد يحل المساء حتى كان الجباة قد جمعوا المبلغ المطلوب. [٢]

وربما كان خير معبر عما يدور بصدور الناس من مثل هذا الموقف ماذكره الشاعر «ربيعى» [٣] حيث يقول ماترجمته :

---

(١) بارتولد شبولر : تاريخ مغول در ايران، ص ٣٢٠ .

(٢) سيف الدين محمد هروى : تاريخ نامهء هراة، ص٦٤٩ .

(٣) ربيعى : هو أحد شعراء النصف الأول من القرن الثامن الهجرى وهو أحد شعراء الحماسة التاريخية المشهورين فى إيران .

ولما كان أبوه خطيباً لمدينة فوشنج (من أعمال هراة) فقد أطلقوا على ربيعى لقب (ابن الخطيب) أو (ابن خطيب فوشنج) وكان ربيعى يلقب كذلك بلقب (صدر الدين) ويدعو نفسه (يتخلص) فى أشعاره باسم (ربيعى).

ذبيح الله صفا (دكتر) : تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم بخش اول، تهران ١٣٥٣ هـ.ش، ص ٦٧١-٦٧٢.

وأطلق الصغير والكبير ألسنتهم بالدعاء
عليه بسبب سلوكه وتصرفاته . (١)

ولم يعد مجدياً فى الواقع منع الجباة من المبالغة فى طلب الضرائب . وفى السنوات الأولى من عهد «أبى سعيد» تعرضت فارس لكثير من الخراب ، ورغم أن الوزير «غياث الدين بن رشيد الدين» (٢) اجتهد للحيلولة دون المزيد من الخراب إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل ، ولهذا السبب فإننا نؤيد رأى اشپلر أن دخل الضرائب أخذ ينحدر بسرعة وتقل نسبته كثيراً عما كان عليه قبل المغول . (٣)

---

(١) كه ومه از آن راه وآيين او گشاده زبانها بنفرين او
سيف الدين محمد هروى : تاريخ نامهٔ هراة ، ص ٦٤٩ .

(٢) الخواجه غياث الدين ابن رشيد فضل الله ، عهد إليه السلطان أبو سعيد بالوزارة سنة ٧٢٧هـ ، واستمر فى منصب الوزارة إلى أن توفى السلطان أبوسعيد سنة ٧٣٦هـ ، ونظراً لأن أبا سعيد لم ينجب أولاداً ذكوراً وكان غازان خان - أثناء توليه العرش - قد تخلص من أمراء أسرة هولاكو ، إما بقتلهم وإما بتجريدهم من امتيازاتهم ، فلما توفى السلطان أبو سعيد لم يكن هناك أمير يصلح لتولى الحكم بعده فانقسم الأمراء على أنفسهم ، واختلفوا على اختيار الشخص الذى يصلح لأن يقوم بتلك المهمة ، وكان الخواجه غياث الدين محمد بن رشيد الدين وزير السلطان أبو سعيد أعظم شخصية في ذلك الوقت فاستطاع أن يمسك زمام الموقف وأن يظهر مقدرة فائقة فى تكييف الحواث والتغلب على الصعوبات ، فمجمع الأمراء والقواد الذى كانوا فى نزاع مستمر وأصلح بينهم وجعلهم يتفقون على تنصيب آرباخان .

- فؤاد الصياد (دكتور) : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله ، ص١٩٤-١٩٩ .

(٣) بارتولد اشپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٣٢٠ .

وقد امتدت ضريبة «التمغا» لتشمل مختلف البضائع التجارية فكان على البائع أن يدفع ديناراً عن كل أربعة دنانير . (١)

وكانت الضرائب التى تُجبى من التجار تشكل ركناً أساسياً من أركان دخل الدولة الإيلخانية ؛ وإن كان العبء الأكبر من هذه الضرائب يقع على صغار التجار، أما كبار التجار والصناع الذين انضووا تحت حماية الإيلخان فكانوا يحظون بتسهيلات ضريبية كبيرة ، حيث كان هؤلاء الصناع والتجار يقدمون جزءاً من مصنوعاتهم وتجارتهم إلى الخزانة ، ويقومون بأعمال إجبارية متنوعة كالمشاركة فى تشييد الأبنية العامة وتزيين المدينة عند قدوم الإيلخان والأمراء وغير ذلك . (٢)

وقد ازدادت العلاقات التجارية بين الصين وإيران فى عهد هولاكو حيث كانت إيران تستورد المنسوجات الحريرية والأوانى الصينية من الصين، وكانت إيران تصدر إلى الصين السجاد والعود والبهارات والمنمنمات . (٣)

---

(١) شيرين بيانى : تاريخ آل جلاير ، ص٢١٨ .

(٢) اى. پ. بطروشفسكى : تاريخ ايران از دوران باستان، ترجمهٔ كريم كشاورز، ص٢٦٣-٢٦٤ .

(٣) الراوندى : تاريخ اجتماعى واقتصادى، ص ١٣٨ .

وفي عهد «غازان خان» ذاعت شهرة «بادغيس» (١) بتصدير الفستق. (٢)

ومن الممكن معرفة دخل الضرائب التي كان يحصلها ديوان الدولة الأعظم في عهد الإيلخانين. فبناءاً على رواية «وصاف» وقبل أن يصل «غازان» إلى الحكم كان يصل إلى الديوان كل عام ثمانية عشر مليون دينار أما حمد الله القزويني فيحدد هذا المبلغ بمقدار سبعة عشرة مليون دينار وزاد بعد إصلاحات غازان فوصل إلى واحد وعشرين مليون دينار لكن هذا المبلغ انخفض مابين سنة ٧٣٦ هـ - ٧٤١ هـ / ١٣٣٥ - ١٣٤٠م، ووصل إلى ١٩,٢٠٣,٨٠٠ دينار. (٣)

---

(١) بادغيس : هي احدى مدن خراسان ويوجد بها غابة من أشجار الفستق طولها خمسة فراسخ وعرضها خمسة فراسخ، ويذهب أهل مدينة هراة وبقية المدن الأخرى إليها في موسم محصول الفستق ليحمل كل واحد منهم مايريده من هذا المحصول. ومعنى «بادغيس» بالفارسية «هبوب الريح» أو «قيام الريح» لأن كلمة «باد» تعني الريح، وكلمة «غيس» محرفة عن «خيز» بمعنى «هبوب». فكانت التسمية في الأصل : «بادخيز» ثم نطقت «بادغيس».
وترجع شهرة هذه المدينة المعنوية إلى ظهور حنظله البادغيسي - أحد رواد الشعر الفارسي - منها.
حمد الله مستوفي القزويني، نزهة القلوب، بخش نخست از مقالهء سوم، ص١٨٨-،١٨٩ وكذلك :
نظامي عروضي سمرقندي : چهار مقاله، حاشية (١)، ص٦٩.
وأيضا : محمد دبير سياقي : پيشاهنگان شعر فارسي (سده هاى سوم وچهارم وآغاز سده پنجم هجرى)، تهران، ١٣٥١ هـ.ش، ص٢.

(٢) بارتولد اشپولر : تاريخ مغول، ايران، ص ٤٣٣.

(٣) ج. أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تا فروپاشي دولت ايلخانان، ص٤٧٠.

وبمقارنة هذه الأرقام بدخل الدولة فى العهد السلجوقى والذى ذكره حمد الله المستوفى فى مؤلفه يتضح مايلى :

	الضرائب الديوانية قبل عهد المغول	الضرائب الديوانية من ٧٣٥ هـ - ٧٤٠ هـ/ ١٣٣٥م - ١٣٤٠م
عراق العراب (١)	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠
عراق العجم	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٢,٣٣٣,٦٠٠
اللور الكبرى	--	٩٠,٠٠٠
اللور الصغرى	--	٩٠,٠٠٠
آذربيجان	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	٢١٦,٠٠٠
آران وموقان	٣,٠٠٠,٠٠٠	٣٠٣,٠٠٠
شروان	١,٠٠٠,٠٠٠	١١٣,٠٠٠
گشتافى	١,٠٠٠,٠٠٠	١١٨,٥٠٠
گرجستان وأبخاز	١,٠٠٠,٠٠٠	١,٢٠٢,٠٠٠
الروم (آسيا الصغرى)	١٥,٠٠٠,٠٠٠	٣,٣٠٠,٠٠٠
أرمنيا الكبرى	٢,٠٠٠,٠٠٠	٣٩٠,٠٠٠
ديار بكر وديار ربيعة	١,٠٠٠,٠٠٠	١٩٢٥,٠٠٠
كردستان الشرقية	٣,٠٠٠,٠٠٠	٣٢٥,٠٠٠
فارس	١٠,٥٠٠,٠٠٠	٢,٨٧١,٢٠٠
شبانكاره	٢,٠٠٠,٠٠٠	٢٦٦,١٠٠
كرمان ومكران (٢)	٨٨٠,٠٠٠	٦٧٦,٥٠٠
المجموع الكلى	١٠٠,٥٨٠,٠٠٠	١٩,٢٠٣,٨٠٠

(١) حمد الله المستوفى : نزهة القلوب ، ص ٣٧ - ٥٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص٥٦ - ١٧٢ .

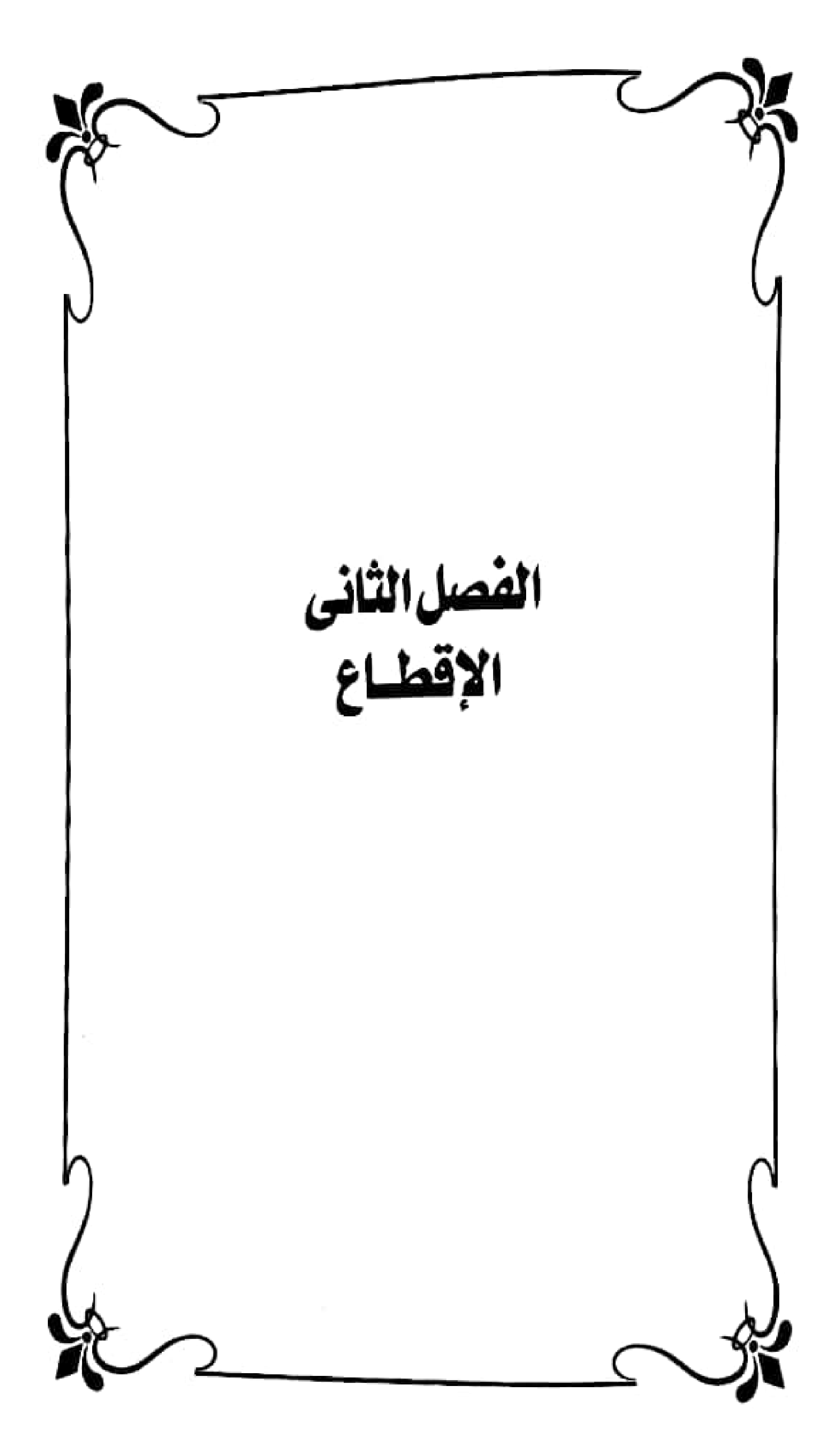
وعلى هذا النحو فإن دخل الديوان - حسب قول حمد الله القزويني - مابين أعوام ٧٣٥-٧٤٠هـ / ١٣٣٥-١٣٤٠م كان يصل إلى مبلغ ١٩,٢٠٣,٨٠٠ دينار، مقابل ١٠٠,٥٨٠,٠٠٠ قبل الإيلخانيين .

وبعبارة أخرى فإن دخل الديوان الإيلخاني كان يمثل ١٩٪ (تسعة عشر في المائة فقط من العهد السابق عليه) . (١)

كما كانت الضرائب المفروضة على الزراعة تشكل ركناً آخر من أركان دخل الدولة الإيلخانية وسوف يرد الحديث عن هذا الجانب بالتفصيل في الفصل القادم .

---

(١) ج . أ . بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ص ٤٧١ .



الفصل الثانى
الإقطـاع

الفصل الثانى
الإقطاع

كانت الأراضى الزراعية فى عهد الإيلخانيين تنقسم إلى أربعة أقسام :

١- أراضى الدولة « ديواني »

٢- أراضى الخاصة السلطانية « اينجو »

٣- أراضى الأوقاف

٤- الأملاك الخاصة . (١)

وسوف ألقى الضوء على كل قسم من هذه الأقسام :

(١) أراضى الدولة :

فبعد غلبة المغول اتسعت رقعة الأراضى الديوانية عن طريق المصادرة ، وقتل ملاك الأراضى الزراعية ، واغتصاب ممتلكاتهم .

ورغم اتساع رقعة أراضى الديوان فقد أدى اختلاس الحكام وعمال الديوان والجباة إلى تدهور الوضع الاقتصادى بحيث تم بيع جزء من أراضى الديوان لتتحول إلى أملاك خاصة ، كما حدث فى عهد « أرغون » ، حيث

---

(١) ج. أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تا فروپاشى دولت إيلخانان، ترجمهٔ حسن انوشه ، ص ٤٨٨ .

رأى الخواجه فخر الدين أحمد أركوش «[١] الذى شغل منصب الوزارة فى بلاد الروم أن دخل مملكة الروم لا يفى بنفقات الأمراء والجند هناك ، فأمر ببيع أملاك الديوان إلى أصحاب المناصب بحيث تحولت معظم أراضى الروم إلى ملكية خاصة فاجتهد الفلاحون في زراعتها مما أدى إلى عمران البلاد بهذه الوسيلة بعد أن كانت الأمور تنحدر إلى مزيد من الخراب. [٢]

ومن ثم فقد زادت أراضى الاملاك الخاصة على حساب أراضى الديوان فى تلك المناطق .

ولم يكن بيع أراضى الديوان هو السبب الوحيد لتقليص رقعتها ولكن الإيلخان كان بوسعه أن يقدم لكبار رجال الديوان والعلماء ورجال الدين جزءا من هذه الأراضى في صورة إدرار أو مقاطعه[٣] ، وكان دخل الأراضى الديوانية ينفق منه على بلاط الدولة والجيش [٤] كما كانت بعض

---

(١) ورد اسمه فى « تاريخ گزيده» - طبعة لندن ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م بسعى وإهتمام ادوارد برون - أحمد لاكوشى ، ص ٤٨٦ .
على حين ورد اسمه فى «تاريخ گزيده» طبعة تهران ، ١٣٦٤هـ، باهتمام عبد الحسين نوائى - أحمد لاكوشى ، ص٤٧٩ .

(٢) الطبعة الأولى ، ص ٤٨٩ - ٤٨٦ والطبعة الثانية ،ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٣) الإدرار : هو راتب يهدى من الحاكم فى صورة جزء من خراج الأرض بصورة موروثه .
أما المقاطعة : فهى نوع من التملك المشروط بإهداء أرض وأموال غير منقولة .
بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات ارضى در عهد مغول ، ترجمهٔ كريم كشاورز، ص٥٠٨ .

(٤) تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تا .. ، ص٤٨٩ .

تلك الأمـوال توزع على الخـدم في صـورة رواتب فكانوا يحـصلون على «حـوالات» (١) تكتب على «خزانة الديوان» لكن عمال الخزانة كانوا يحيلون هذه الحوالات - في معظم الأوقات - ليقوم بدفعها الفلاحون الذين يقومون بزراعة الأراضى الديوانيـة ، دون أن يتأكـدوا إن كانت قيـمة هذه الحوالات مـساوية لقيـمة الخراج أو تزيد عنه فكانت هذه الحـوالات بمثابة عبء إضافي على كاهل الفلاحين . (٢)

فلما قام «غازان» بإصلاحاته أمر بألا يؤشر مطلقا أى ملك أو حاكم أو كاتب بقلمه على ورقة تحرير حوالة وإذا كتبت حواله فإن الحاكم الذى أذن بكتـابتـهـا يُقتـل وتقطع يد الكاتب الذى حـررها حـتى يراه الكتـاب الآخرون فيأخذوا من ذلك العظة والعبرة.(٣)

ورغم هذا فإن ظاهرة كتابة الحـوالات قد عادت مرة أخرى بالتدريج في عهد أبى «سعيد بهادر خان» . (٤)

---

(١) الحـوالات - أو «برات» كلمة عـربيـة تجمع على «براوات» وهى تعنى الحوالة أو الصك الذى يصرف من الخزانة وأصلها «براءة» أى برئ الذمة من الدين . نظامى عروضى السـمرقندى ، چهار مقاله ، ص ٦٩ ، حاشية ٢

(٢) بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات ارضى ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧.

(٣) رشـيد الدين فضل الله : جامع التواريخ از آغاز سلطنت هولاكـو تاپايان دوره غازان چاب ، جلد دوم ، ص ١٠٣٢ .

(٤) بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات أرضى، ص ٤٤٧ .

(٢) الأراضى الخاصة « اينجو » :

كلمة « اينجو » كلمة مغولية كان لها معنيان - فى موطنها الأصلى مغولستان - :-

أ- الجهاز الذى تحمله الزوجة إلى بيت زوجها مع الأخذ فى الاعتبار أن الخدم جزء من هذا الجهاز .

ب- أملاك الأمراء الخاصة وأعضاء أسرة « جنگيز خان » مع الأخذ فى الاعتبار أن جميع الأشخاص المقيمين على هذه الأملاك جزء من هذه الأملاك .

فلما دخلت هذه الكلمة إلى إيران أطلقت بالمعنى المرادف لكلمة « خاص » فى العربية . (١)

وترد هذه الكلمة فى صورتين :-

(أ) الصورة الأولى : كلمة « اينجو » بمفردها ، وتعنى الأراضى الخاصة بأعضاء أسرة الحاكم .

(ب) الصورة الثانية : أن تأتى كلمة « اينجو » وبعدها كلمة « خاص » أو يقال « خاص اينجو » وتعنى فى هذه الحالة الأراضى الخاصة بشخص الحاكم . (١)

---

(١) بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات أرضى ، ص٤٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٥ .

وقد يطلق على الأراضى الخاصة بالحاكم كلمة «دلاى» . (١) فيقال «اينجودلاى» .(٢) ومما هو جدير بالذكر أن كلمة «اينجو» لم تكن تطلق على الأراضى وحدها بل كانت تطلق على الأراضى ومن عليها. (٣)

وقد تعددت مصادر أراضى «الإينجو» فى عهد الإيلخانيين ، فكانت المصادرة تمثل مصدراً هاماً من تلك المصادر حيث كان الوزير أو المسئول إذا أخطأ أو ارتكب إثماً ، فإنه كان غالباً ما يقتل وتصادر أملاكه لتكون جزءاً من أراضى الإينجو يقول صاحب تاريخ «وصاف» عن «شمس الدين الجوينى» ما ترجمته :

« وبعد واقعة صاحب الديوان فإنهم اعتبروا جميع ممتلكاته فى أرجاء المملكة ضمن أراضى الإينجو .» (٤) وكانت ممتلكاته تدر دخلاً سنوياً قيمته ٣٦٠ توماناً أى ٣,٦٠٠,٠٠٠ دينار وهذا يعنى أن دخل أملاكه كان

---

(١) كلمة «دلاى» مشتقة من الأصل من اللقب المغولى «دلاى خان» الذى يعنى «ملكك المحيط ، والدنيا» أو : الأكبر علواً من الجميع حيث كان يطلق على خان المغول الأعظم أو القاآن – فى البداية – لقب دلاى خان . وبالتالى فإن كلمة «دلاى» تكون مرادفة فى الفارسية لـ : پاشاه جهان» بمعنى ملك الدنيا ثم أطلقت هذا الكلمة بعد ذلك بالتدريج فى مجال الأرض وغير ذلك .
كشاورزى ومناسبات أرضى ، ص٤٥٦ .

(٢) تاريخ وصاف ، ص ٢٦٨ .

(٣) ج. أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ٤٨٩ .

(٤) وبعد از واقعهٔ صاحب ديوان تمامت أملاك اورا در جميع ممالك باينجو درآوردند.
تاريخ وصاف ص ١٤٢ .

تومانا واحداً كل يوم . (١)

وبعد وفاة «عليشاه» (٢) عهد السلطان أبو سعيد بمنصب الوزارة إلى

(١) سيف الدين حاجي بن نظام عقلي : آثار الوزراء ، تهران ١٣٣٨هـ.ش ، ص٢٧٦ .

(٢) هو الخواجه تاج الدين عليشاه بن أبي بكر التبريزي الجيلاني كان يشتغل أول أمره بائعاً للجواهر والأمتعة والأقمشة ، وعلى الرغم من أنه لم يكن مثقفاً إلا أنه كان رجلاً حسن المظهر مرتباً ، غاية في الخبث والدهاء ، اكتسب خبرة وتجربة من ممارسة التجارة فصار له إلمام كبير بشئون المال والأعمال ، وعن طريق التجارة استطاع «عليشاه» أن يتصل بالأمراء والأعيان واستطاع أن يتصل بالسلطان اولجايتو ويصير متمتعاً بعطفه ورعايته ويوماً بعد يوم كان يعمل على توطيد علاقاته بالسلطان بشتى الوسائل ، حتى عينه السلطان «اولجايتو» مديراً للمصانع في بغداد ووجد هذا العمل فرصة سانحة له لإظهار مقدرته وكفاءته .
ويوماً بعد يوم بقدر ما كانت ترتفع منزلة «عليشاه» لدى السلطان بقدر ما كانت تنخفض منزلة «سعد الدين الساوجي» الوزير المشارك مع «رشيد الدين» إلى أن حدث الصدام بين «سعد الدين» و «اولجايتو» أمر اولجايتو على إثره بقتل «سعد الدين» في عام ٧١١هـ وبعدها أشار رشيد الدين على السلطان اولجايتو بتعيين «عليشاه» بدلاً من سعد الدين ليكون وزيراً معه ، وبالفعل تم تعيينه في عام ٧١١هـ على ألا يحيد عليشاه عن طاعة رشيد الدين وأن يترك زمام الأمور الجزئية والكلية في يد رشيد الدين . ووزر عليشاه لأبي سعيد من بعد اولجايتو ولقد أحب أبو سعيد وزيره عليشاه بشدة حتى أنه لما مرض دميت قدما السلطان أبي سعيد من كثرة زياراته للوزير وعيادته وأرسل إليه الأطباء المهرة يطببونه ويلازمونه في مرضه ، إلا أن المرض استولى عليه في أوائل سنة ٧٢٤ هـ وعليشاه هو الوزير الوحيد في عهد المغول منذ بدايتها وحتى نهايتها الذى مات ميتة طبيعية ولم يقتل .
ذيل جامع التواريخ ، ص ٤٦-٤٧ ، ١١٥ ؛ تاريخ تبريز تاپايان قرن نهم هجرى ، ص٤٩٨ ؛ الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، ص ٣٧٥ - ٣٧٩ ؛ حربي أمين سليمان المؤرخ غياث الدين خواند مير كما يبدو في كتابه دستور الوزراء ، تقديم د. فؤاد عبدالمعطي الصياد ، ص٣٧٩ .

اثنين من أبنائه تكريماً لذكراه ، وحباهما بعطفه ورعايته ولكن سرعان ماانشب خلاف شديد بينهما ، أدى إلى إنقسام المرؤسين إلى فريقين ، يناصر كل فريق أحد الشقيقين ، فكانت النتيجة أن ارتبكت أعمال الدولة ولم يعد في الإمكان تصريف الأمور على الوجه المرضى ، فقبض على الأخوين وكانا على وشك أن يقتلا، وأخيراً أطلق سراحهما على أن يعتزلا منصبيهما كما أجبرا على تسليم الثروة الطائلة التى كانا قد ورثاها عن أبيهما وتلك التى كانت قد جمعاها بنفسيهما . (١)

وعندما كان الفلاحون يعجزون عن سداد الضرائب فإنهم كانوا يتعرضون لأشد أنواع التنكيل مما كان يضطرهم إلى الفرار مُخلفين أرضهم وراءهم . (٢) فكانت تلك الأراضى تضاف بدورها إلى أراضى الإينجو .(٣)

وكان دخل «الإينجو» الخاص ينفق على الإيلخان . (٤) أما دخل الإينجو فكان ينفق على أفراد أسرة الإيلخان، كما كانت ملكية هذه الأرض تنتقل بعدهم بالوراثة . (٥) وكان لهم الحق فى إهدائها لمن يرغبون ، يذكر «رشيد الدين » أن «مهتر نجيب الدين الفراش» كان قد خرج بمفرده من قريته

---

(١) حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، ص ١١٥-١١٦ .
وكذلك د. فؤاد الصياد : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله ، ص١٩٢ .

(٢) فؤاد الصياد (دكتور) : تاريخ غازان خان ، ص ٢٨٤ .

(٣) ج. أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ص ٤٨٩ .

(٤) بطروشفسكي : كشاورزى ومناسبات أرضى، ص ٤٤٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص٤٥٥ .

«جوين» (١) وأحسن استقبال غازان عندما مر بهذه القرية - وكان غازان لايزال يشغل منصب الإمارة - فخرج «مهتر نجيب الفراش» واستقبله عند قرية تدعى «زيرآباد»، فلا جرم أن سلطان الإسلام عندما تربع على عرش السلطنة شمله بعطفه ، ومنحه كثيراً من الامتيازات وجعله من جملة المقربين إلى الحضرة ومنحه قرية «زيرآباد» التي كانت من أملاكه الخاصة كذلك منحه مرسوم «الترخانية» (٢) وفوض إليه الإشراف على الخزانة وإدارة الخانقاه التي بناها «بوزينجرد» في همدان - وهي عبارة عن عمارة مرتفعة وبناء رائع ، وقد أوقف عليها أوقافاً كثيرة من الضياع والعقار وجعل ولايتها له ولأولاده وأعقابه . (٣)

---

(١) «جوين» : اسم ولاية على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور وجميع قراها متاخمة واحدة بعد الأخرى ، وأكثر سكانها من الشافعية وتستمد «جوين» ماءها من القنوات وحاصلاتها متنوعة من الفاكهة ، د. فؤاد الصياد : تاريخ غازان خان ، ص ٩١ ، حاشية ٢ .

(٢) الترخان : هو الرجل المعفى من الضرائب ، ويكون له حق الإستحواذ على مايغنم في الحرب، ويدخل على الخان الأعظم دون استئذان ويخصص له عدد من الجند والأتباع يكونون تحت تصرفه ويعطى من الدواب والحمير والمنقولات مالا يدخل تحت حد ولاحصر، ويعفى من المساءلة في الذنوب التسعة الأولى التي يرتكبها ويكون لأبنائه أيضاً حق التمتع بهذه الامتيازات .

عطاملك جويني : تاريخ جهانگشاى ، جلد اول ، ص ٢٧-٢٨ .

وكذلك د. فؤاد الصياد : تاريخ غازان خان ، ص ٩٢ ، حاشية ٢ .

(٣) فؤاد الصياد (دكتور) تاريخ غازان خان ، ص ٩١-٩٢ .

ولقد بلغت ممتلكات غازان خان من الأراضي الزراعية عشرين ألف فدان . [١]

ويذكر وصاف أن دخل أراضي «الإينجو» في شيراز - في عهد ارغون خان - قد بلغ ٦٠٠,٠٠٠ دينار على حين بلغ دخل أراضي «الإينجو» من شيراز - في عهد غازان - مبلغ مائة تومان ، وهو مايعادل مليون دينار [٢] وكان دخل «الإينجو» في جميع ولايات فارس سنة ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢م قد بلغ ألف تومان أي مايعادل عشرة ملايين دينار في مدة أربع سنوات وهذا يعني أن دخلها السنوى ٢٥٠ توماناً أي مايعادل ٢,٥٠٠,٠٠٠ دينار .[٣]

ويكفي أن نقارن الأرقام السابقة بما يذكره حمد الله القزويني لنتبين الفرق الكبير بينهما حيث يقول أن دخل «الإينجو» قد بلغ ٤٥ توماناً في شيراز أي [٤٥٠,٠٠٠] وبلغ ٢٨٧ تومان وألف ومائتين دينار في فارس أي مايعادل ٢,٨٧١,٢٠٠ دينار. [٤]

(٢) أراضي الأوقاف :

قام المغول بعد غلبتهم باغتصاب كثير من أملاك الأوقاف . [٥] لكن

---

(١) تاريخ وصاف ، ص ٣٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٧ .

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٨

(٤) حمد الله القزويني : نزهة القلوب ، ص ١١٣ - ١١٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٧٣ و١٣٨ .

هذه الأملاك زادت واتسعت رقعتها فى عهد حكام الإيلخانيين المسلمين بحيث صارت تشكل قسماً واسعاً من الأرض . (١)

فقد كان بامكان أصحاب الأراضى أن يوقفوا جزءاً من أراضيهم للإنفاق على بعض المشاريع الخيرية من دخل هذا الوقف فكان ينفق من دخله على المؤسسات الدينية من قبيل المساجد ، والمدارس والمؤسسات الخيرية كالمستشفيات ودور المسنين والأرامل والأيتام، وكان جزءٌ كبيرٌ من دخل هذه الأوقاف يوجه إلى من يتولون الإشراف على هذه المؤسسات والقضاة ورجال الدين . (٢)

ونظراً لأن دخل أراضى الأوقاف كان محكوماً بشروط يحددها صاحب الوقف ، فإن أراضى الأوقاف تعتبر صورة مشروطة من ملكية إقطاع الأرض . (٣)

وكانت أملاك الأوقاف غير قابلة للبيع أو الرهن أو الإهداء أو التنازل كما كانت معفاة من الضرائب . (٤)

وكان دخل الأوقاف ينفق بانتظام على من حددهم الوقف . (٥)

---

(١) ج. أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ص ٤٩٠ .
(٢) بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات أرضى ، ص ٤٦٣-٤٦٤ .
(٣) ج. أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تا ... ، ص ٤٩٠ .
(٤) بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات ارضى ، ص ٤٦٤-٤٦٥ .
(٥) محمد بن هندوشاه نخجوانى : دستور الكاتب فى تعيين المراتب جزء اول ازجلد يكم ، ص ١٨٣ .

وحسبنا أن نتأمل أبواب البر التي أنشأها غازان خان من ممتلكاته الخاصة . (١) حيث شيد دور السيادة للسادات في تبريز وغيرها من المدن على أن يعطوا مرتبات تصرف لهم بانتظام حسب مانصت عليه حجج الأوقاف المخصصة لهذا الغرض . (٢)

كما بنى غازان لنفسه – في حياته – مقبرة في ناحية «شام تبريز» وهي التي أصبحت تدعى بعد ذلك «شنب غازان» أو «شام غازان» .(٣)

---

(١) محمد جواد مشكور (دكتر) : تاريخ تبريز تاپايان قرن نهم هجرى ، تهران، ١٣٥٢ هـ.ش، ص ٤٧٩ .

(٢) فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص ٢٦٦ .

(٣) خواندمير : حبيب السير في أخبار أفراد البشر، جلد سوم ، ص ١٨٧ .

* «شنب غازان» أو «شام غازان»

لما اعتنق غازان الإسلام حرص أن يقيم شعائره ورأى قبور الأئمة والأولياء ظاهرة واضحة، فتاقت نفسه أن يقيم له ضريحاً مقتدياً بمسيرة السلف الصالح فكان بذلك أول سلطان من سلاطين المغول يدفن في مقبرة ظاهر . (*) وبدافع هذه الرغبة أقام غازان في بداية عام ٦٩٧هـ في شمال غربي تبريز محلة كانت تعرف باسم «شام غازان» أو «شنب غازان» و أقام مقبرة هناك وهي بناء مرتفع تعلوه قبة كبيرة واستمر بناء هذه القبة أو تلك المحلة حتى عام ٧٠٢هـ.

- ويقول صاحب تاريخ تبريز : إن كلمة «شنب» بفتح الشين وأحياناً بضمها قد وردت في المعاجم بمعنى القبة ، ويبدو أن كلمة شنب ليست بهذا المعنى في الفارسية القديمة ولكنها استعملت بمعنى القبة في الفارسية بعد أن شيد غازان تلك القبة ثم حرفت إلى شم ولقد وردت هذه التسمية في جامع التواريخ لرشيد الدين في صورة شم Sham ووردت في تاريخ وصاف ونزهة القلوب «شام» Sham وقد ورد في بعض كتب التاريخ أن هذا الاسم مأخوذ من كلمة شام (يعني سوريا) معللين ذلك بأن غازان خان شرع في تشييد هذا المبنى =

وتقع على بعد ثلاثة أرباع فرسخ إلى جنوب تبريز ، ووقف للضريح أوقافاً يعيش من ريعها الصلحاء والزهاد والعباد . (١)

وكانت عائدات الأملاك التي وقفها غازان على هذه المنشآت أكثر من مائة تومان ذهبي في السنة . (٢)

(٤) الأملاك الخاصة (ملك) : (٣)

كان مصطلح الأملاك الخاصة يعني الملكية الإقطاعية للأرض (٤)

= العظيم بعد عودته من بلاد الشام مظفراً ومن ثم فقد أطلق عليه اسم «شام» وهذا الكلام غير صحيح فقد كان يطلق على هذا الموضع اسم «شم» قبل عهد غازان ولقد شيد أرغون خان - والد غازان - عمارات في نفس هذا الموضع باسمه عرفت باسم (الأرغونية) ، ومن أهم الأبنية التي شيدها «أرغون» معبد للأصنام نق صورته على جدرانه. وقد هدم غازان هذا المعبد. ويبدو أن هذا الاسم ينطقه العامه مقصوراً في صورة «شم» أما الخواص فينطقونه ممدوداً في صورة «شام» وإلى هذا الموضع ينسب بعض علماء ايران مثل «مولانا نظام الدين شامي » مؤلف ظفر نامه تيموري ولا ينسب إلى بلاد الشام.

- حمد الله مستوفي قزويني : تاريخ گزيده ، ص ٦٠٦.
- فؤاد الصياد (دكتور) : مؤرخ المغول الكبير ، ص ١٢٦ .
- محمد جواد مشكور (دكتر) : تاريخ تبريز تاپان قرن نهم هجري ، ص٤٧٢-٤٧٣ .

(١) عباس اقبال : تاريخ مغول واوايل ايام تيموري ، ص ٣٠٤-٣٠٥ .

(٢) تاريخ وصاف ، ص ٣٨٤ .

(٣) ملك : تذكر هذه الكلمة في الفارسية بكسر الميم أو بضمها .
ج. أ. بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ص ٤٩٠ .

(٤) بطروشفسكي : كشاورزى ومناسبات ارضى ، ص ٤٧٣ .

بمعنى أن للمالك حق الملكية الكاملة غير المشروطة للأرض ، ومن هنا يحق له بيعها ، أو توريثها لمن يأتي بعده . (١)

وقد كانت الأملاك الخاصة موجودة في عهد الإيلخانيين ، ولذا فقد كان القسم الأعظم من ممتلكات رشيد الدين - الوزير والمؤرخ - الشاسعة قد قام بشرائه فهو يقول في خطاب أرسله إلى أعيان خوزستان ماترجمته : « ولما كان أكثر القرى في الولايات المذكورة قد دخل في صورة ملكيتنا ، فإن بعض تلك الممتلكات قد تم شراؤه أما البعض الأخر فقد تم إحياؤه بعد أن كان خراباً ، وأرضاً بوراً . فتحول إلى العمران بحسن كفاءتنا » . (٢)

ويكفي أن نستعرض وصية رشيد الدين لنتبين ما وصلت إليه ملكيته الخاصة من الأراضي حيث تجاوزت إثنا عشر ألف فدان . (٣)

الاقطـــاع :

سبق الحديث عن ما حل بالقرى من خراب ، وما حل بالزرع من بوار ، نتيجة للغزو المغولي ، والحروب التي نشبت في عهد الإيلخانيين وظلم عمال الديوان .

ولا أدل على ذلك من أن أحد الملاك ذهب إلى قرية تدعى «فيروز آباد»

---

(١) ج . أ . بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ... ، ص ٤٩٠ .

(٢) محمد شفيع لاهوري : مكاتبات رشيدى ، ص ١٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٣٢ .

- في لاية يزد- كي يحصل شيئاً من عوائد ملكه الذى كان يمتلكه . ومهما سعي هذا الرجل في سبيل ذلك ثلاثة أيام بلياليها لم يستطع العثور على أى مخلوق قط من الأعوان . على حين أنه قد أقام في القرية سبعة عشر من المحصلين وأصحاب الحوالات وقد قبضوا على أحد الحراس واثنين من سكان الصحراء وأحضروهم إلي القرية وقيدوهم بالحبال وصاروا يضربونهم كي يحضروا الآخرين ، وحتى يحصلوا على طعام لهم ولكن لم يتيسر ذلك مطلقاً ، وكان من اللازم لمجموع هؤلاء المحصلين وأتباعهم الحصول على العلف والمؤن والشراب .(١)

وهذا يدل على مدى الظلم الذى كان يقع على الفلاحين والقرويين ، مما دفعهم إلى هجر قراهم ، والفرار خوفاً على حياتهم. ولما كانت مخصصات الجند ، وأمراء الجيش من الطعام والرواتب غير منتظمة قبل عهد غازان فقد فكر غازان في إصلاح أحوال الزراعة لكي يضمن مئونة الجيش من ناحية وليعيد الفلاحين الذين لاذوا بالفرار من شدة ما لحق بهم من ظلم من ناحية أخرى .

وكان حكام الإيلخانيين قبل غازان قد لجأوا إلى إعادة الفلاحين الفارين من قراهم بشتى الوسائل، لكنهم لم يفلحوا في ذلك ، حيث كان بعض الفلاحين يقدمون للجند رشاوى لكى لايجبروهم على العودة إلى قراهم مرة أخرى ، ذلك أن كثرة الضرائب التى كانت تجبى منهم ، مع قلة

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : تاريخ غازان خان ، ص ٢٨٧-٢٨٨ .

دخلهم ، كانت تجبرهم على الفرار . (١)

كما أن الجباة لم يكونوا يتورعون عن إلحاق أشد ألوان الأذى بمن بقوا في قراهم والإعتداء على شرف زوجاتهم . (٢)

ولقد أرجع «رشيد الدين» سبب فرار هؤلاء الفلاحين إلى سوء معاملة الحكام المحليين والجند ، ومن ثم فإننا نراه يأمر ابنه «محمود» حاكم «كرمان» بإعادة الفلاحين إلى محل إقامتهم السابق وأن يغريهم في نفس الوقت ببعض التسهيلات كأن يقوم بإعفائهم من الخراج ثلاث سنوات . (٣)

ورغم كل الإغراءات التي قدمت للفلاحين في ذلك الوقت فإن المحصول لم يكن بالقدر الكافي الذي يتطلبه الجند . ومن ثم فقد رأى غازان أن يقطع الجند بعض الأراضي الزراعية للمساهمة في إصلاح حال الزراعة من ناحية وعدم اللجوء إلى الخزانة للحصول على احتياجاتهم من ناحية أخرى .

ولم يكن غازان أول من فكر في إقطاع الجند ، بل سبقه الإيلخانات الستة السابقون عليه ، بيد أنهم كانوا يقطعون يقتصرون على إقطاع كبار الجند فقط دون أن يحصل الجنود على شئ من هذه الإقطاعيات . (٤)

---

(١) بطروشفسكي : كشاورزى ومناسبات ارضى ، ص ٦٤١ .
(٢) محمد شفيع : مكاتبات رشيدى ، ص ١١ .
(٣) بطروشفسكي : كشاورزى ومناسبات ارضى ، ص ٦٤١ .
(٤) ج . أ . بويل : تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان ، ص ٤٩١ .

أما غازان فأصدر مرسوماً يقضى بإقطاع كل أفراد الجيش ، بحيث يتم إقطاع «قائد الألف» قطعة من الأرض فيقوم بتوزيعها بالقرعة بين «قادة المائة» ، ويقوم قادة المائة بتوزيعها بالقرعة أيضاً على قادة العشرة الذين يقومون بدورهم بتوزيعها على من يتبعونهم من الجند . (١)

لكن غازان خان أمر الفلاحين الذين كانوا يقومون بزراعة الأرض بالارتباط بأماكنهم، في قراهم أو في مزارعهم وعدم الانتقال إلى أرض أخرى ، كما ألزم أصحاب الأرض بعدم قبول من يفر إليهم وإعادته إلي الأرض التي كان يزرع بها من قبل . (٢)

ويبدو أن فكرة الارتباط بالأرض هذه لم تكون وليدة أفكار «غازان خان» فقد استهل مرسومه بالإشارة إلى أن الياسا الجنگيزية كانت سبباً فيما وصل إليه آباؤه وأجداده من تقدم وقد منعت الياسا الجند من ترك وحداتهم والانتقال إلى وحدة أخرى ، (٣) حيث ورد في الياسا، «أن الجندى من الألف أو المائة أو العشرة لايجوز له أن يغير مكانه أو تبعيته ، كما لايجوز للأمير أن يقبل هؤلاء ، ويقتل المخالف من الجنود على الملأ . (٤)

ومن هنا كان مرسوم «غازان خان» الخاص يمنح الجنود اقطاعيات

---

(١) أى. پ. بطروشفسكى وديگران : تاريخ ايران از دوران باستان تاپايان سدهٔ هيجدهم ميلادى ، ترجمهٔ كريم كشاورز ، ص ٣٧٠.

(٢) بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات ارضى، ص ٦٢٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٣٦.

(٤) عطا ملك جوينى : تاريخ جهانگشاى، جلد أول، ص ٢٤ .

وأمرهم بالارتباط بالأرض التى يزرعونها وعدم الانتقال إلى مزرعة أخرى فقد ورد فى المرسوم ماترجمته :

« إن السكان الذين منحوا قرى عامرة أو خربة ، ثم تفرقت منذ ثلاثين عاما ، ولم تدخل فى حساب وقانون الولايات الأخرى ، ولازال يحتفظ بها كل واحد منهم ، عليهم أن يعيدوها . وإذا كان سكان الولايات الأخرى يعملون عندهم أيضاً فإن عليهم أن يعيدوهم ، ومن المقطوع به ألا يقبلوا بأى وجه سكان الولايات والمواضع الأخرى وألا يرتبطوا بالغرباء بحجة سكان الولايات البعدة ، ولايجمعوهم بأى وجه ولايحموهم ، ولايسمحوا لهم بالدخول في قراهم وعلى المتطوعين ألا ينقلوا سكان القرى التى أقطعت لهم من مخيماتهم فى إحدى القرى إلى القرى الأخرى ، ولايقولوا إن كلتا المزرعتين والقريتين ضمن إقطاعنا ، وسكانهما هم رعايانا ، وعلى سكان كل قرية أن يزرعوا في مناطقهم المحددة لهم ». (١)

لكننا نلاحظ فروقاً كثيرة بين ارتباط الجند بوحداتهم في الياسا وارتباط الفلاحين بالأرض كما أمر غازان ، ذلك أن الياسا أمرت الجندى بالارتباط بقائد مجموعته يلازمه حيثما ذهب ، أما مرسوم غازان فقد أمر الفلاحين بالارتباط بالأرض وعدم الرحيل عنها . (٢)

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : تاريخ غازان خان ، ص٣٤٣ .

(٢) بطروشفسكي : كشاورزى ومناسبات ارضى ، ص٦٣٣ .

ولقد جعلت الياسا عقوبة المخالف القتل ولكن مرسوم غازان لم يُحدد عقوبة للفلاح الذى لايرتبط بالأرض .

وربما أحجم غازان عن معاقبة المخالف بالقتل لكثرة الفارين من ناحية ولحاجة الدولة إليهم من ناحية أخرى . ومن هنا فقد ترك غازان تحديد طبيعة العقوبة لصاحب الإقطاع فى ذلك الوقت . (١)

وإذا كان غازان خان قد منع الفلاحين من مغادرة قراهم وأمرهم بالارتباط بالأرض - حفاظاً على تعاليم الياسا - فإنه حاول جاهداً أن يوفق فى مرسومه بين تعاليم الياسا والشريعة الإسلامية، فحذر أصحاب الإقطاعيات أن يعتقدوا أن هؤلاء الفلاحين قد صاروا عبيداً لهم ، فهم أحرار بموجب الشريعة الإسلامية . وقد صار ولاؤهم للأرض التي يزرعونها ، وللمكان الذى سجلت أسماؤهم فى فهارسه ، ولم يعد - هذا الولاء - مرتبطاً بشخص الإقطاعي . (٢)

ونهى غازان أصحاب الاقطاعيات من أن يقولوا « إن سكان هذه المناطق التي أقطعت لنا إنم هم أسرنا ، إذ إنه ليس للجنود على الرعايا أكثر مما لهم على زراعة قراهم ، وعليهم أن يأخذوا منهم بالحق ماهو مقرر عليهم من رسوم الديوان، وألا يسخروا السكان فى عمل آخر سوى أن كلا منهم يزرع فى الموضع المخصص له . » (٣)

---

(١) بطروشفسكى : كشاورزى ومناسبات ارضى، ص٦٣٩ .

(٢) المرجع السابق، ص٦٣٧ .

(٣) فؤاد الصياد (دكتور) : تاريخ غازان خان ، ص٣٤٣ .

وهو بهذا يرى أنه جعل الفلاح حراً ، وليس أسيراً ، وفقاً للشريعة الإسلامية .

وفي رأيي أن مرسوم غازان خان - بهذه الصورة - أقرب إلي فكر الياسا منه إلى الشريعة الإسلامية .

فأي حرية لإنسان لايستطيع أن يتحرك وفق مايشاء ! وإن كانت هذه هي الحرية ، فما هو الأسر والعبودية !

ولقد عين «غازان خان» لجميع الجنود إقطاعيات بدءا من ضفاف جيحون حتى تخوم مصر ، خلال شهرين أو ثلاثة . فقد كان يدرك أن أكثر الجنود في هذا العهد يميلون إلى اقتناء الأملاك والزراعة ، وبالتالي فإنهم يحققون رغبتهم عندما يملكون إقطاعاً . وبذلك لاتكون هناك حاجة إلى الخزانة للإنفاق على مصالحهم ، لأن كل واحد منهم يحصل على حصته ومعاشه من الإقطاعية .

ورأى غازان خان أن هناك ولايات في الممالك تقع علي طريق عبور الجند ، وفيها مصايفهم ومشاتيهم ، ودائماً مايسلكون سلوكاً معيباً في تلك الولايات ، ويستولون على القرى قوة واقتداراً ، ويستبدون بالرعايا ، ولهذا السبب فقد أقطعها غازان بأكملها للجند ، حتى تشبع عيونهم وقلوبهم . (١)

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : تاريخ غازان خان ، ص٤٢٩-٤٣٠.

ولقـد قـرر «غـازان خـان» عـدم كـتـابة حـوالات من الديوان على الإقطاعيات وألا يحولوا إليه سنداً على الإطلاق .

وقد اشتمل مرسوم غازان خان أمراً هاماً ، وهو إذا أحيا الجنود أرضاً مواتاً ، ثم ادعي أحد امتلاكها أو وقفها وأثبت مدعاه فعلى مالكها أو متولى وقفها أن يؤدى إلى الديوان عُشر محصولها ، ويقسم الباقي مناصفة بينه وبين الزارعين ، وحظر غازان بيع الإقطاع وجعل القتل عقوبة من يخالف هذا القرار . وإذا توفى صاحب الإقطاع انتقل إقطاعه إلى أحد أبنائه أو إخوته ، فإن لم يكن له ولد انتقل إلى غلامه القديم ، فإن لم يكن له غلام انتقل إلى من هو أجدر من الجند . (١)

وقد أمر «غازان خان» أن يراعى كل شخص يرغب فى امتلاك الأراضى البور وتعميرها الأقسام الثلاثة التالية :

القسم الأول :

ماكان موجوداً به الماء والنهر ، ولايستلزم زيادة فى النفقات والجهد ، أو أنه يزرع بواسطة مياه الأمطار ، وليس فى حاجة إلى القنوات والأنهار والسدود ، هذه الأراضى عندما يشرعون فى تعميرها لايعطون الديوان شيئاً قط فى السنة الأولى من زراعتها ، أما فى السنة الثانية فيدفعون نصف

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : تاريخ غازان خان ، ص٣٤٤-٣٤٥ .

الخراج ، ويحسب لهم أنهم دفعوا الخراج كاملاً وفي السنة الثالثة يدفعون الخراج ومازاد عن ذلك فهو حق المزارع . (١)

القسم الثانى :

مايكون إعماره من النوع المتوسط ، وإصلاح الأنهار واستخراج الماء منه قليل التكاليف ، وشروطه علي نحو ما ذكر ، إلا أن الزارع يسلم الديوان أربعة دوانق من المرسوم المقررة . (٢)

القسم الثالث :

مايكون إعماره صعباً وعسيراً ، وينبغى أن يقام سد على نهره ، وما تكون قناته خربه وينبغى إعادة تعميرها ، وذلك القسم أيضاً تطبق عليه الشروط المذكورة ، ولكن على الشخص الذى يصلح أرضاً من ذلك النوع أن يسدد نصفاً من حقوق الديوان ويكون له النصف الباقى تقديراً لجهوده ، وقد اشترط السلطان أن يؤدى حصة الرسوم هذه باسم الخراج .

وكل شخص يقوم بإصلاح تلك الأراضى ، تصير ملكاً له ، وتبقى له على الدوام ، ثم تئول إلى أولاده من بعده . وإذا أراد أن يبيعها لشخص آخر ، فإنه يجوز ذلك ، وفى هذه الحالة يأخذ الديوان الخراج المقرر من

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : تاريخ غازان خان ، ص٣٩٤-٣٩٥.
(٢) المرجع السابق ، ص٣٩٥ .

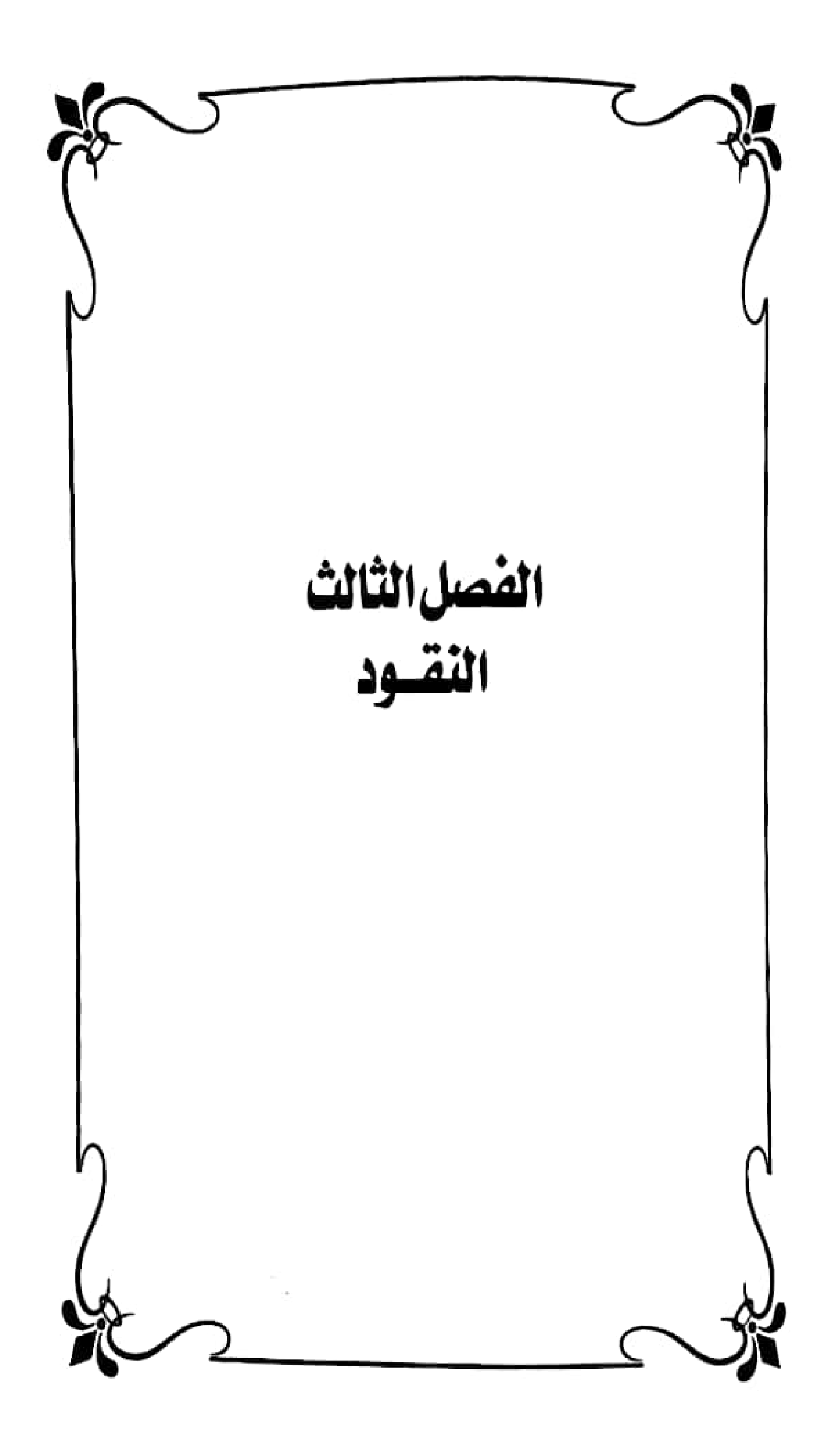
المشترى . واشترط أن كل أرض بور لاتستمد ماءها من نهر خاص بأرض عامرة ، مادام المالك لتلك الأرض لايريد أن يعطى غيره الماء ، حتى لايقع نزاع بهذا السبب . (١)

وقد حال الموت الفجائى الغازان سنة ٧٠٣ هـ دون تحقيق كثير من إصلاحاته . حيث أوصى - وهو على فراش الوت - أخاه اولجايتو أن يسير علي نهج إصلاحاته ، ورغم أن اولجايتو قد أصدر أمراً سنة ٧٠٥هـ للحيلولة دون فرار الفلاحين إلا أن ا لأمور كانت تتجه إلى الفساد بصورة كبيرة . ولم تفلح محاولات أبى سعيد في التصدى لهذا الفساد الذى كان نذيراً بانهيار الدولة الإيلخانية . (٢)

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : تاريخ غازان خان ، ص٣٩٥ .

(٢) برتولد شبولر : تاريخ مغول در ايران ، ص٣١٩-٣٢٠ .



الفصل الثالث
النقـود

الفصل الثالث
النقود

سأتحدث عن النقود فى عهد الإيلخانيين، فمن الشعارات التى كانت تكتب - فى عهد كل حاكم - على هذه النقود سنتعرف على الهدف الذى كانت تقصده .

لقد كان الدينار هو الوحدة الأكثر تداولاً بين النقود فى عهد الإيلخانيين إلا أن قيمته كانت معرضة للتذبذب الشديد ولايرجع هذا التذبذب إلى التباين فى وزن النقود فحسب بل امتد ليشمل بيان الأسعار وعيار الذهب والفضة كذلك . (١)

ومن ثم فإننى سأعرض لصورة النقود فى عهد كل حاكم من حكام الايلخانيين إلى أن يأتى الدور على غازان فنرى كيف حاول توحيد النقود فى عهده وإلى أى مدى استمرت هذه الجهود التى بذلها ؟

يذكر «القلقشندى» أن «هولاكو» لم يملك ملكاً مستقلاً ، بل كان نائباً عن أخيه «منكوقاآن» ، ولم يضرب باسمه سكة درهم ولا دينار ، وإنما كانت تضرب باسم أخيه «منكوقاآن» . (٢)

---

(١) بارتولد شپولر : تاريخ مغول درايران ، ص ٣٠١

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، ص ٤١٩

على حين أن «قوبيلاى قاآن» عندما اعتلى العرش سنة ٦٦٠هـ، خلفاً «لمنكو» ، أرسل يطلب من هولاكو أن يحكم إيران بلقب «إيلخان»، ومن ثم فقد اشتهر حكام هذا العهد - فى تاريخ إيران - بالإيلخانيين. (١)

وبمقتضى هذا المطلب يعتبر هولاكو أول حاكم للإيلخانيين فى إيران، ومن هنا فليس عجيباً أن تحمل النقود التى ضربت قبل هذا الموضع اسم «منگوقاآن» بمفرده ، إذ كُتب على وجهها : لا إله إلا الله وحده لاشريك له، كما كتب على ظهرها : «منگوقاآن» الأعظم العادل وهذا يتفق مع ما ذكره القلقشندى .

فلما أصدر قوبيلاى مرسومه لهولاكو ضربت عملة جديدة حملت اسمى قوبيلاى وهولاكو معاً ، وإن كان قد تم الإكتفاء بلقب قوبيلاى على ظهر هذه العملة : القاآن الأعظم، الإيلخان العظيم هولاكو . ويذكر «هوروث» أنه شاهد هذه النقود فى المتحف البريطانى ، ويقول إنها ضربت بالموصل والبصرة وماردين، (٢)

---

(١) شيرين بيانى : دين ودولت درايران جلداول ، ص ٣٤٩ .

(٢) ماردين : من ديار ربيعه ، وفيها قلعة تقع على قمة جبل يطل على المدينة ، ودور أهلها كالدرج كل دار فوق الأخرى وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع . ووصف ابن بطوطه ماردين وقد زارها فى المائة الثامنة (الرابعة عشرة) بأنها مدينة عظيمة بها تصنع الثياب المنسوبة إليها من الصوف المعروف بالمرعز ، ولها قلعة شماء تسمى «الشهباء» ويقال لها أيضا قلعة كوه (أى قلعة الجبل) ووصف المستوفى ماردين وقال عنها، يسقيها نهر صور الآتى من جبل باسمه فى طور عبدين ، وزاد على ذلك أن ناحيتها كثيرة الغلات والقطن والفواكه .

القزوينى : نزهة القلوب ، ص ١٢٤ - ١٢٥ . وكذلك :

لسترنج (كى) : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

وأربيل . (١)

وقد ضربت في عهد آباقا عملات فضية ونحاسية، ضربت في الموصل وتبريز (٢) وأربيل وبغداد مابين سنة

---

(١) اربيل : هي اربل أو اربلا القديمة وهي مدينة يقصدها التجار وقلعتها على تل عال من التراب ولها خندق عميق وسور المدينة ينقطع في نصفها وفيها سوق عظيمة ، وبها مسجد يسمى مسجد الكف فيه حجر عليه كف إنسان . وقد ذكر القزويني أنها مشهورة بجودة قمحها وقطنها .
القزويني : نزهة القلوب : ص ١٢٠ . وكذلك :
كي لستريج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢١ .
H. Hawrath : The History of The Mangals part III p.213-214 Landon - 1888.

(٢) كانت مدينة تبريز أكبر مدينة زارها «ماركوبولو» وقد ذكرها بمصطلحها القديم الذى كان شائعا في ذلك الوقت وهو (توزير) وكان يعتقد أن هذه المدينة جزء من العراق العجمي ، فقد كانت تضم قلاعاً حصينة كما كانت مركزاً للتجارة والفنون في تلك المنطقة .
ومن الواضح أن تصور ماركوبولو بالنسبة لتبريز غير صحيح ، ذلك أن مدينة تبريز التي تحيط بها جبال كثيرة والتي تعتبر بوابة لإيران ليست جزءا من العراق العجمي .
فقد ذكر ابن حوقل - الرحالة والجغرافي العربي - عندما شرع في رحلته سنة ٣٢١ هـ/ ٩٤١م في كتابه (صورة الأرض) أن تبريز جزءا من آذربايجان وأنها مدينة خصبة فيها كثير من الحدائق والبساتين ومدح طباع أهلها .
ولقد كانت مدينة تبريز التي صارت عاصمة للدولة الإيلخانية في عهد غازان ما بين سنة ٦٩٥هـ- ٧٠٣ و ١٢٩٥ م - ١٣٠٤م بدلا من مراغة - مقرا أصليا للإيلخانيين في عهد آباقا (٦٦٣ - ٦٨٠ = ١٢٦٥ - ١٢٨١ م) يعني قبل عدة سنوات من قدوم ماركو بولو إليها .

٦٦٦هـ - ٦٨٠هـ (١) حمل بعضها عبارات مسيحية كتبت باللغة العربية مثل «بسم الأب والابن وروح القدس إله واحد» ، ونقش عليها علامة الصليب. (٢)

كما توجد في المتحف البريطاني نقود أخرى من عهد آباقا تحمل كلمات أو يغورية ترجمتها « آباقاخان نائب الخان العظيم» . وتوجد من بين نقود آباقا ما كتب على وجهها بالعربية : «لا إله إلا الله وحده لاشريك له»(٣)

= ومن أهم الآثار الموجودة بها (شام غازان) التي شيدها غازان بنفسه وجعل قبره فيها ، والربع الرشيدى الذى شيده رشيد الدين فضل الله .

«ولكننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن وصف ماركوپولو «لتبريز» لكونه أخطأ في موقعها الجغرافي ، إذ وصفها بقوله : أنها أهم مدينة في كل مملكة إيران ، ولشاه ايران دخل باهظ من هذه المدينة بينما لا يمتلك الملوك المسيحيون مثل هذا الدخل لأن التجار الكبار يذهبون إلى تلك المدينة ، ومعني ذلك أن دخل بعض المدن الإسلامية كانت تفوق مثيلاتها في الغرب بعض العهود طبقا لمهارة أهلها فما أعجب اليوم .

عبد الحسين سعيد يان : شناخت شهرهاى ايران ص ٢٩٠ - ٢٩١ . تهران ١٣٧٩ هـ.ش.

وكذلك ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٨٩ منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩م

وميشيل مزاوى : بيدايش دولت صفوى . ترجمة يعقوب آرثر . ص١٦٩ حاشية ٩.

(١) Haworth : The History of the Mangols, p. 283.

(٢) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران، ص ٢٢٠ .

(٣) Haworth : The History of the Mangols. p. 283.

وهذا يعنى أن النقود التى ضربت فى عهد آباقا حملت السمتين المسيحية والإسلامية.

ويصف لنا صاحب «تاريخ تبريز» نوعين من النقود الفضية ، تم ضربهما فى عهد أ «حمد تگودار» :

احداهما : بوزن ٢,٢ جرام ، وقطرها ٢,١ سنتميتر ، وعلى وجهها اسم «السلطان أحمد» ولقبه باللغة الأويغورية ، وكتب فى الأسفل : أحمد ، كما كتب على ظهرها - فى مربع بالوسط - لا إله إلا الله - محمد رسول الله وفى الحاشية عبارة : ضرب فى تبريز سنة ٦٨٣ (ثلاثون وثمانين وستمائة) .

وثانيهما : بوزن ٢ جرام ، وقطرها ٢ سنتميتر ، وقد كتب علي وجهها بالخط الأويغورى اسم أحمد تگودار ولقبه، وكتب فى الأسفل بالخط الكوفى : أحمد .

وكتب على ظهرها - فى الوسط - لا إله إلا الله - محمد رسول الله - وفى الحاشية ، ضرب فى تبريز سنة إحدى وثمانين وستمائة . (١)

وفى عهد «أرغون» ضربت عملات فضية ونحاسية كثيرة بأوزان مختلفة وفى أماكن مختلفة يوجد بعضها فى المتحف البريطانى وعليها شعارات اسلامية مثل «لا إله إلا الله وحده لاشريك له» وعلى بعضها الأخر

---

(١) محمد جواد مشكور (دكتر) : تاريخ تبريز تاپايان قرن نهم هجرى ص ٤٤٤ .

شعارات مسيحية «بسم الأب والابن والروح القدس إله واحد» ويذكر «هورورث» أن اثنين من هذه المجموعة الموجودة في المتحف البريطاني ظهرتا بعد وفاة هذا الإيلخان فقد ضربت سنة ٦٩١هـ. (١)

وتوجد أربع عملات فضية من عهد «أرغون» ، ضربت في تبريز :

الأولى : بوزن ٢,١ جرام ، وقطرها ٢ سنتيمتر ، وعلى وجهها : اسم ولقب أرغون باللغة الأويغورية ، كتب في أسفلها : أرغون ، وعلى ظهر العملة في مربع بالوسط : لا إله إلا الله - محمد رسول الله وفي الحاشية ضرب تبريز سنة ثلاث وثمانين وستمائة (٦٨٣هـ). (٢)

والثانية : بوزن ٢,٤٥جرام ، وقطرها ٢ سنتيمتر ، وعلى وجهها : اسم «أرغون» ، ولقبه بالخط الأويغوري ، وفي الأسفل : كلمة أرغون وعلى ظهرها في الوسط «لا إله إلا الله - محمد رسول الله» ، وفي الحاشية : ضرب تبريز سنة خمس وثمانين وستمائة ، (٦٨٥هـ).

والثالثة : بوزن ٢,٢ جرام ، وقطرها ٢,٢ سنتيمتر ، وعلى وجهها : اسم أرغون ولقبه بالخط الأويغوري مع صورة نجمة ، وعلى ظهر العملة داخل مربع : لا إله إلا الله - محمد رسول الله ، وفي الحاشية ضرب تبريز سنة خمس وثمانين وستمائة (٦٨٥هـ).

---

(١) Haworth : The History of the Mangols. p. 255 .

(٢) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز تاپايان قرن نهم هجرى ، ص ٤٥٣ .

والرابعة : بوزن ٢,١ جرام ، وقطرها ٢,١ سنتيمتر وعلى وجهها : بالخط الأويغورى «قاآن الأعظم تبريز» وصورة طائر نشر جناحه مثل اليد ، وصورة الشمس ونجمة تحت الطائر وفى الحاشية : أرغون ، وعلى ظهر العملة : لا إله إلا الله - محمد رسول الله وقد نقش فى الحاشية : سنة سبع وثمانين وستمائة (٦٨٧هـ).

فلما اعتلى گيخاتو عرش إيران ، تعرضت البلاد لأزمة مالية طاحنة ، كانت سبباً فى خلو خزانة الدولة من الأموال . (١)

وترجع أسباب تلك الأزمة إلى إسراف گيخاتو الشديد ، وقيامه بتوزيع الثروات على الأمراء والخواتين ، وعدم اكتراثه بالذهب والفضة ، حيث كان يرى أن الجواهر والنفائس إنما تصلح لزينة النساء .(٢)

ومما زاد الطين بلة أن وزيره «أحمد الخالدى الزنجانى» (٣) الملقب

---

(١) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز تاپايان قرن نهم هجرى ، ص ٤٥٣ .

(١) وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص ٢٦٤ .

(٢) ميرخواند : تاريخ روضة الصفا ، جلد پيخم ، ص ٣٦٦ .

(٣) هو صدر الدين أحمد الخالدى الزنجانى : وزير گيخاتو من ٦٩٠هـ - ٦٩٤هـ - ١٢٩١ - ١٢٩٤م وهو الذى كان قد تحالف فى سنة ٦٧٩هـ مع مجد الملك اليزدى ضد أسرة الجوينيين وقد شرع مجموعة من عمال الديوان سنة ٦٩٢هـ فى الكيد بصدر الدين عند الإيلخان حيث أبلغوا گيخاتو بأنه يستولي على ثلاثين تومان لنفسه من ضرائب تبريز وتوابعها والتى يبلغ مجموعها ثمانين تومانا ، ومع أن معظم الإتهامات كانت صحيحة إلا أن الإيلخان لم يكترث بها بل أنه أطلع الوزير على أسماء من كادوا له وسلمهم إليه فعفا صدر الدين عنهم وقبل =

«بصدر جهان» لم يكن أقل بذخاً وإسرافاً من گيخاتو ، فكان كلما حصل على شئ أنفقه على السادات والعلماء والمشايخ والفضلاء. (١)

وقد اضطر الوزير للإقتراض عندما رأى خزانة الدولة مهددة بالإفلاس وازدادت الأمور سوءاً عندما انتشر الوباء بين قطعان الأغنام والماشية ، فنفق أكثرها ، وكانت تلك القطعان تمثل أقيم مصدر لدخل الإيلخان . (٢)

وكان لابد من البحث عن علاج سريع لمعالجة هذه الأزمة المالية الخطيرة ، وفي ذلك الوقت ظهر رجل اسمه «عز الدين مظفربن محمد بن عميد» كان له إطلاع واسع على المعاملات المالية في الصين (٣) وبلاد الخان الأعظم قوبيلاى ، وقد ظل هذا الرجل ملازماً للوزير «صدر جيهان» وكان بمثابة المستشار له. (٤) فزين له فكرة التعامل بالنقود الورقية بدلاً من

= اعتذارهم بعد أن أنزل بهم عقابا مخففاً .

وقد لقب هذا الوزير بلقب «چاوبان» أى «الچاوى» - نسبة للعملة الورقية (الچاو) وذلك على سبيل السخرية والاستهزاء .

رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ ، تاريخ غازان خان ، ترجمة د/ فؤاد الصياد ، ص ٢٨٦ .

عباس إقبال : تاريخ مغول واوايل أيام تيمورى ، ص ٢٤٧ .

(١) حربى أمين سليمان : المؤرخ الإيراني الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو في كتابه دستور الوزراء ، ص ٣٦٦ .

(٢) بارتولد شبولر : تاريخ مغول درايران ، ص ٩٣ .

(٣) هرن (باول) : تاريخ مختصر ايران از اول اسلام تا انقراض زنديان ، ترجمه باحواشي وتعليقات دكتر رضا زاده شفق ، ص ٧١ ، طهران ١٣١٤ هـ. ش .

(٤) فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : الشرف الإسلامى عهد الإيلخانين ، ص ٢١٣ .

التعامل بالذهب والفضة مثل ما يجرى العمل به في ممالك القاآن . (١)

حيث أنشأ الخان الأعظم "قوبيلاى" داراً لسك النقود وتصنيعها حيث كانت النقود الورقية تصنع عن طريق نزع اللحاء من أشجار التوت وتؤخذ منها القشرة الرقيقة وتنقع لتحول إلى عجينة يصنع منها الورق ، ثم يقطع هذا الورق ليكون نقداً ذا أحجام مختلفة وهو مربع تقريبا ولكن طوله أطول قليلاً من عرضه .

وتأخذ هذه العملة الورقية شرعيتها كأنها مصنوعة من خالص الذهب أو الفضة بعد أن يوقع عليها عدد من الموظفين المعنيين بذلك ثم يمهرونها بأختامهم أيضا ، وبعد التوقيع والختم تكتسب صفة الشرعية التامة لعملة متداولة . ويُعد تزويرها جريمة كبري عقوبتها الإعدام . وعندما يتم سك هذه العملة الورقية على هذا النحو يتم تداولها فى كل جزء من أجزاء دولة الخان الأعظم - كما لا يجرؤ أى إنسان - وإلا عرض حياته للموت - علي رفض قبولها عملة للدفع . (٢)

ولما عرض الوزير اقتراح التعامل «بالچاو» - تلك العملة الورقية - على «گيخاتو» وافق على الفور ، وأصدر مرسوماً فى جمادى الآخرة سنة ٦٩٣ هـ / سبتمبر ١٢٩٤ م يقضي بالتعامل بهذه الأوراق ظنا منه أن الفقر

---

(١) وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص ٢٧٢ .
(٢) ماركو پولو : رحلات ماركوپولو ، ترجمة عبد العزيز جاويد الجزء الثانى ، ص٦٤-٦٥.

سوف يختفي من بلاده بمجرد ظهور هذه العملة . (١)

ولم يفت بعض المتملقين من الشعراء أن ينظم أشعاراً بمناسبة صدور «الچاو» للتقرب من الحاكم ، ومن بين هذه الأشعار ما ذكره صاحب حبيب السر ، حيث أورد بيتاً بالفارسية ترجمته :

إذا راج «الچاو» في الدنيا فسيأخذ الملك الخالد رونقه (٢)

وكانت الأوراق المالية التي ظهرت في عهد "گيخاتو" (الچاو) عبارة عن قطعة من الورق مربعة أو مستطيلة الشكل كُتب عُليها بضع كلمات بالخط الخطائي ، يعلوها باللغة العربية عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كما سطر عليها اسم «ايرنجين تورجي» - وهو الاسم الذي أطلقه الكهنة الخطائيون على گيخاتو ، ثم رسمت دائرة على الورقة المذكورة كتبت في وسطها قيمتها النقدية (وكانت تتفاوت بين نصف درهم وعشرة دنانير) كذلك كان منقوشاً على هذه الورقة عدة سطور مضمونها : «إنه بتاريخ ثلاث وتسعين وستمائة ، قرر السلطان تداول هذا «الچاو» المبارك في الممالك ، فمن غيره أو بدله ، يقتل هو وزوجته وأبناؤه ، وتصادر أمواله ، وأملاكه وتحول إلى بيت المال . (٣)

---

(١) The Mangol Empire, P. 374 .

(٢) چاواگر درجهان روان باشد : رونق ملك جاودان باشد خواندمير : حبيب السير في اخبار أفراد البشر ، جلد سوم ، ص ١٣٨ .

(٣) ميرخواند : تاريخ روضة الصفا ، جلد پنجم ، ص ٣٧٠ .

وكذلك ادوارد براون : تاريخ ادبى ايران از نيمهء قرن هفتم تا آخر قرن نهم هجرى : عصر استيلاى مغول وتاتار ، ترجمهء على اصغر حكمت ، ص ٣٩ .

وتم تشييد دور لصنع «الچاو» وضربه في كل مدينة من المدن ، أطلق على كل واحدة منها اسم (چاوخانه) ، واضطر الناس - في تبريز - إلى استعماله في البيع والشراء أسبوعا واحداً حفاظاً على أرواحهم . (١)
وسرعان ما امتنع الناس عن التعامل بـ «الچاو» وأغلق البعض دكاكينهم وأثر البعض الرحيل على الإقامة ، واضطربت أحوال الناس حتى تعذرت الأقوات ، وانقطعت المواد من كل نوع ، فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت «الچاو» ويعطي البخاز والقصاب وغيرهما ، و يأخذ حاجته خوفاً من عيون السلطان وأعيانه . (٢)

ثم ثار الناس في كل مكان ، بعد أن تدهورت الأوضاع الإقتصادية وأخذوا يسخرون من «الچاو» المبارك ، معتبرين إياه «غير مبارك» وانقضوا على «عز الدين مظفر» - الذى كان أول من أشار باتخاذ هذه العملة - وقتلوه . (٣)

وأخذ الرنود والأوباش يسلبون كل من صادفوه في الشوارع و الأزقة وذات يوم أخذ رجل فقير في السوق بعنان فرس «صدر الدين» الوزير وأنشد بيتا بالفارسية ترجمته :

---

(١) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز تاپايان قرن نهم هجري ، ص ٤٥٥ .
(٢) عباس العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الأول ، ص ٣٥٨ .
(٣) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز ، ص ٤٥٥ .

إن رائحة الكبد المحترق قد ملأت العالم

فإذا لم تدركها ، فما أعجب أنفك (١)

فأصدر «صدر الدين» أمره بأن يتم بيع الطعام بالذهب ، فتشجع الناس ، وأخذوا يتعاملون بالذهب أمام الجميع .

وتوجه الأمراء والقواد ، ومعهم «صدر جهان» إلى «گيخاتو» ، وأفهموه خطورة الأوضاع ، وأن ثورة الناس قد تطيح بعرشه ، فأصدر مرسوما بإلغاء التعامل «بالچاو» والعودة إلى النظام النقدى القديم . (٢)

ويذكر صاحب كتاب «تاريخ تبريز» أنه قد بقى نوعان من العملة الفضية من عهد «گيخاتو» ورد فيها صراحة أنهما من ضرب تبريز :

العملة الأولى : بوزن ٢,٤٥ جرام ، وقطرها ٢,١ سنتيمتر ، وقد كتب على وجهها كلمات أو يغورية (ايرنجين تورجى) وعلى ظهر العملة وسط مربع : لا إله إلا الله - محمد رسول الله ، وخارج المربع وداخل الدائرة فى أبع قطع : ضرب تبريز سنة .... وتسعين وستمائة .

العملة الثانية : ٢,٧٥ جرام ، وقطرها ٢ سنتيمتر ، وعلى وجهها القآن الأعظم العادل ، وفى الحاشية : ضرب تبريز فى سنة إحدى وتسعين

---

(١) بوى جگر سوخته عالم بگرفت : گر نشنودى زهى دماغى كه تراست المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) خواندمير : حبيب السير ، جلد سوم ، ص ١٣٨ .

وستمائة ، وعلى ظهر العملة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

أما «هوروث» فيذكر أن «لگيخاتو» ثلاث عملات فضية قد بقيت من عهده في المتحف البريطاني ، وقد كُتب على هذه العملات «ايرنجين تورجي» بمعنى «الجوهرة الغالية» وقد ضربت في بغداد وتبريز ما بين سنة ٦٩١ هـ - ٦٩٣ هـ . (٢)

أما بايدو فقد بقيت عن عهده عملة فضية مؤرخة بتاريخ ٦٩٤ هـ وضربت في تبريز ، وعملة نحاسية لم يتحدد تاريخها ولا مكان ضربها .(٣)

فلما جاء الدور على «غازان» كان من أهم إصلاحاته أن تضرب النقود بصورة مطلقة من الذهب الخالص والفضة الخالصة وأن يتم تحديد الوزن في كل بلاد المملكة فقد كان وزن النقود مختلفاً - كما سبق أن رأينا - بين مدينة وأخرى ، ومن ثم فقد أخذ الناس يستبدلون راضين كل ثلاثة مثاقيل فضة خالصة مسكوكة بثلاثة مثاقيل ونصف مثقال من الفضة التي كانت في أيديهم. (٤)

---

(١) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز ، ص ٤٥٨ .

(٢) Howorth : The History of the Mongals. p. 377.

(٣) المرجع السابق صفحة ٣٨٨ .

(٤) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، تاريخ غازان خان ترجمة د/ الصياد ، ص ٣٢١-٣٢٢ .

يذكر الدكتور عبدالسلام فهمى ، نقلاً عن كارل بروكلمان (تاريخ الشعوب الإسلامية) أن غازان خان أدخل روحا جديدة من الثقة فى الميدان التجارى والاقتصادى بأن ألغى الأوراق المالية ذات القيمة التحكمية الرجراجة، والتى سبق لسلفه أن استخدمها على الطريقة الصينية، وأدخل محلها نقداً معدنيا صحيح الوزن والقيمة، وكان لهذه التدابير أثرها الواضح فى زيادة موارد الدولة . (١)

وتوجد خمسة عملات من الفضة لعهد السلطان غازان ، وعملة ذهبية واحدة وعملة نحاسية واحدة ، وقد كتب علي وجه بعض هذه العملات (شاهنشاه أعظم غازان خان خُلد ملكه) وكتب على ظهرها : لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكتب على البعض الآخر بثلاثة خطوط : صينية وأويغورية وعربية «غازان محمود» وعلى ظهرها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه . (٢) كما توجد عملة بقيت عن عهد غازان كُتب عليها ﴿ المُلك لله - قرآن - غازان محمود ﴾ وعلي ظهرها كتبت

---

(١) فهمى (عبد السلام عبد العزيز دكتور) : تاريخ الدولة المغولية فى إيران ، ص٢١١ -٢١٢ ، القاهرة ١٩٨١م .

وقد سبق أن لاحظنا أن كيخاتو قد ألغي بنفسه التداول بالأوراق المالية المعروفة باسم «الجاو» وأنما التداول بالنقود الذهبية والفضية . وأن اصلاحات غازان النقدية تضمنت توحيد العملة في أرجاء البلاد من حيث عيار الذهب والفضة ووزنهما . (الباحث)

(٢) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ .

الشهادتان ونلاحظ أن كلمة قرآن قد كتبت على العملة الأول مرة في عهد غازان ، كما وجدت عملة أخرى كتب عليها اسم السلطان وآيات قرآنية وأسماء الأئمة الأثنى عشر مما يدل على وجود التشيع في ذلك الوقت.(١)

وفى عهد «اولجايتو» انقسمت العملة إلى قسمين :

القسم الأول : عندما كان سنياً كتب على العملة اسمه وأسماء الخلفاء الأربعة .

القسم الثانى : عندما تحول إلى التشيع أمر أن تضرب عملة يكتب على وجهها ثلاثة أسطر متوازية على النحو التالى لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلى ولي الله (٢) وأن تكتب أسماء الأئمة الإثني عشر بالترتيب على شكل دائرة علي العملة . (٣)

وكتب على بعض العملات الأخرى اسم على بن أبى طالب وحده.(٤)

وتتنوع العملات الخاصة بعهد أولجايتو حيث يوجد منها بالمتحف

---

(١) شيرين بيانى : دين ودولت درايران ، جلد دوم ، ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .

(٢) ميرخواند : روضة الصفا ، جلد پنجم ، ص ٤٢٦ .

(٣) شيرين بيانى : دين ودولت درايران ، جلد دوم ، ص ٤٨٦ .
وكذلك القاشاني : تاريخ اولجايتو ، ص ١٠٠

(٤) عباس اقبال : تاريخ مفصل ايران ، ص ٥٢٦ .

البريطاني عملات ذهبية ضربت في البصرة والسلطانية (١) بـ «تبريز» وعملات فضية ضربت في أربيل وماردين وأخرى نحاسية ضربت في بغداد والحلة وشيراز وتحمل تواريخ مختلفة بين سنة ٧٠٤ هـ ، ٧١٤ هـ (٢) ويذكر «هورروث» أن عملات «أبي سعيد» المتواجدة في المتحف البريطاني تتوالى ما بين سنة ٧١٧ هـ إلى سنة ٧٣٤ هـ . (٣)

وقد حُذفت الكلمات الأويغورية التي كانت تكتب علي وجه العملة. (٤)

ولقد خلف السلطان أبو سعيد عملات ضربت في تبريز أكثر من غيره في الخانات منها ست عشرة عملة علي النحو التالي :

---

(١) السلطانية : تقع مدينة السلطانية بالقرب من جبال جيلان على مسيرة يوم منها ، وهي في سهل من الأرض ، ومياهها تجرى في قنوات ، قليلة البساتين والفواكة ، ،وجلب إليها بانيها (اولجايتو) الناس من أقطار مملكته .. وكان تعمير المدن وتشييدها رغبة ملحة للحكام الإيلخانيين العظام .
وقد عادت هذه الرغبة بالخير على الحضارة الإسلامية وبذلك خلدوا لهم الذكر علي امتداد التاريخ ، ويمكن القول أن إسلامهم هداهم إلى تعمير المدن وإقامة العمائر ، فظهرت في إيران مدينة مثل السلطانية .
- فاطمة نبهان عودة : مدينة السلطانية ردورها في الحضارة الإسلامية . ، حوليات كلية الأداب ، المجلد الرابع والعشرون ، الجزء الأول ١٩٩٥ - ١٩٩٦ ، ص٢٤٣ ، ٢٦٣ .

(٢) Howorth : The History of the Mongals. p. 580

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٢٨ .

(٤) شيرين بياني : دين ودولت درايران ، جلد دوم ، ص ٥٠٤ .

١- عملة من الفضة بوزن ٢,٩ جرام وقطرها ٢,١ سنتميتر ، وعلى وجهها ضرب في أيام دولة السلطان الأعظم أبو سعيد خلد الله ملكه ، وعلى أطراف السكة : .... الله .... ، وفي الحاشية : ضرب تبريز سنة سبع عشر وسبعمائة (٧١٧ هـ) وعلى ظهر العملة في الوسط : لا إله إلا الله - محمد رسول الله - أبو بكر عمر عثمان علي وفي الحاشية : الله وهو ....

٢- عملة نحاسية بوزن ٥,١ جرام وقطرها ٢,٣ سنتيمتر ، وقد ضربت هذه العملة في تبريز ، وعلي وجه العملة : السلطان الأعظم أبو سعيد خُلد ملكه ، في سنة أربع وعشرين وسبعمائة (٧٢٤هـ) وعلى ظهر العملة : لا إله إلا الله - وفي الحاشية أبو بكر عمر عثمان علي .

٣- عملة نحاسية بوزن خمسة جرامات وقطرها ٢,٥ سم ، وعلي وجهها في الوسط : السلطان الأعظم أبو سعيد خلد ملكه ، وفي الحاشية : ضرب تبريز في سنة أربع وعشرين وسبعمائة (٧٢٤هـ) وعلي ظهرها لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي الحاشية أبو بكر عمر عثمان علي .(١)

٤- عملة فضية بوزن ٢,٧٥ جرام وقطرها ٢,٢ سنتيمتر وعلى وجهها وداخل وردة ذات ثمانية أوراق . ضرب تبريز سنة عشرين وسبع مائة (٧٢٠هـ) وعلى ظهرها وداخل صورة محراب : لا إله إلا الله - محمد

---

(١) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز ، ص ٥١٣ - ٥١٤ .

رسول الله - أبو بكر عمر عثمان علي وفي الحاشية : الله وهو السميع....

٥- عمله نحاسية بوزن ٢,٥ جرام وقطرها ٢,١ سنتيمتر وعلى وجهها وداخل وردة ذات ثمانية أوراق : السلطان الأعظم بهادرخان خلد الله ملكه ، ضرب تبريز وفي الحاشية : خمس وعشرين وسبعمائة وعلى ظهرها وداخل وردة ذات ستة أوراق لا إله إلا الله - محمد رسول الله . وفي الحاشية أسماء الخلفاء الأربعة .

٦- عملة نحاسية بوزن ٢,٤ جرام وقطرها ١,٩ سنتيمتر . وعلى وجهها وداخل وردة ذات ست أوراق : السلطان الأعظم أبو سعيد بهادرخان خلد الله ملكه ، وعلى ظهرها داخل وردة ذات ثمانية أوراق لا إله إلا الله - محمد رسول الله وعلى أطراف العملة أسماء الخلفاء الأربعة .

٧- عملة نحاسية بوزن أربعة جرامات وقطرها ٢,١ سنتيمتر وعلى وجهها داخل وردة ذات أربعة أوراق : السلطان أبو سعيد بهادرخان خلد الله ملكه ضرب تبريز وفي الحاشية لا إله إلا الله - محمد رسول الله وعلى أطرافها : أسماء الخلفاء : أبو بكر .... علي . (١)

٨- عملة نحاسية بوزن ٢,٣ جرام وقطرها ١,٨ سنتيمتر . وعلي وجهها السلطان أبو سعيد خلد ملكه ، ضرب تبريز وعلي الطرفين من أعلى إلى اليسار : ثلاثين وسبعمائة (٧٣٠هـ) وعلى ظهرها : لا إله إلا الله

---

(١) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز ، ص ٥١٤ .

ـ محمد رسول الله ، وعلى طرفي العملة : أبو بكر عمر عثمان علي .

٩- عملة نحاسية بوزن ٢,٥ جرام وقطرها ١,٩ سنتيمتر ، وعلى ظهرها في الوسط ، وردة ذات ستة أوراق تشكل في مجموعها سبعة دوائر . وفي الحاشية : لا إله إلا الله - محمد رسول الله - صلى الله ، وعلى وجهها ضرب تبريز أما الحاشية ، فقد نقش : السلطان أبو سعيد خلد الله ملكه سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة (٧٣١هـ) .

١٠- عملة نحاسية بوزن ٢,٥ جرام وقطرها ٢ سنتيمتر . وعلى وجهها وفي مثلث : السلطان أبو سعيد ، وفي الحاشية : ضرب تبريز إثنين وثلاثين وسبعمائة (٧٣٢هـ) وعلى ظهر العملة وفي وسطها لا إله إلا الله محمد رسول الله .

١١- عملة فضية بوزن ٢,٨٥ جرام وقطر ١,٩ سنتيمتر ، وعلى وجهها السلطان العالم العادل بهادرخان . خلد ملكه . ضرب تبريز وفي الوسط اللقب الأويغوري للسلطان ، وفي الحاشية وعلى ظهر العملة وفي وسطها لا إله إلا الله - محمد رسول الله ، وفي الحاشية أبو بكر عمر عثمان علي . (١)

١٢- عملة فضية بوزن ٢,٨٥ جرام وقطرها ٢ سنتيمتر ، وعلى وجهها وفي الوسط السلطان العادل «بهادرخان» خلد ملكه ، ضرب تبريز ،

---

(١) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز ، ص ٥١٤ - ٥١٥ .

وعلى ظهرها وفى الوسط محمد رسول الله صلى الله عليه وفى الأطراف أبو بكر عمر عثمان على .

١٣- عملة نحاسية بوزن ٣,٥ جرام وقطرها ٢,١٥ سنتيمتر ، وعلي وجهها وداخل مربع السلطان العادل بهادرخان ضرب تبريز وداخل وردة ذات أربعة أوراق :لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي الحاشية أبو بكر عمر عثمان على .

١٤- عملة نحاسية بوزن ٢,٩ جرام وقطرها ٢,٣ سنتيمتر وعلى وجهها السلطان الأعظم أبو سعيد بهادرخان خلد ملكه وفى الحاشية ضرب تبريز سنة ستة وعشرين وسبع مائة (٧٢٦هـ) وعلى ظهرها مثلثان متقاطعان داخل ستة أضلاع : أبو بكر عمر عثمان على وداخل رؤس المثلثات الستة حروف غير مقرؤة .

١٥- عملة فضية بوزن ٣,٢ جرام ، وقطرها ٢,١ سم وعلى وجهها : السلطان الأعظم أبو سعيد بهادرخان خلد الله ملكه ضرب تبريز وفى الحاشية : ضرب فى سنة تسع وعشرين وسبع مائة (٧٢٩هـ) وعلى ظهرها وداخل وردة ذات ثمانية أوراق لا إله إلا الله - محمد رسول الله - أبو بكر عمر عثمان علي . (١)

١٦- عملة نحاسية بوزن ٣ جرام وقطر ٢,٢ سنتيمتر وعلى وجهها

---

(١) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز ، ص ٥١٥ .

ووسط وردة : السلطان الأعظم أبو سعيد بهادرخان خلد الله ملكه وفي الحاشية ضرب تبريز سنة ثلاثين وسبع مائة (٧٣٠هـ) وعلى ظهرها مثلثان متقاطعان داخلهما ستة أضلاع أبو بكر عمر عثمان على . وفى الحاشية لا إله إلا الله - محمد رسول الله . (١)

وبعد أبى سعيد توالى على عرش الإيلخانيين . مجموعة من صغار الحكام نظرا لأنه لم يترك من بعده ابناً من الذكور ، ولم يعقبه إيلخان قوي يستطيع أن يبسط نفوذه على كافة الأقاليم ، ومن هنا تعاقب علي حكم الإيلخانيين حكام ضعاف . (٢)

كان من أشهرهم «ساتى بيگ» (٣) حيث يقول «هورروث» أنها قد خلفت وراءها ثمانية عشرة عملة فضية ضربت ما بين سنة ٧٣٩هـ - ٧٤١هـ فى بغداد وغيرها وتوجد هذه العملات فى المتحف البريطاني . (٤)

---

(١) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز ، ص ٥١٥ - ٥١٦ .

(٢) پطروشفسكى (اى . پ) : نهضت سربداران خراسان ، ترجمة كريم كشاوزر ، ص ٨ ، چاپ سوم ، تهران ١٣٥١ هـ.ش .

(٣) لما يكن قد بقي من أسرة هولاكو رجل من المشهورين فقد وقع اختيار الأمراء على «ساتي بيگ» ابنة او لجايتو وشقيقة أبى سعيد (فى ٧٣٩هـ) وتم ادراج اسمها في الخطبة والسكة وصارت اذربيجان وأران تحت إمرتها لكن بقية أجزاء إيران والعراق كانت تحت إمرة بعض الأمراء السابقين من عهد اولجايتو وأبى سعيد ، وقد استمر حكم ساتي بيگ حتى أوائل سنة ٧٤١هـ .
خواندمير : حبيب السير ، جلد سوم ، ص ٢٢٨ .
وكذلك : عباس إقبال : تاريخ مفصل ايران ، ص ٥٤٦ .

(٤) Howorth : The History of the Mongals. p. 645

أما صاحب «تاريخ تبريز» فيشير إلى عملة فضية من عهد «ساتى بيگ» ضربت فى تبريز وزنها ٢,٥ جرام وقطرها ١,٧ سنتيمتر ويعتبرها من النقود النادرة حيث كتب على وجهها وفى الوسط السلطانة العادلة ساتى بيگ خلد الله ملكها سنة تسع..... أما الحاشية فعبارة عن جديلة داخل دائرة فى ظهر هذه العملة وقد كتب عليها : لا إله إلا الله ورسمت أربع دوائر بين أوراق الورد كتب عليها محمد الأمين رسول الله ، والحاشية بين وردة ذات أربعة أوراق وقد كتب عليها أبو بكر عمر عثمان على .[١]

ويتضح من استعراض النقود التى ظهرت في عصر الايلخانيين الأمور التالية :-

أولاً : ارتباط العبارات التى كتبت علي هذه النقود بالنواحي السياسية التى تشير إلي تبعية الايلخان إلى القاآن الأعظم أو الاستقلال عنه.

ثانيا : مدى تأثير الوزراء المسلمين على الايلخان غير المسلم متمثلة فى العبارات الإسلامية التى كانت تكتب على هذه العملة .

ثالثا : رغم أن التعامل بالنقود الورقية كان قد صادف نجاحاً في بلاد الصين إلا أن هذه الفكرة لم تصادف أى نجاح فى ايران نظراً لأن الناس قد ألفوا فكرة التعامل بالنقد الذهبى والفضى ولم يتقبلوا التعامل بالنقود الورقية .

---

(١) محمد جواد مشكور : تاريخ تبريز ، ص ٥٧٦ .

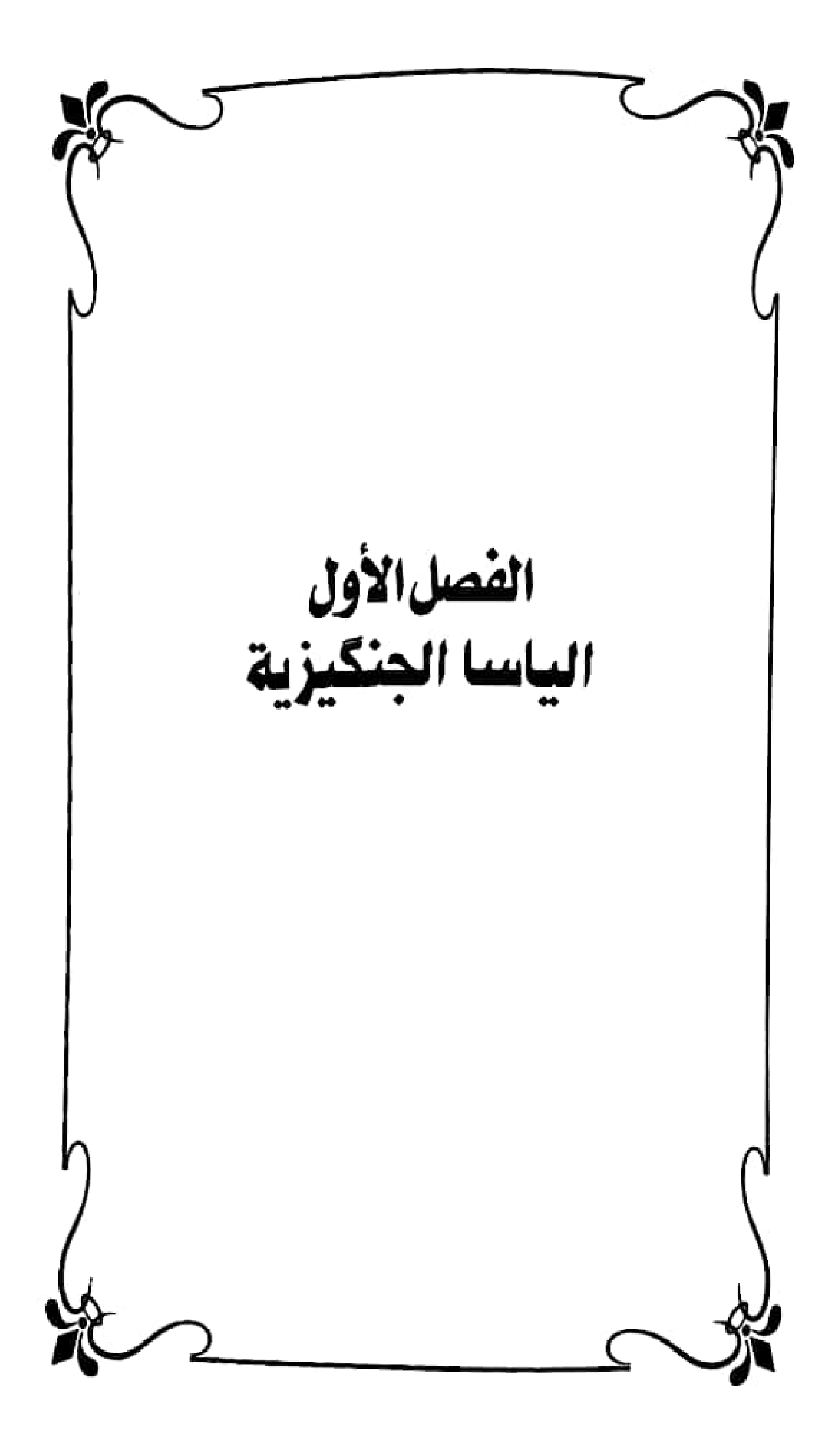
رابعا : تبين هذه النقود بجلاء مذهب الحاكم المسلم إن كان سنياً أو شيعياً فإن كتب على النقود أسماء الخلفاء الأربعة دل هذا الأمر علي أن الحاكم كان سينا ، وإن تم الإكتفاء بذكر «علي» وحده أو ذكر الأئمة الأثنى عشرة كان الحاكم شيعياً ومن هنا فإننا لا نتعجب إن صادفنا حاكما مثل «اولجايتو» وقد ضربت النقود في بداية عهده وعليها شعارات تدل على كونه سنياً ، ثم ظهرت بعد ذلك نقود أخري وعليها شعارات تدل علي تحوله إلي المذهب الشيعي .

خامسا : إذا كان «غازان خان» قد أهتم في اصلاحاته بتوحيد عيار الذهب والفضة في النقود التى ضربت في عهده محاولاً توحيد قيمتها في مختلف المدن فإن هذه الفكرة لم تدم بعد وفاته وسرعان ما عادت الأمور إلى الحالة التى كانت عليها قبل غازان .

سادساً : ليس بعيداً أن يكون توحيد العملة في أرجاء المملكة مترتبا على نفوذ الحاكم وقدرته علي السيطرة علي أرجاء مملكته الشاسعة ، كما أن إزدهار الحالة الإقتصادية كان أمراً يساعد الحاكم علي تنفيذ ما يراه في هذا المجال .



الباب الثالث
النظام الدستوري



الفصل الأول
الياسا الجنكيزية

الفصل الأول
الياسا الجنكيزية

لم يكن للمغول قبل جنكيز خان قانون مدوّن يحكمهم أو يحتكم إليه، لأنهم كانوا قوماً أميين ، فكانوا يلجأون إلى ماتعارفوا عليه من عادات وتقاليد موروثة .

فلما جاء «جنكيز» أراد أن يكون للمغول قانون يحكمهم ، ويلزمون به ، ورغب في أن يستمر هذا القانون بين أبنائه وأحفاده من بعده .

وقد اختار «جنكيز خان» مايناسب قومه من عادات المغول السابقة ، وأضاف إليها ما يحقق هدفه المنشود من وضع قانونه الجديد ، ودوّن الياسا قانونهم الجديد .

إذن «فالياسا» خليط من عادات المغول القديمة، وأفكار «جنكيز خان» الجديدة التي أراد أن يحكم بها قومه. (١)

وكان «جنكيز خان» يقول في كلماته الشهيرة التي رددها المغول في كل مكان : «هناك شمس واحدة في السماء ، وسيد واحد على الأرض» ، ولكنه أدرك أن «الإحساس بالتفويض الإلهي لم يكن بالطبع كافيا لترجمة إرادة السماء إلى حقيقة واقعة، وللوصول إلى هذه الغاية كان من الضروري

---

(١) فلاديمير ستوف : حياة جنكيز خان الادارية والسياسية والعسكرية، ترجمه للإنجليزية د. سعد الغامدي ، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص ١١٥.

بناء قوة مادية متفوقة على الدول المجاورة». [١]

وما كان يتسنى له أن يقوم ببناء مثل هذه القوة دون أن يضع قانوناً ينظمها، ومن هنا كانت الحاجة الماسة لوضع قانون الياسا - وليس معنى هذا أن الياسا وضعت لتنظيم الجانب العسكرى فحسب، بل إنها شملت كافة المناحى الدينية والاجتماعية والعسكرية ، كما سنرى فيما بعد .

ولما لم يكن لقوم التتار خط يكتبون به فقد «أمر جنكيز خان أن يتعلم أطفال المغول الخط الأويغورى ، وأن تدون هذه القوانين على طوامير» [٢] ودُعيت : «كتاب القواعد الكبير» «ياسانامهٔ بزرگ»، وحفظ في خزائن الأمراء ، حتى إذا نصب أحدهم أميراً أو قائداً ، أو شُغل بتدبير جزء من الدولة رجع إلى هذه الطوامير ، وانتهج مسلكها في بناء البلاد أو تدمير مدن الأعداء .» [٣]

وكان هدف «جنكيز خان» من وراء تدوين هذه القوانين أن يصرف قومه عن النزاعات والاقتتال فيما بينهم ، فقد نصت الياسا - كما سنرى

---

(١) برتولد شپولر : العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، ترجمة خالد أسعد عيسى، دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٦ .

(٢) الطوامير : الصحف جمع «طامور» بمعنى الصحيفة . المعجم الوسيط ، الجزء الثانى، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م ، ص٥٧١ .

(٣) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم ، ترجمة د. محمد التونجى، الجزء الأول، ص ٦٢، دار الملاح للطباعة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، وكذلك : اقبال (عباس) : تاريخ مغول واوايل ايام تيمورى، تهران ١٣٧٦هـ.ش، ص٧٧-٧٨ . وكذلك : زرين كوب (عبد الحسين) : تاريخ ايران بعد از اسلام ، تهران، ١٣٧١هـ.ش، ص٧١ .

- أن يمارس الجنود الصيد منذ بداية هطول الجليد إلى أن ينبت العشب ، أما بقية العام فكان الجيش متأهبا بصورة مستمرة للغزو والقتال .

وأول ما يلفت نظرنا فى «ياسا چنگيز» هو الحديث عن الإيمان ، فقد ذكر المؤرخون أنه : «لما كان چنگيز خان غير معتقد بدين معين ، فإنه لم يتعصب لملة على ملة ، تاركاً المرء ومايعتقد». (١)

---

(١) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم ، الجزء الأول ، ص٦٢ - وأيضاً : ميرخواند : روضة الصفا ، جلد پنجم ، تهران ١٣٣٩هـ.ش، ص ٢٠ .

(٢) يقول هارولد لامب : «إن المادة الأولى من «الياسا» تستحق الالتفات والاهتمام، إذ جاء فيها : إننا نأمر بأن يعتقد الناس كلهم بإله واحد ، خالق السموات والأرض وهو المغنى والمفقر ، والمحيى والمميت كما يشاء ، المسيطر على الأمور بقدرته».

هارولد لامب - چنگيزخان امبراطور الناس كلهم - ترجمة اللواء بهاء الدين نورى، بغداد ، ١٩٤٦م، ص ٥٣ .

ويقول الدكتور سعد الغامدى :

«كان المغول عامة ، وچنگيز خان خاصة ، ينظرون إلي الأديان المختلفة على أنها عدة وجوه لعملة واحدة، وطرق متشعبة ومختلفة تقود كلها لهدف واحد ، وهى عبادة الإله الخالد الأبدى الوجود ، المتربع على عرشه فوق السماء الزرقاء .

سعد الغامدى (دكتور) : المجتمع المغولى : ضوابطه وقوانينه ، ص٦٦ .

وتقول الدكتوره ماجدة الجيار :

«وأول مانصت عليه قوانين الياسا هو التوحيد أى الإيمان بإله واحد لاشريك له فاطر السموات والأرض ، وهذا راجع إلى أن چنگيز خان كان موحدا يؤمن بأن ثمة إله واحد لاشريك له».

ماجدة كمال الجيار (دكتور) : القوانين والنظم التشريعية بين چنگيز خان وتيمورلنگ، رسالة دكتوراه ، كلية البنات ، جامعة الأزهر ، غير منشورة، ص١٦١ .

ولسنا ندرى على أى مصدر اعتمد «هارولد لامب» فى ذكر هذه المادة ، نظراً لأن المقريزى صاحب أقدم مصدر تحدث على الياسا لم يذكر هذا الأمر.

ولقد فهم البعض تسامح «چنگيز خان» الديني أنه موحد بالله، وأنه يؤمن بإله واحد.[٢]

وسوف نرى أثناء حديثنا عن ديانة «چنگيز خان» - في الباب الرابع أنه كان «شامانياً» [١]، بمعنى أنه كان وثنيا يؤمن بعبادة الأصنام .

ونظراً لأن «چنگيز خان» كان ينظر إلي جميع الديانات نظرة متساوية ، فإنه لم يرفع ديناً على دين ، كما أعفى رجال الدين على اختلافهم من دفع الضرائب ونصت «الياسا» على أن تكون لهم امتيازات خاصة ،وهكذا كان حاله مع الأطباء والجماعات الخاصة من أرباب الحرف.[٢]

وقد نهت « الياسا » عن التفخيم في الألقاب حتى يقال في مراسيم السلطان : «القآن» من غير مزيد من ألقاب [٣] . أما بالنسبة إلى الأمراء

---

(١) الشامانية : هي ديانة أول ماظهرت كانت في وسط آسيا وسيبيرها ، وكان رجل الدين القائم بشعائرها يسمى «الشامان» ، وأساس الشامانية قائم على عبادة كل شئ يسمو على مدارك العقل .

جيفرى يارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة أ.د. إمام عبدالفتاح إمام . مراجعة د. عبد الغفار مكاوى، الطبعة الثانية ١٩٩٦م، القاهرة، ص ٢٨ .

(٢) إدوارد براون : تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلي السعدي، ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة ١٩٥٤م، ص ٥٦١ .

(٣) أبوالعباس أحمد القلقشندى : صبح الأعشى ، الجزء الرابع، القاهرة ، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ، ص ٣١٢.

فإنهم كانوا ينادون - في حضورهم أو في غيابهم على حدٍ سواء - بالاسم الذى كانوا ينادون به منذ مولدهم ، وكان هذا الأمر يراعي بدوره في المنشورات ، حيث كان الكاتب يتوجه إلى الغرض مباشرة دون حشو أو ألقاب . (١)

وقد نصت «الياسا» على أن «يجتمع أولاد تنگيز - هكذا ورد اسمه عند ابن بطوطه - والأمراء من أطراف البلاد ، ويحضر الخواتين وكبار الأجناد يوماً في السنة يسمونه « الطُوى» ، ومعناه «الضيافة» ، فإن كان سلطانهم قد غير شيئاً من تلك الأحكام يقوم إليه كبراؤهم فيقولون له : غيْرت كذا وغيَرت كذا ، وفعلت كذا وقد وجب خلعك ، ويأخذون بيده ويقيمونه عن سرير الملك ، ويقعدون غيره من أبناء «تنگيز» ، وإن كان أحد الأمراء الكبار قد أذنب ذنبا في بلاده حكموا عليه بما يستحقه» . (٢)

وكان هذا الاجتماع يعرف باسم « القوريلتاى» ، وهى كلمة مغولية بمعنى «المؤتمر العام» ، وكان كل من يتخلف عن حضور هذا المؤتمر يواجه عقوبة القتل مهما كانت صفته . (٣)

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ،جلد سوم (بخش اول) ، تهران ، ١٣٥٣هـ.ش ، ص٧٢ .

(٢) ابن بطوطه : رحلة ابن بطوطه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، دار الكتاب اللبناني ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٨ .

(٣) سعد الغامدى (دكتور) : «الياسا» دراسة نقدية تحليلية واستنتاجية لبعض نصوصها» : مقال نشر في المجلد السابع والثلاثين لسنة ١٩٨٩م، بمجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ص ٩٢ .

وقد أورد المقريزى بعض قوانين الياسا ، والعقوبات التى تلحق بمن يخالفها ، يقول : « ومن جملة ماشرعه چنگيز خان فى الياسه أن من زنى قتل ، ولم يفرق بين المحصن وغير المحصن، ومن لاط قتل ، ومن تعمدَ الكذب أو سحر أو تجسس على أحد، أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما علي الآخر قتل . ومن بال فى الماء أو على الرماد قتل ، ومن أعطى بضاعة فخسر فيها فإنه يقتل بعد الثالثة، ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل ، ومن وجد عبداً هارباً أو أسيراً قد هرب ولم يرده علي من كان فى يده قتل ». (١)

كما نصت الياسا على ألا يأكل أحد من يد أحد حتى يأكل المطعم منه، ولو كان المطعم أميرا والآكل أسيرا ، كما ألزمهم ألا يختص أحد بالأكل وحده ، بل يشركه معه فى أكله . ولا يتخطى أحدُ ناراً ولا مائدة ولا الطبق الذى يؤكل منه .

كما نصت « الياسا » على أنه من يمرّ بقوم يأكلون فله أن يجلس معهم، ويشاركهم الطعام دون أن يستأذن منهم، ولايجوز لأحد أن يمنعه ، كما ألزمت الياسا المغول ألا يمدّ أحدُ يده فى الماء ، وعليه أن يغترف الماء بأحد الأشياء . وقد منعت «الياسا» منع غسل الثياب فى الماء ، وعلى المرء أن يظل مرتدياً ثيابه حتى تبلى .(٢)

---

(١) تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، الجزء الثانى ، القاهرة (بولاق) ، ١٢٧٠هـ، ص ٢٢٠.

(٢) پى - نن رشيدوو : سقوط بغداد وحكمروايى مغولان در عراق (ميان سالهاى ١٢٥٨-١٣٣٥م) ، ترجمهء اسد الله آزاد (دكتر) ، مشهد ، ١٣٦٨ هـ.ش، ص ٢٩٢.

كما منع جنكيز خان - في الياسا - أن يقال لشئ إنه نجس، وقال إن جميع الأشياء طاهرة، ولا يفرق بين طاهر ونجس . (١)

ومما شرعه جنكيز خان - فى الياسا - أن تكتف قوائم الحيوان ويعرس ،أى يدلك قلبه إلى أن يموت، ، ثم يؤكل لحمه، ومن ذبح حيواناً كذبيحة المسلمين ذُبح . (٢)

كما ألزمت الياسا المغول « عند رأس كل سنة بعرض سائر بناتهم الأبكار على السلطان ليختار منهن لنفسه وأولاده ».(٣)

وكان مما وضعه جنكيز خان لهم أنه قال : «كل من أحب امرأة ، بنتاً كانت أو غيرها، لايمنع من التزوج بها ، ولو كان زبالاً والمرأة بنت ملك.(٤)

وتأمر الياسا أن «تئول جميع نساء الخان - بعد موته - إلى أكبر أبنائه، وله الحق فى أن يتزوج بمن يشاء منهن ، وذلك باستثناء أمه ، كما أن له أن يمنحهن لأصدقائه أو يطلق سراحهن » . (٥)

---

(١) الباز العرينى (دكتور) : المغول ، بيروت ، ١٩٦٨م .

(٢) حسن إبراهيم حسن (دكتور) : تاريخ الإسلام السياسى ، الجزء الرابع، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ١٣٧ .

(٣) المقريزى : الخطط ، الجزء الثانى ، ص ٢٢١ .

(٤) محمد بن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ، المجلد الأول ، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٣٠٢ .

(٥) فؤاد الصياد (دكتور) : المغول فى التاريخ ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٢٤٨. وكذلك : عباس اقبال : تاريخ مغول واوايل ايام تيمورى ، تهران ، ١٣٧٦هـ.ش، ص ٨٤ .

ولقد شرعت «الياسا» أن أكبر الأمراء إذا أذنب وبعث إليه الملك بأخسّ من عنده حتى يعاقبه ، فإنه يلقي نفسه إلى الأرض بين يدى الرسول وهو ذليل خاضع حتى يمضى فيه ما أمر به الملك من العقوبة ، ولو كانت بذهاب نفسه .

وألزمت «الياسا» الأمراء ألا يترددوا على غير الملك ، ومن تردد منهم على غيره قُتل ، ونصت الياسا على أن كل من يتحول عن موضعه الذى يرسم له بغير إذن قتل ، وأمرت بإقامة البريد حتى يعرف الملك أخبار مملكته بسرعة . (١)

وألزمت «الياسا» نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكُلف مدة غيبتهم فى القتال . (٢)

وبالنسبة للميراث فقد اعتبرت «الياسا» أبناء الرجل من المرأة السرية أو المحظية أبناء شرعيين ، مثلهم مثل أبناء الزوجة الشرعية ، وتحدد مكانة الأبناء حسب أرشدية كل واحد منهم ، مقارنة ببقية أشقائه ومرتبة الأم بين بقية الأمهات الأخريات اللائى هن زوجات الرجل أو سراريه ، كذلك يجب أن تكون إحدى الزوجات - من بين كافة النساء - هى الزوجة الكبرى ، وهذه المرتبة تحتلها أول امرأة يتزوجها الرجل ويعاشرها ، ثم التى تليها وأبناؤها ، وهكذا . كما يرث الأبناء جميعاً آباءهم ، حسب وصيته ، حيث يخصص لكل واحد نصيبه من التركة ،والذى يحدده ترتيبه بين أشقائه،

---

(١) المقريزى : الخطط ، الجزء الثانى ، ص ٢٢١ .

(٢) بى - نن - رشيدوو : سقوط بغداد ، ص ٢٩٢ .

فالابن الأكبر يكون قسطه أكبر من أخيه الذى يليه، وهكذا ، أما الابن الأصغر من بين أبناء الزوجة الكبرى ، فيرث متاع أبيه .. كما يجوز لابن الرجل المتوفي أن يتزوج زوجة أبيه أو زوجاته ، ماعدا أمه ، أو أن يهبهن ، أو بعضهن لمن يريد». (١)

كما نصت «الياسا» على أن يقسم الجيش المغولى إلى وحدات على أساس النظام العشرى، فأصبح عشرة يؤلفون فئة يقودهم قائد (٢) ومن كل عشرة أمراء شخص واحد أطلقوا عليه اسم « أمير المائة» ، وجعلوا المائة تحت أمره ، وتمضى تلك النسبة حتى تصير «ألفاً» ، لتمتد بعد ذلك إلى "عشرة آلاف" (٣) ، ويطلق على أميرهم اسم «أمير التومان» .

وقد نصت «الياسا» علي أنه لايجوز للجندى من الألف أو المائة أو العشرة أن يغير مكانه أو تبعيته ، كما لايجوز للأمير أن يقبل هؤلاء ، ويقتل المخالف من الجنود أمام الملأ. والطاعة العمياء واجبة، فإن سها أمير مائة ألف ، والمسافة بينه وبين الخان مسافة المشرق والمغرب ، كتب إلى الخان فوراً ليأمر بعقاب نفسه .(٤)

---

(١) سعد الغامدى (دكتور) : المجتمع المغولى (ضوابطه وقوانينه) ، ص ٨٣-٨٤.
وكذلك : پي - نن - رشيدوو : سقوط بغداد ، ترجمة اسعد الله آزاد (دكتر) ، ص٢٩٤-٢٩٥ .

(٢) برتولد شپولر : العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، نقله للعربية خالد أسعد عيسى ، ص,٢٧

(٣) حافظ أحمد حمدى (دكتور) : الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، القاهرة، ١٤٢٠هـ.ش/ ٢٠٠٠م، ص١٣٣ .

(٤) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم ، الجزء الأول، ترجمة د. محمد التونجى، ص ٦٦-٦٧ .

وقد نصت «الياسا» على أنه إذا وقع قوس محارب، أو شئ من متاعه وهو يكرّ أو يفر عند القتال، وجب علي من يخلفه أن يترجل عن حصانه، ويعيد إليه ماسقط منه، وإلا قُتل. (١)

كما ألزمت «الياسا» القائم بعرض العساكر وأسلحتها إذا أراد الخروج إلى القتال بحيث تكون جميع المستلزمات جاهزة، ومن لايراعي ذلك عوقب أشد العقوبة. (٢)

ونصت «الياسا» أن يمارس المغول الصيد في الشتاء، بهدف «تمرين العساكر على الركض والكرّ والعطف، وتعويدهم على الفروسية، وإدمانهم للرمي بالنشاب والضرب بالسيف والدبوس، واعتياد القتل والسفك، وتقليل المبالاة بإراقة الدماء وغضب النفوس، وفيها اختيار الخيول ومعرفة سبقها وصبرها علي دوام الركض... ومنها أن حركة الصيد رياضة تعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج.» (٣)

فلم يكن الهدف هو مجرد الصيد فحسب، بل امتد ليشمل الرياضة ورمى النبال وتحمل المشاق كذلك. فإذا أصدر الملك أوامره، استعدت الجيوش وأحاطت بميدان القنص وسارت في ثلاث جهات: من اليمين

---

(١) سقوط بغداد، ص٢٩٢.

(٢) ميرزا عبد القادر خان: اويماق مغول، الهند، ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، ص ١٤٢.

(٣) ابن طباطبا (محمد بن على المعروف بابن الطقطقى): الفخرى فى الآدب السلطانية والدول الإسلامية، القاهرة، ١٣١٧هـ، ص ٤٩.

واليسار والوسط ، ويفوض الملك كبارأمرائه بالصيد معه ، وتُعقد حلقات القنص على شكل دوائر : دائرة أولى ، فثانية ، فثالثة . ليقود الجنود الحيوانات إلى الوسط ، ويضيقوا عليها ، مع المحافظة عليها خشية أن تهرب من أطراف الدوائر ، فإذا هربت بعض الحيوانات من فجوة، يُقرع أمراء الألف والمائة والعشرة بالعصيّ ، أو يُقتل المقصر منهم . (١)

وتقضى العادات القديمة أن أول من يجابه الضوارى هو الخان ، حيث يختار أشرس الوحوش الضارية لاغتيالها ، ثم يخرج من الدائرة ويصعد إلى التل، بعد أن يكون قد قتل عدداً من الضوارى ». (٢)

ثم يأتى الأمراء أبناء الخان ، ويتلوهم الأمراء عامة ، فالجنود ، ويستمر الحال حتى لايبقى من الحيوانات مايستحق صيده . ثم تُجمع الحيوانات المقتنصة وتُعدّ ، فإن استحال إحصاؤها فيقتصر هذا على الوحوش الضارية منها . وبهذه الطريقة من الصيد كانت الحروب تجرى ، ويحصى القتلى ، ويُبقى علي بعضها ، حذو النَعل بالنَعل .(٣)

---

(١) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم ، ترجمة د. محمد التونجى ، الجزء الأول، ص٦٣، ٦٤.

(٢) هارولد لامب : جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ترجمة اللواء بهاء الدين نورى، ص١٢٧ .

(٣) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم ، الجزء الأول، ترجمة د.. محمد التونجى، ص ٦٤-٦٥.

وهكذا أخضع «جنكيز خان» شعبه لدستور اجتماعي متين البنيان، ودستور حربي لايقل عنه متانة وقوة ... ومع أن قانون «الياساق» مختصر وبسيط إلا أنه مبني على الصرامة . (١)

ولقدكانت "الياسا" تُعطي المغول إحساساً بالرفعة والسمو على أصحاب البلدان المفتوحة ، وأحقيتهم في جباية الضرائب منهم. (٢)

ولم يمض وقت طويل حتى ساد الأمن وعم النظام كافة أرجاء الأمبراطورية من شرقها إلى غربها ، ومن شمالها إلي جنوبها ، فأصبحت جرائم القتل وحوادث السرقة وأقوال الكذب، وارتكاب الزنا نادرة الوقوع إلى أبعد حد . (٣)

ولقد أضيفت إلى قوانين «الياسا» أقوال جنكيز ، وحكمه التي كانت تجرى على لسانه ، وأصبحت لها نفس قدسية الياسا . وسوف ألقى الضوء على بعض هذه الأقوال والحكم :

اقوال جنكيز خان وحكمه :

درج المغول على تسجيل أقوال ملوكهم، وكانوا يُعلقونها بعد

---

(١) النسوى (نور الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشى) : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ١١-١٢ .

(٢) لاپيدوس (ايرا . م .) : تاريخ جوامع اسلامى ، ترجمه على بختيارى زاده ، تهران، ١٣٨١هـ.ش، ص٣٩٥ .

(٣) ڤلاديمير ستوف : حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ترجمة عن الإنجليزية د. سعد الغامدى ، ص ١١٦ .

موتهم. ولكنهم لم يكونوا أحراراً في كتابة كل ماقاله هؤلاء الملوك، فكانوا يدونون فقط مايجيزه الخان، وهذا القسم من أحاديث المغول كان يقدره رعاياهم، وينزلونه من أنفسهم منزلة التوقير والاحترام . وكانوا يطلقون عليه «بيليك» بمعنى «حكمة» ، وقد جُمعت حكم جنگيز « بيليكهاى جنگيز »، وصارت مرجعاً لجميع طوائف المغول ، يستشهدون بها ، ويستشيرونها في مختلف شئون حياتهم كما يستشيرون أحكام الياسا .(١)

فهذه الأقوال والحكم عبارة عن كلام تفوّه به «جنگيزخان» في مناسبات متعددة، وجُمع على مراحل ونظر المغول إليها كما نظر المسلمون للأحاديث النبوية توقيراً واحتراماً . (٢)

وقد وردت هذه الأقوال والحكم في الجزء الأول من «جامع التواريخ» لرشيد الدين تحت عنوان : « قسم سوم از داستان چنگيز خان : درسيرت واخلاق پسنديده وعادات كريمهٔ او ، ومثالها وسخنها وبيكليكهاى نيكو كه بحسب هر زمانى گفته وفرموده، ودر زمان حوادث كه در پادشاهى او حادث شده وواقع شده .. ». (٣)

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : المغول في التاريخ ، ص ٢٤٦ .

(٢) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم (بخش اول) ، ص ٧٥ .

(٣) وترجمة ذلك : القسم الثالث من قصة چنگيز خان : في سيرته وأخلاقه الحسنة، وعاداته الكريمة ، وأمثاله وأقواله وحكمه الطيبة التي تفوه بها حسب كل وقت ، وصدرت عنه أثناء الأحداث التي جرت أيام حكمه ..»
- رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول (از آغاز پيدايش قبايل مغول تاپايان دورهٔ تيمور قاآن) ، تهران ، ١٣٣٨هـ.ش، ص٤٣٤ .
وقد شغلت هذه الأقوال مابين صفحة ٤٣٤-٤٤٢ من هذا الكتاب .

كمـا وردت هذه الأقـوال والحكم في «تـاريخ بنـاكـتي» تحت عنوان : «تتمهء داستان چنگيز خان» . (١)

وقد وقع بعض البـاحثين في الخطأ عنـدما خلطوا بين قوانين اليـاسا، وأقـوال «چنگيـز خـان» ومن بينهـم - على سـبيـل المثـال - صـاحب كتـاب «سقوط بغداد» حيث أورد الفقرة التالية على أنها إحدى بنود «الياسا» في مقال له بعنوان «ياساى مغولان» قال فيه ما ترجمته :

«إذا لم يستطع المرء أن يكف عن اللهو ، فإن بوسعه أن يشـرب الخمر - إلى حد السكر ثلاث مرات كل شهر ، ويكون مجرماً يستحق العقاب لو أنه يتجاوز هذا الحد ، ولو أنه يشرب الخمر - إلى حد السكر - مرتين كل شهـر ، فإن ذلك يكون من الأفضل ، ويزداد احترامه لو أنه يشربها مرة واحدة (كل شهر) ولو أن شخصاً لم يعاقر الخمر على وجه الإطلاق ، فلن يكون له مثيل ، ولكن أين يمكن العثور على مثل هذا الشخص ؟ فلو أنه وجد لكان خليقاً بأقصى درجات الاحترام والتعظيم .»(٢)

---

(١) أبو سليمـان داود البناكتي : تاريخ بنـاكـتي (روضـة أولي الألبـاب في معرفة التواريخ والأنساب) ، تهران ، ١٣٤٨هـ.ش، ص٣٧١ .
وقد شغلت هذه الأقوال مابين صفحة ٣٧١-٣٧٥ من هذا الكتاب .

(٢) بى- نن رشيدوو : سقوط بغداد وحكمروايى مغولان در عراق ترجمهء دكتر أسد الله آزاد، ص٢٩٤ .
« اگر كسى نتواند از شاد خوارى خود دارى كند ، مى تواند ماهى سه بار به حد مستى بنوشد ، اگرازين ميزان در گذرد مجرم وسزاوار مجازات است ، اگر ماهى دو مرتبه به حد مستى بنوشد بهتراست ، واگر اين ميزان به يك بار رسد قابل تحسين تراست ، واگر كسى به هيچ روى ميگسارى نكند ، چه از آن بهتر ؟ اما چنين فردى را كجا مى توان يافت؟ اگر چنين فردى پيدا شود ، شايان بيشترين حد احترام وبزرگداشت است».

على حين أوردها رشيد الدين فى مجموعة الحكم والأمثال التى جرت على لسان «چنگيز خان» حيث يقول ما ترجمته :

«عندما يشمل المرء من الشراب والمسكرات ، يكون أشبه بالأعمى الذى لايستطيع أن يرى شيئاً ، وكالأصم الذى لايسمع النداء ، وكالأخرس الذى لايستطيع الرد على الكلام . وعندما يسكر الرجل ، يكون أشبه بالمرء ساعة الاحتضار ، فلو أنه يريد أن يجلس مستقيماً ، فإنه لايستطيع ويظل حائراً مدهوشاً كمن دُقَّ يافوخه . فالسكير يفقد العقل والفضيلة ، ويتجرد من الأخلاق والسيرة الحسنة ويرتكب سئ الأفعال : فيقتل ويضرب ، ويحول (الشراب) بينه وبين مايعرف من أشياء وفنون ، ويصبح حائلاً بينه وبين عمله فيعافُ الطعام والشراب اللذين يُعيناه (على الحياة) فالحاكم الذى يدمن الشراب والمسكرات ، لاتتأتى منه عظائم الأعمال ، وليس بوسعه وضع قوانين هامة ، وكل أمير يبالغ فى تناول الشراب ليس (١) بإمكانه أن يقود ألفا (من المقاتلين) والحارس الذى يدمن الشراب يصيبه

---

(١) «چون مرد از شراب وطراسون مست شود ، همچون نابينا باشد ، كه چيزى نتواند ديد ، وگر گردد چون اورا خوانند نشنود ، وگنك گردد چون با او سخن گويند جواب نتواند گفت ، ومرد چون مست شود مانند كسى بود كه در حالت مرگ باشد : اگر خواهد كه راست بنشيند نتواند ، همچنانكه كسى كه اورا زخم برسر زده باشد ، مدهوش ومتحير مانده باشد ، ودر شرابخواره عقل وهنر نباشد وخلق وسيرت نيكوهم نباشد ، كارهاى بد ميكند : ميكشد وميزند ، ومرد را از چيزهائى كه داند واز هنرها كه دارد با زدارد وحجاب كار اوشود ، آنچنانكه هر دورا معين كرده باشد ، آش وشيلان را تركند ، وپادشاه =

بلاءٌ عظيم . كما أن العوام من الناس الذين يدمنون الشراب يقضون على خيولهم وقطعانهم وكل مايملكون وينتهي الأمر بهم إلى الإفلاس ، والخدم الذين يدمنون الشراب ، يعذبهم الدهر على الدوام فهذا الشراب يفقد الرشد ، ويذهب بصواب الأخيار والأشرار ، فلا يميزون بين الشر والخير ، كما أنه يجعل اليد ثملة ، فتتوقف عن حركتها وفضيلتها ، ويجعل القدم ثملة فيحول بينها وبين حركتها ، ويُشمل اللب فلا يستطيع (المرء) أن يحسن التفكير ، ويمنع جميع الحواس من القيام بعملها ، وإذا لم يكن هناك مفر من تناول الشراب فعلى المرء أن يسكر ثلاث مرات في الشهر ويخطئ لو تجاوز هذه المرات الثلاث ، ويكون من الأفضل لو يتناول الشراب مرتين في الشهر ، ومن المستحسن أن تكون مرة والأفضل من ذلك كله الإقلاع عن الشراب ، والسلام ».

- (كه) بر شراب وطراسون حريص باشد ، كارهاى بزرگ ويوسونهاى عظيم را جيدا ميشى نتواند كرد ، ومرد كشكبو كه بر خوردن شراب حريص باشد ، بلاى عظيم بوى رسد ، ومردم فراچون ، يعنى عامه ، كه برخوردن شراب حريص باشند ، اسپ وگله وهر آنچه از آن ايشان باشد جمله تمام كنند ، ومفلس شوند ومرد خدمتكار كه برخوردن آن حريص باشد پيوسته روزگار ايشان را معذب دارد ، واين شراب وطراسون مست كنندهٔ دلست ونيكان وبدان را نيز مست ميگرداند ونميگويد كه بداست يانيك . دست را مست كند تا از گرفت وگير وهنر خود باز ماند وپاى را مست كند ، تا از حركت وآمد وشد بازماند ، ودل را مست كند تا انديشهٔ صواب نتواند كرد ، وحملهٔ حواس وآلات اورا از كار بردارد ، واگر از خوردن چاره نباشد ، دريكماه سه بار مست شود ، وچون از سه بگذرد خطا كند ، واگر در يكماه دوبارمست شود بهتراست ، واگر يكبار پسنديده ، واگر نخورند از آن بهتر باشد ، والسلام.»

رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول ، ص ٤٣٨ .

ومن بين أقوال «چنگيز خان» وحكمه ما ترجمته :

«على كل من يمثل أمام أحد العظماء ألا يتفوه بأى كلام إلى أن يسأله ذلك العظيم، فينبرى بإجابة مطابقة على قدر ذلك السؤال فإن أنصتوا إليه - إذا استرسل - فبها، وإلا فإنه يكون كمن يطرق حديداً بارداً. (١)

ومن أقوال «چنگيز خان» كذلك ما ترجمته :

«سوف يرتدى أفراد قبيلتنا الثياب المطرزة بالذهب من بعدنا، ويطعمون الأطعمة الدسمة و اللذيذة، ويمتطون صهوات الجياد الجميلة ويعانقون الزوجات الحسناوات ، ولن يقولوا إن هذه (النعم) قد جمعها آباؤنا وسادتنا، وسوف ينسوننا فى ذلك اليوم العظيم». (٢)

ومن أقواله أيضاً ما ترجمته :

«إن من يدبر بيته أحسن تدبير ، يتمكن من إدارة المملكة ، ومن تمكن من إدارة عشرة أفراد وأحسن سوقهم ، يكون جديراً بأن يسندوا إليه الألف

---

(١) «هر كس كه پيش بزرگى رود ، بايد كه سخن هيچ نگويد تا وقتى كه آن بزرگ سؤال كند ، آنگاه برقياس آن سؤال جواب مطابق گويد ، چه اگر بيشتر سخن گويد اگر شنوند فبها ، وإلا آهنى سرد كوفته باشد.»
أبو سليمان داود البناكى : تاريخ بناكتى ، ص ٣٧٢ .

(٢) «بعد ازما اروغ ما قباهاى زر دوخته بپوشند ونعمتهاى چرب وشيرين بخورند و بأسبان نيكو صورت برنشينند، وخاتونان خوش روى در بركشند ، نگويند كه اينها پدران وآقايان ماجمع كردند ، ومارا درآن روز بزرگى فراموش كنند» .
رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول، ص ٤٣٧-٤٣٨.

والمائة ألف ويتمكن من إدارتها .»(١)

ومن أقواله كذلك ما ترجمته :

«إن أمراء التومان » العشرة آلاف » وأمراء الألف الذين يأتون أول العام وآخره ، وينصتون إلى أقوالنا ويعودون ، بوسعهم أن يقودوا الجيش ، أما أولئك الذين يقبعون في مساكنهم ولايسمعون نصائحنا ، فإن حالهم يكون أشبه بالحجر الذي هوى في ماء عميق أو كسهم أطلق في مزرعة من الغاب فتوارى ، وأمثال هؤلاء لايستحقون القيادة .» (٢)

---

(١) وقد وردت ترجمة هذه الأقوال في كتاب عباس العزاوي - تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الأول ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ مع اختلاف في ترجمة الفقرة الأخيرة حيث يقول : (ومن تمكن من إدارة عشرة أفراد وأحسن سوقهم ، تيسر له سوق جيش عظيم).

المتن الفارسي : «هراكس كه خانهٔ خويش راست تواندكرد ، ملك راست تواند كرد ، وهركه ده كس اچنانكه شرط بود ياسا ميشي تواند كرد ، لايق آن باشد كه هزاره وتومان به وى دهند ، وياسا ميشي تواند كرد .»

أبو سليمان داود البناكي : تاريخ بناكتي ، ص٣٧٢ .

(٢) «اميران تومان وهزاره كه در اول سال وآخر سال بيايند وبيليك بشنوند وباز پس بروند ، مگر ايشان سرورى لشكر توانند كرد ، وآنها كه در يورت خويش نشينند ، وبيليك نشنوند حال ايشان بر مثال سنگى باشد كه بر آب فراوان افتد ، يا تيرى كه در ميان نيستان اندازد ، ناپديد گردد ، چنان كسانى پيشوايى را نشايند» .

رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول ، ص ٤٣٥ .

ومن أقواله كذلك ما ترجمته :

« ينبغي على الزوج أن يثبت (كفاءته) بنفسه في كل مكان ، كما ينبغي على الزوجة أن ترتب البيت وتزينه عند خروج زوجها للصيد أو القتال ، فلو ينزل بالبيت رسولٌ أو ضيف ، فإنه يرى كل شئ مرتباً ، والطعام الجيد مهيأ ، ولوازم البيت جاهزة ، فلا غرو أن تذيع سمعة الزوج الحسنة ، ويعلو صيته ، ويصبح كالجبل الشامخ في المحافل والمجالس ، فسمعة الرجل مستمدة من سمعة زوجته أما إذا كانت الزوجة سيئة ، وغير مرتبة ، وتفتقر إلى الرأى والتدبير ، فإن الزوج يتأثر هو الآخر بها ، وهناك مثل مشهور يقول : "إن كل شئ في البيت يشبه ربته" . » (١)

ومن بين حكم « چنگيز خان » ما ترجمته :

« على المرء أن يكون بين الخلائق كالعجل بين (القطيع) ، وأن يقتحم حومة القتال زمن الحرب وكأنه الصقر الجائع ، المتلهف للصيد » . (٢)

---

(١) « مرد بايد كه در همه جائى خود را بخويشتن باز نمايد ، وزن بايد كه چون شوهرش بشكار ولشكر برنشسته باشد ، او خانه را مرتب وآراسته دارد ، چنانكه اگر ايلچى يامهمان بخانه فرود آيد ، همه چيزى بترتيب بيند ، وآش نيكوساخته ، ومهمات مهمان پرد اخته ، لاجرم نيكنامى شوهر پيدا گردانيده باشد ، ونام اوبلند كرده ودر محافل ومجالس چون كوه سرا فراز گشته ، نيكى مرد از نيكى زن معلوم شود ، واگر زن بد ونا سامان باشد وبى راى وتدبير (بى راى وتدبيرى) مردهم ازو معلوم شود ومثلى مشهور است « درخانه بكد خداى ماند همه چيز » .

رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول ، ص ٤٣٦ .

(٢) « مرد بايد كه در ميان خلق چون گوساله درميان باشد ، ودر وقت جنگ چون چرغ گرسنه در شكار جهد . »

المرجع السابق ، ص٤٣٦ .

ومن حكمه كذلك ما ترجمته :

«إن كل أمير لايستطيع أن يدير مجموعة جنده العشرة، يعاقب هو وزوجته وأطفاله، ويستبدل بواحد من مجموعته ، وهكذا الحال بالنسبة لأمير المائة وأمير الألف وأمير العشرة آلاف .» (١)

ومن حكمه ماترجمته :

« إن كل كلام يتفق عليه ثلاثة من العلماء ، من الممكن الاستشهاد به في كل مكان ، وإلا فلا مجال للاعتماد عليه ، فزن كلامك وكلام الآخرين بكلام العلماء ، فإن توافق معهم فإنه يكون جديراً بالتحدث به ، وإلا فلا ينبغي التفوّه به ». (٢)

ومن حكمه كذلك ماترجمته :

« إن كل جواد يجيد العدو في حالة سمنته ، كما يعدو في حالتي

---

(١) «هر اميرى كه دهه‌ء خود را ياساميشى نتواند كرد ، اورا بازن وبچه گناه كنند ، وازد هه‌ء اويكى بجهت اميرى اختيار كنند - وصده وهراره وتومازا ينز ، همچنين».

رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول ، ص ٤٣٦ .

(٢) «هر سخن كه سه دانا بر آن اتفاق كنند ، آنرا همه جا باز توان گفت ، وإلا بر آن اعتماد نباشد . سخن خود ، واز آن ديگرى ، باسخن دانايان قياس كن ، اگر موافق افتد ، گفتنى باشد ، وإلا هيچ نبايد گفت».

رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول ، ص ٤٣٦ .

الضعف والنحافة بوسعك أن تسميه جواداً أصيلاً ، أما الجواد الذى يحسن العدو فى واحدة من هذه الحالات ، فليس بالإمكان وصفه بالأصالة ». (١)

ويؤكد "بارتولد" « أن الياسا ، وأقوال چنگيزخان وحكمه قد ظلت بمثابة الأحكام النافذة - بالنسبة للمغول - مدة طويلة من الزمن ». (٢)

ورغم أن صاحب «طبقات الشافعية» يؤكد أن "الياسا" كانت - بالنسبة لچنگيز - بمثابة الشرع والدين ، حيث يقول : « ووضع - يعنى چنگيزخان - له شرعاً اخترعه ، ودينا ابتدعه - لعنه الله - سماه "الياسا" ، لايحكمون إلا به ». (٣) إلا أنه يذكر فى موضع آخر أن عاطفته كانت تغلب عليه أحياناً ، فيتجاهل تطبيق قواعد "الياسا" ، يقول :

« وأمر - أى چنگيزخان - مرة بقتل ثلاثة قد اقتضت الياسا قتلهم ، وإذا امرأة تبكى وتصيح ، فأحضرها ، فقالت : هذا ابنى ، وهذا أخى ، وهذا زوجى . فقال : «اختارى واحداً منهم أطلقه» . فقالت : «الزوج

---

(١) هر اسپى كه در فربهى نيكو برود ، درنيم گوشتى ولاغرى همچنان برود ، آن اسب را نيكو توان گفت. أما اسبى كه دريك حال ازين سه نيكو برود ، آنرا نيكو نتوان گفت».

المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢) بارتولد : تركستان نامه ، جلد دوم ، ترجمهء كريم كشاورز ، تهران ، ١٣٥٢هـ.ش ، ص ٨١٤ .

(٣) السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب) : طبقات الشافعية الكبرى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص ٣٣٠ .

والأبن يجئ مثلهما ، والأخ لا عوض له» ، فاستحسن ذلك منها ، وأطلق لها الثلاثة ». (١)

وسواء صدقت صحة هذه الرواية أو ابتعدت عن الحقيقة ، فمن الواضح أن شخصية "جنكيزخان" كانت من القوة بحيث لايجرؤ أحد من المحيطين به أن يوجهه أو ينتقده . فها هو ذا صاحب «فوات الوفيات» يبين لنا هذا الأمر ، فيقول :

« وقرَر لهم : أن كل من رعف وهو يأكل قُتل كائناً من كان ، وقرر لهم أن كل من لم يُمض حكم "اليسق" ولم يعمل به قُتل أيضاً ، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم ، لعلمه أنه يُداخلهم الحسد له ويستصغرونه فتركهم يوماً وهم على سماطه ورَعَف نفسه ، فلم يجسر أحدٌ أن يمضي فيه حكمه ، لمهابته وجبروته ، فتركوه ولم يطالبوه بما قرره ، وهابوه في ذلك ، فتركهم أياماً وجمعهم وقال : لأى شئ ما أمضيتم حكم "اليسق" فيَ وقد رعفت وأن آكل بينكم ؟ فقالوا : لم نجسر على ذلك . فقال : لم تعملوا باليسق ولا أمضيتم أمره ، وقد وجب قتلكم ، فقتل أكابرهم واستراح منهم ». (٢)

---

(١) السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب) : طبقات الشافعية الكبرى، ص٣٣١ .

(٢) ابن شاكر الكتبي (فخر الدين محمد بن أحمد) : فوات الوفيات ، المجلد الأول، بيروت ، ١٩٧٣م، ص ٣٠٣ .

ونلاحظ مما سبق أن «جنگيز خان» كان يتربص بهؤلاء الجماعة للإيقاع بهم والخلاص منهم ومن ثم فإنه تحين فرصة وجوده معهم على الطعام وجرح أنفه ليسيل الدم وكأنما أصابه «الرُعاف» وهذا يدل على شدة مكر چنگيز ولجوئه إلى الخداع لتنفيذ مايريد . وقد تم له بالفعل الخلاص من هؤلاء القوم . أما بالنسبة لأقواله والتى اعتبرها المغول بمثابة قوانين إضافية إلى جوار « الياسا » فإنها بدورها لاتخلو من البساطة فهى ليست بمثابة الحكم الرصينة التى تصادفنا فى الأدب العربى على سبيل المثال ولكنها أقوال أقرب ما تكون إلى حياتهم البدوية البسيطة مابين حكمة يوجهها إلى الأبناء وأخرى يوجهها إلى الزوجة المغولية أثناء تغيب زوجها وثالثة يوجهها إلى رجال المغول للثبات فى ميادين القتال أو السهر على مجتمعهم أثناء العودة من الحروب والمعارك .

وقد استمرت أحكام "الياسا" فترة طويلة بعد المغول ، حيث كان تيمور لنگ شديد الإعجاب بقوانينها ، وقام بالفعل بتطبيقها ، حتى أننا نرى أثرها واضح فى التنظيمات والقواعد والحكم التى صاغها تيمور ونُسب إليه وهى المعروفة باسم «تزوكات تيمورى» ، من ذلك مثلاً : قتل السارق عند چنگيز وتيمور. (١)

---

(١) تربتى (أبو طالب حسينى) : تزوكات تيمورى ، باهتمام كتابفروى اسدى ، تهران، ١٣٤٢هـ.ش، ص٢٥٠ .

الفصل الثانى
بين الياسا والشريعة الإسلامية

الفصل الثانى
بين الياسا والشريعة الإسلامية

تحدثنا في الفصل السابق عن قوانين الياسا الجنگيزية ، وكيف كان المغول يطبقون قوانيها بكل صرامة ، ومن الواضح أن من بين هذه القوانين ماجاء موافقاً لبعض أحكام الشريعة الإسلامية ، ومنها ماجاء مخالفاً لها .

وسأحاول أن ألقى الضوء - فى البداية - على بعض قوانين الياسا التي جاءت موافقة لأحكام الشريعة الإسلامية .

أ- الزنا واللواط :

نهت الياسا عن الزنا واللواط ، ونصت على أن من زنى قُتل، ومن لاط قُتل - وقد توافق هذا النهى مع ما أمرت به الشريعة الإسلامية ، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ . (١)

وقوله تعالى : ﴿ الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾. (٢)

وقد نصت الشريعة الإسلامية علي أن حدّ الزانى المحصن هو الرجم حتى الموت، يقول أبو هريرة : أتى رجل رسول الله وهو في المسجد فناداه

---

(١) سورة الإسراء ، آية (٣٢) .
(٢) سورة النـور ، آية (٣) .

فقال : يارسول الله : إنى زنيت . فأعرض عنه ، حتى ردّد عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبى ﷺ فقال : أبك جنون؟ قال : لا ، قال : فهل أحصنت؟ فقال : نعم . فقال النبى ﷺ : اذهبوا به فارجموه . قال جابر : فكنت فيمن رجمه ، فرجمناه بالمصلى ، فلما أذلقته الحجارة هرب ، فأدركنا بالحرّة ، فرجمناه.»(١)

أما الزانى غير المحصن فأمرت الشريعة الإسلامية أن يُجلد مائة جلدة على الملأ، ليكون عبرة لغيره ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾.(٢)

كما نهت الشريعة الإسلامية عن اللواط ، وعدّته من الفواحش التى تفضى إلى سوء المصير ، يقول تعالى : ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين ، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون﴾. (٣)

وروى عن جابر بن عبدالله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن

---

(١) حديث شريف رواه البخارى ومسلم فى كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى.
محمد فؤاد عبد الباقى : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، جـ ٢ ، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص١٨٦-١٨٧ .
(٢) سورة النور، آية (٢).
(٣) سورة الأعراف ، آية (٨٠ - ٨١).

أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط » . (١)

وإذا كانت الياسا قد أمرت بقتل من يلوط ، فإنها قد توافقت مع ماورد في الشريعة الإسلامية في هذا الأمر ، فقد ورد في الحديث الشريف عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . (٢)

ب- الكذب :

نهت الياسا عن الكذب ، وأمرت بقتل من يتعمد الكذب ، وجاء هذا النهي موافقاً لما أمرت به الشريعة الإسلامية ، التي اعتبرت الكذب من الآثام، ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً ﴾ . (٣)

وقد توعّد الله الكاذبين - يوم القيامة - بالخزى ودخول النار ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ . (٤)

---

(١) حديث شريف أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ، كتاب الحدود ، باب ماجاء فيمن وقع على ذات محرم أو أتى بهيمة أو عمل عمل قوم لوط، جـ١٦ ، ص١٠٣-١٠٤ .

(٢) حديث شريف أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الحدود ، باب ماجاء فيمن عمل قوم لوط، جـ ٤ ، ورقم الحديث عند أبى داود ٥٥٦٢ ، طبعة دار الريان ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٣) سورة النساء ، آية (٥٠) .

(٤) سورة الزمر ، آية (٦٠) .

كما نهى الرسول ﷺ عن قول الكذب، لأنه يفضى بصاحبه إلى جهنم، فقد روى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا». (١)

جـ- السحر:

ولقد حرمت الياسا مزاولة السحر، وأمرت بقتل الساحر - اللهم إلا ساحر القبيلة الذى كان يدرأ عنهم أذى الأخرين، كما سيأتى بالتفصيل فى الباب القادم - وجاء تحريم السحر في الياسا متمشيا مع ما أمرت به الشريعة الإسلامية، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا إن ما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتى ﴾. (٢)

ويقول الرسول ﷺ: «اجتنبوا الموبقات: الشرك بالله والسحر». (٣) وأكد الرسول عليه السلام أن المؤمن بالسحر تحرم الجنة عليه، فقد ورد عن أبى سعيد الخدرى قال، قال رسول الله ﷺ: «لايدخل

---

(١) حديث شريف أخرجه البخارى ومسلم فى اللؤلؤ والمرجان، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، جـ٣، ص ١٩٨.

(٢) سورة طه، آية (٦٩).

(٣) حديث شريف أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الطب - باب الشرك والسحر من الموبقات - جزء ٤ صفحة ٢٠.

الجنة صاحب خمس : مدمن الخمر ، ولامؤمن بسحر ، ولا قاطع رحم ، ولا كاهن ، ولا منان». (٣)

د- السرقة :

وقد نهت الياسا عن السرقة ، وجعلت القتل عقوبة للسارق ، كما نهت الشريعة الإسلامية عن السرقة وأمرت بقطع يد السارق تنفيذاً لقول اله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله ، والله عزيز حكيم ﴾. (٢)

ومن بين الأحاديث التي وردت بشأن السرقة حديث عائشة رضى الله عنها «أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالت : ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ، حب رسول الله ﷺ ؟ فكلمه أسامه ، فقال رسول الله ﷺ : «أتشفع فى حدّ من حدود الله ؟ ثم قال فاختطب، ثم قال : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت لقطع محمد يدها» (٣)

---

(١) حديث شريف أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ، كتاب الحدود، باب ماجاء فى ثبوت السحر وتأثيره بإرادة الله تعالى ووعيد من صدقه بغير ذلك ، جـ١٦ ، ص ١٢٩.

(٢) سورة المائدة ، آية (٣٨).

(٣) حديث شريف أخرجه البخارى ومسلم ، اللؤلؤ والمرجان ، كتاب الحدود ، باب قطع يد السارق الشريف وغيره والنهى عن الشفاعة فى الحدود ، جـ٢ ، ص ١٨٥-١٨٦.

ومن الواضح اختلاف حدّ العقوبة بين الياسا الجنكيزية والشريعة الإسلامية حيث جعلت الياسا حد السرقة هو القتل ، بينما جعلت الشريعة الإسلامية قطع يد السارق حداً لجريمته .

وقد جاءت معظم قوانين الياسا الجنكيزية مخالفة لما جاء في الشريعة الإسلامية ، ونذكر من بينها :

١- الطهارة :

فقد اعتبر جنكيز خان أن جميع الأشياء طاهرة ، ولم يفرق بين ماهو نجس وطاهر ، وهذا أمر يثير النفور والاشمئزاز . فقد ترتب على هذا الأمر عدم اكتراث المغول بالنظافة ، سواء كانت نظافة أبدانهم أو ثيابهم ، حيث حظرت الياسا عليهم الاستحمام في الماء الجارى ، كما حظرت عليهم غسل ثيابهم فيه . ونصت الياسا علي أن يرتدى المغول الثياب حتي تبلى .

أما الشريعة الإسلامية فتحثنا دائما أن نتطهر ، يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس علي التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾. (١)

وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وثيابك فطهر ﴾. (٢)

---

(١) سورة التوبة ، آية (١٠٨).

(٢) سورة المدثر ، آية (٤).

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالطهارة ، وحثنا عليها بقوله : ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس اليطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾.(١)

فالمسلم يتوضأ كل يوم قبل الصلاة خمس مرات وأمرنا الإسلام بطهارة الجسم والثياب والمكان الذى نصلى فيه . جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : «يا رسول الله إنا نركب البحر ، ونحمل معنا قليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ به ؟ فقال رسول الله ﷺ : هو الطهور ماؤه، الحل ميتته».(٢)

على حين أن المغولى يظل مرتدياً ثيابه حتى تبلى دون أن يقوم بغلسها أو تنظيفها ، فيظل كريهاً غير مقبول ، ناهيك عن عدم اكتراثه بنظافة جسده فهو لايستحم حيث نهته الياسا عن عدم الاقتراب من الماء فمن أين تأتيه الطهارة .

وقد رأينا أن المغولى لايفرق فى طعامه كذلك بين ماهو طاهر وماهو نجس حيث شاهدنا أنه لايحجم حتى عن أكل الكلاب والفئران .

---

(١) سورة الأنفال، آية ١١ .

(٢) محمد ناصر الدين الألبانى : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها ، المجلد الأول ، حديث رقم ٤٨٠ ، الطبعة الرابعة ، دمشق، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٧٨٦ . وكذلك :
السيد سابق : فقه السنة ، المجلد الأول ، باب الطهارة ، الطبعة السابعة ، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٧ .

٢- ذبح الحيوان :

ومن الأمور التي خالفت الياسا فيها تعاليم الشريعة الإسلامية ذبح الحيوان، فقد كانت تعاليم الياسا تقضي بأن تكتف قوائم الحيوان ويشق بطنه ، ويمرس قلبه إلى أن يموت ، والأدهى من ذلك أن الياسا أمرت أن من يذبح الحيوان بالطريقة الشرعية عند المسلمين يُذبح . فكان هذا الأمر سببا في إيقاع الأذى بالمسلمين فترة طويلة من الزمن .

ونلاحظ أن طريقة الذبح عند المغول - بهذه الصورة - مليئة بالقسوة، على عكس ما أمرت به الشريعة الإسلامية ، فقد أوصى الرسول ﷺ - في حديث له - بالرفق بالحيوان حتي أثناء ذبحه ، يقول صلوات الله عليه في حديث رواه عنه شدّاد بن أوس : «إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شئ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحدّ أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته» . (١)

٣- نظرة الياسا إلى المرأة :

نصت الياسا على أن تعرض على السلطان عند رأس كل سنة سائر بنات العساكر الأبكار ، ليختار منهم لنفسه ولأولاده .

---

(١) حديث شريف أخرجه الدرامي في سننه ، باب في حسن الذبيحة ، الجزء الثاني، ص ٩. وكذلك : تحقيق الألباني في الارواء (رقم الحديث ٢٢٣).

ولم تراع الياسا فكرة القرابة بين الزوجات ، فكان من الممكن أن يجمع المغولى فى الزواج بين أختين ، وأن تئول إلى الابن الأكبر جميع زوجات أبيه ، وله أن يتزوج بهن جميعاً ، ماعدا أمه .

وأباحت الياسا للخان أن يتزوج من أى امرأة تعجبه ، ولو كانت متزوجة ، وأمرت الزوج أن يتخلى عنها طواعية للخان .

ونصت الياسا على أن تدفن جوارى الحاكم معه - أحياء - فى قبره ليقمن بخدمته فى الآخرة .

وهذه النظرة تخالف نظرة الشريعة الإسلامية للمرأة ، التى كرمتها وراعت مشاعرها ، وحسبنا أن نقرأ قول الله تعالى : ﴿ولاتنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء إلا ماقد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ، حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللائى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دختلم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيما﴾. (١)

---

(١) سورة النساء ، آية (٢٢-٢٣).

محاولات غازان التوفيق بين الياسا والشريعة الإسلامية :

كان غازان شديد الحرص على إصلاح النظام الدستورى للدولة، وخاصة بعد أن تأكد له بُعد كثير من قوانين الياسا عن الشريعة الإسلامية .

ومن هنا جاءت محاولته للتوفيق بين الياسا والشريعة الإسلامية ، فيما عرفته المراجع بالياسا الغازانية .

ولما كان هذا الباب يتحدث عن النظام الدستورى للدولة ، فقد رأيت أن أتعرض فيه لأمرين هامين يتصلان بهذا الجانب هما : إصلاحات غازان القضائية، وإصلاحاته الدينية .

وكان غازان يستلهم إصلاحاته من الشريعة الإسلامية ، كما عبّر هو بنفسه عن ذلك فى كثير من الأحيان .

إصلاحات غازان القضائية :

يصور لنا « رشيد الدين » ما آل إليه حال القضاء قبل عصر غازان ، فيقول ما ترجمته : « ... وقد اتفق أنه فى عهد المغول علم بالتدريج أن القضاة والعلماء يعرفون بمجرد لبسهم العمامة والدراعة ، ولكن من المقطوع به أن المغول لم يكونوا يعرفون كيف يميزون هذه الطبقة عن غيرهم ، ولهذا السبب ارتدى الجهال والسفهاء الدراعة والعمامة بكل وقاحة وراحوا يلازمون المغول ، وسرعان ما نالوا شهرة لديهم، وذلك

بانواع التملق والتزلف والرشوة وقد تدخلوا فى شئون القضاء وتقلدوا المناصب الشرعية ، وحصلوا على المرسوم فى هذا المجال .

ولما استمر الحال مدة على هذا النحو ، كف العلماء الكبار المتدينون ذوو الشرف أيديهم عن تلك الأشغال والأعمال ، إذ كيف يوافق الرجال الكبار أن يضعوا أنفسهم فى محيط هؤلاء الأشخاص ، غير أن الوزراء والحكام التازيك لم يكونوا يتخلون عن طائفة العلماء الكبار الشرفاء ، والذين كانوا فى قمة الشهرة فصاروا يثنون عليهم دائماً ، ويمنعون كل شخص مفسد يحاول أن ينال منهم . ولهذا السبب بقي بعض القضاة الكبار المشهورين فى مناصبهم .

ولما كان الجهال والسفهاء الذين يبدون فى صورة العلماء كثيرين فى البلاد ، وكانوا يرون أن أمثال هؤلاء يتقلدون مناصب كبيرة ، طفقوا يعارض بعضهم بعضا ، وقد لفت نظر المغول كثرة نزاعهم ومجادلاتهم . كما اتضحت وقاحتهم للجميع ، فظن المغول أن جميع العلماء علي هذا النحو ، وبذلك ضاعت حرمة وهيبة كبار الشخصيات بل زالت كرامة أمة الإسلام بسبب هؤلاء الجهال ، وصار الجميع سيئ السمعة أذلاء محتقرين ، وكان كل أمير يحمي واحدا من هؤلاء الأشرار . وفى كل فترة ينصب أحدهم قاضيا ، ويعزل آخر ، وقد بلغ الأمر ببعضهم أنهم كانوا يتقلدون منصب الفقهاء بالضمان ، ويجب على القاضى أن يحكم بشفاعة هذا الأمير أو ذاك ... » (١)

---

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ترجمة د. فؤاد الصياد ، ص ٢٧٥-٢٧٦ .

فلما جاء الدور على «غازان» أصدر مرسوما بتولي «مولانا فخر الدين» أمور القضاء ، وكان هذا الرجل قاضي القضاة في هراة ، وكان من فحول علماء الزمان في عصره .

وأمر غازان أن يتم تحري الدقة في اختيار القضاة ، بحيث لايشغل هذا المنصب إلا من توافرت له كل أسباب العلم والصلاح والدقة .

كما أمر الديوان بصرف رواتب مجزية لرجال القضاء . (١)

وكان غازان حريصاً كل الحرص على صون كرامة القضاة ، وألا يرضخوا لأي نوع من الضغوط من الحكام ، أو لأي إغراءات مادية تدفعهم إلى قبول الرشوة ، ومن ثم فلا غرابة أن يصدر أمرا بالفصل في القضايا في دار القضاء ، وألا يذهب القاضي إلى بيت أحد مهما علا شأنه ، وينص هذا القرار على ما ترجمته :

« لاينبغي لأي كائن من الحكام والأمراء والوزراء أن يُحضر القاضي إلى منزله وعلى الجميع التوجه إلى دار القضاء للفصل في القضايا ، وعلى القاضي ألا يأخذ شيئاً من الناس لأي سبب أو ذريعة » . (٢)

---

(١) شيرين بياني : دين ودولت ، جلد دوم ، ص ٤٦٠ .

(٢) « ... بايدكه قاضي را هيچ آفريده از حكام وامرا ووزراء بخانه خود نطلبد وهمه كس جهة فيصل قضايا بدار القضاء رود وقاضي بهيچ علت وبهانه از مردم چيزى نگيرد ... »

خواند مير : حبيب السير ، جلد سوم ، ص ١٦١ .

وأمر غازان ألا يتدخل أى مخلوق فى عمل القاضى ، وأن يعفى القضاة من دفع الضرائب ، ولا يأخذ الحكام منهم خيولا أو دواب للبريد ، ولا ينزلوا فى منازلهم ، كما أمر غازان شحنة الولاية بأن يجازى كل من يتفوه بكلام عنيف أو يجيب بإجابة غير لائقة أمام القاضى ، أو ينقص من حرمته .

كما أمر غازان ألا يستمع القضاة للدعاوى القديمة التى لم يبت فيها منذ ثلاثين سنة ، وألا يستمع أحد من القضاة لقضية المزور المدلس .

ومن بين القضايا التى شغلت بال غازان أنه إذا مثل خصمان أمام القاضى ، وجاء كلاهما فى حماية أحد الأشخاص أو أنهما أحضرا معهما إلى دار القضاء جماعة من ذوى النفوذ بقصد الوقوف إلى جانب الخصمين أو أحدهما أو محاولة الضغط والتأثير علي القاضى فإنه فى هذه الحالة لايستمع لقضيتهما مالم يغادر هؤلاء قاعة المحكمة، وقطعا لاينظر القاضى فى القضايا الشرعية مادام حماة الخصوم حاضرين . (١)

= وقد ترجم الدكتور عبدالوهاب علوب الفقرة الأولى على النحو التالى : « على القاضى ألا يستدعى أحداً من الأمراء أو الولاة والوزراء إلى داره ... وهذا لايؤدى المعنى المقصود ..

عباس اقبال : تاريخ المغول منذ حملة چنگيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة د. عبدالوهاب علوب ، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٠١ .

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ترجمة د. فؤاد الصياد، ص ٢٥٤-٢٥٦ .

ولايجوز لأحد غير كتاب دار القضاء أن يكتب سنداً ، وعلى القضاة أن يحصروا عمل الكتابة فى أشخاص معينين يجعلونهم كتاباً لهم .

وعلى القضاة أن يهتموا أكثر من المعهود بقضية تعديل الشهود وتزكيتهم . (١) وقد شاعت قبل أيام غازان عملية تزوير مفادها أن يبيع مالك ملكه ، أو أن يرهنه ثم يعيد بيعه أو رهنه مرة أخرى لشخص آخر . فوضع غازان قانوناً حاسماً يقضى على هذا التزوير ، بحيث إذا باع إنسان ملكه أو رهنه فإنه لايستطيع أن يبيعه أو يرهنه مرة ثانية .

وإن تبين أن أحداً أقدم على مثل هذا الفعل ، كان عقابه أن تُحلق لحيته ويطاف به فى أنحاء المدينة .

وقد أورد صاحب حبيب السير مضمون مرسوم غازان بهذا الشأن، حيث يقول ماترجمته : « كان مضمون المرسوم الثالث أن من جملة معظمات الأمور الواقعة دعاوى باطلة تستند إلى سندات وسجلات قديمة ، وبيان ذلك أن بعض المزورين كانوا يكتبون عدة سندات بملكيتهم لملك واحد، وأحيانا يكتبون سندات متعددة بملكيته باسم أولادهم ، فإذا باعوا هذا الملك أعطوا المشترى سنداً منها ، واحتفظوا بآخر عندهم ، فإذا انتقل هذا الملك بعد ذلك من يد إلى يد، أبرزالبائع الأول أو أحد ورثته السند الذى احتفظ به ، وادعى ملكيته ، وأثبت دعواه بشهود زور ، وقد أمرنا بأن كل من أراد بيع ملك له عليه أن يذهب أولا إلى دار القضاء فيسجل إعلاماً

---

(١) خواندمير : حبيب السير ، جلد سوم ، ص ١٦٣ .

بذلك، ثم يثبت ملكيته للملك بشهود عدول، ثم يتم البيع للمشترى، فإن كان لديه مستند سلمه إلى دار القضاء، ويقر عند القاضي بأن كل سند يبرز بعد هذه المعاملة باطل لايسمع، وبعد ذلك يسجل القاضي محضراً بشرح هذه المعاملة ». (١)

ولم تتوقف إصلاحات غازان عند حد القضاء، لكنه أراد أن تعم هذه الإصلاحات كافة شئون الحياة اليومية، راغباً في أن تكون الشريعة الإسلامية نبراساً له، ودليلاً يهتدى به عند تطبيق هذه الإصلاحات.

---

(١) « وحاصل الفحوى منشور سوم آن بود كه از جمله معظمات امور كه در ميان عالميان وقوع ميبايد يكى دعوى باطل است بعلهٔ قبالجات كهنه وسجلات قديمه وكيفيت اين قضيه براين وجه مى تواند بود كه بعضى از مردم مزور قبالهٔ اسباب ملكي خودرا مكرر ميسازند وگاهى بعض از آن قبالجات مكروه را بنام اولاد خود درست ميكنند وبعد از فروختن آن ملك يك قبالهء را بمشترى داده ديگر يرا نگاه ميد ارند وپس از آنكه آن ملك بچند كس انتقال ميباند بايع اول ياشخص از ورثه او آن قبالهٔ ديگر را ظاهر ساخته دعوى ميكند وبگواهان دروغ ملكيت خودرا به ثبوت ميرساند وچون برطبق مثلى كه مشهور است قاضى بدو كواه عاجز است بصحت آن قضيه حكم ميكند وما در اين ولاهمت عالى نهمت بردفع امثال اين دعاوى باطله گما شته حكم فرموديم كه هركس در صدد مبايعهٔ ملكى آيد نخست بدار القضا رفته ومرافعه نموده بشهود عدول ملكيت خودرا اثبات سازد آنگاه آن ملك را بمشترى بيع كرده اگر تمسكى داشته باشد تسليم نمايد ونزد قاضى اقرار كند كه بعد از اين هر قبالهء كه در اين باب ظاهر شود باطل ونا مسموع باشد پس از آن قاضى كيفيت اين مرافعه را مسجل ساخته مشروح بنويسد ».

خواند مير : حبيب السير، جلد سوم، ص ١٦٢-١٦٣.

فقد ساءه أن ينتشر بين المغول فى عهده معاملات وتصرفات لاتتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية ، ومن هنا كانت رغبته الملحة فى توجيه إصلاحاته إلى الأمور الدينية ، مثلما فعل بالقضاء قبل ذلك .

وسأحاول أن ألقى الضوء على هذه الإصلاحات :

إصلاحات غازان الدينية :

من مآثر غازان الحسنة ، أنه منع الناس من التلفظ بالكلمات التى كانوا يطلقونها دون وعى وتفكير ، وقد تؤدى بهم إلى الكفر ، ذلك أنه وصل إلى سمع غازان أن بعض الأفراد والجنود وغيرهم كانوا عندما ينتصرون على خصومهم، أو يبرمون أمراً من الأمور يطلقون ألسنتهم بالفخر والزهو والكبرياء ويقولون :« لقد تيسرت لنا هذه الأمور نتيجة شجاعتنا وبسالتنا وتدبيرنا الصائب .

أما إذا جاءت الأمور على خلاف مايشتهون ، فإنهم كانوا يصرحون بأننا حققنا لوازم السعى والاهتمام بقدر مافى طاقتنا ، ولكن أمر الله قد نفذ على هذا النحو ، وقدر علينا أن نغلب وننكب .

فثقل هذا على سمع الإيلخان وقال : إن هذه الكلمات غير مستحبة على الإطلاق ، وتؤدى إلى الكفر إذ ينبغى أن نعتبر كل حسنة تصل إلينا إنما هى من عناية الله تعالى وكل سيئة تقع إنما هى نتيجة أفعالنا السيئة ،

وهكذا حظر التفوه بمثل هذه الكلمات . (١)

وأمر بأن يكتب فى هذا الشأن مرسوم بليغ أرسله إلى كل البلاد نص فيه علي أن كل شخص يعتقد فى هذا الكلام السابق ويتفوه به يكون مذنباً، وفى الآخرة يكون مثواه النار ، وينبغى أن يثق الإنسان أن الحسنة من فضل الله وأن السيئة إنما هي نتيجة أفعاله المستهجنة . (٢)

تحريم التعامل بالربا :

كانت عادة الإقراض بالربا قد انتشرت انتشاراً واسعاً فى صفوف جميع طبقات المجتمع ، وتعرض المقترضون بالربا لأوخم العواقب لدرجة أن الكثيرين منهم آل أمرهم إلى الإفلاس ، ومن ثم فإن غازان ساءه أن يرى أن الشريعة غير مطبقة في مثل هذه الأمور من ناحية وأن انحراف المغول عن شرع الله سوف يؤدى بهم إلى عواقب وخيمة من ناحية أخرى .

فأصدر غازان مرسوماً فى شعبان سنة ٦٩٨ هـ يقضى بألا يتعامل أى شخص بالربا ، فاستنكر ذلك أكثر الناس الذين كانوا قد اعتادوه، وصار بعض الأكابر من ذوى النفوذ يقولون : «إنه بصدور هذا المرسوم سوف يغلق طريق المعاملات نهائياً ، فرد عليهم سلطان الإسلام : إننا قررنا إغلاق طريق

---

(١) خواندمير : حبيب السير ، جلد سوم ، ص١٦٦.
وكذلك : فؤاد عبدالمعطى الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى ، ص ٣٣٣.
(٢) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ترجمة د. فؤاد الصياد ، ص ٢٣٦ .

المعاملات المذمومة ، كذلك قال بعض الجهال من أصحاب الغرض والهوى إنه يلزم للخزانة أموال نقدية فى كل وقت ، وإذا لم يقرضوا حكام الولايات فسوف يعجزون عن أداء المال ، فقال سلطان الإسلام ووزراؤه : إننا لن ندع أى شخص يتعامل بالربا فى مصالح الديوان ، أو أن يأخذ أى شئ من أصل المال أو ربحه ، و قد نبه السلطان مراراً على الخواتين والأمراء والأنجال بألا يقرضوا علي الإطلاق تلك الجماعة . (١)

الحد من ظاهرة البغاء :

وكان مما يشغل بال غازان فى تلك الفترة أيضاً إنتشار ظاهرة البغاء وكثرة دورها التى انتشرت فى أنحاء المملكة .

ولما كانت هذه الظاهرة قد شاعت منذ عهد طويل فقد رأى غازان أن مثل هذه المنشآت لايمكن أن تغلق مرة واحدة فأراد أن يقضى على هذه الظاهرة بالتدريج . (٢)

فقد ساء غازان أن يرى العاهرات فى المدن الكبرى تجبرن على الإقامة بجوار المساجد ومساكن الناس كما كان أكثر التجار يبيعون الجوارى لأصحاب بيوت الدعارة بأثمان مرتفعة ثم يجبر هؤلاء الجوارى على ممارسة الرذيلة .

---

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، ص ٣٥٨ .

(٢) مصطفى بدر (دكتور) مغول ايران بين المسيحية والإسلام، بدون تاريخ ، ص٤٣ .

وقد رأى غازان أن وضع المواخير وإقامة العاهرات فيها أمر محظور ومذموم ومسلم به وأن القضاء على هذه الظاهرة من أوجب الواجبات فسعى على القضاء على هذه الظاهرة بالتدريج ، ولهذا السبب أصدر مرسوماً يقضي بأن كل جارية لاترغب في ممارسة الرذيلة في بيوت الدعارة لاتباع إلى جماعة المشرفين عليها ، وأما من يقمن في تلك البيوت فإن كل من تريد أن تخرج منها لاتمنع من ذلك وتُحدّد لها رتبتها ، ويعين لها ثمن تشترى به ، ثم تخرج من هذه البيوت وتتزوج من زوج تختاره . (١)

الحد من عادة شرب الخمر :

كذلك من المضايقات التى كان الناس يصادفونها ، وتتسبب في تعطيل مصالحهم وضياع وقتهم هى عادة احتساء الخمر ، ومايتبع ذلك من سكر وعربدة فى الطريق العام وفى اماكن تجمع الناس فى المتاجر والأسواق وما ينجم عن ذلك من عراك بين السكارى ومايحدثه هؤلاء من صخب وضجيج وكثيراً ما كان الأمر يستدعي القبض عليهم ومحاكمتهم ، ولتلافى كل هذا أصدر غازان قانوناً يحرم شرب الخمر فى الطريق العام ، ومن يخالف هذا كان يقبض عليه فوراً وتنزع عنه ثيابه ويطاف به في الطرقات ثم يربط إلى شجرة ، (٢) في أماكن احتشاد الجماهير حتي

---

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، ص٤٠٤ .

(٢) من الطريف أن العامة فى شيراز كانوا يطلقون علي هذه الشجرة اسم «عروس مستان» أى «عروس السكارى» ، الشرق الإسلامى ، ص ٣٣٣ ، حاشية ٢ .

يشاهده الناس ويتعرض لتأنيبهم وتوبيخهم فيكون هذا كفيلاً بعدم تكرار هذه التجربة القاسية . (١)

كذلك أمر السلطان بألا يدخل أى مخلوق منازل الناس للبحث عن السكارى حتى لايسلك العسس سلوكاً يتجاوز حد الاعتدال وحتى لاتحل المتاعب والمشقات بالخلق. (٢)

ومما يذكر أيضاً بالخير والثناء على غازان هو أنه لم يقتصر على تقديم مساعداته للإنسان ، بل امتدت رعايته إلى الحيوان فقد أمر بأن تنثر الحبوب فوق أسطح المنازل فى أشهر الشتاء الستة الباردة فى إيران عندما تشتد البرودة وينزل الثلج فتلتقط الطيور هذه الحبوب آمنة مطمئنة ولايحاول أحد قط اصطيادها، وكل من يقصدها بسوء تحل عليه لعنة الحق تعالى وسخطه، وعلى المتولى وسكان تلك البقاع أن يمنعوا المعتدين ويردعوهم وإلا يكونوا آثمين. (٣)

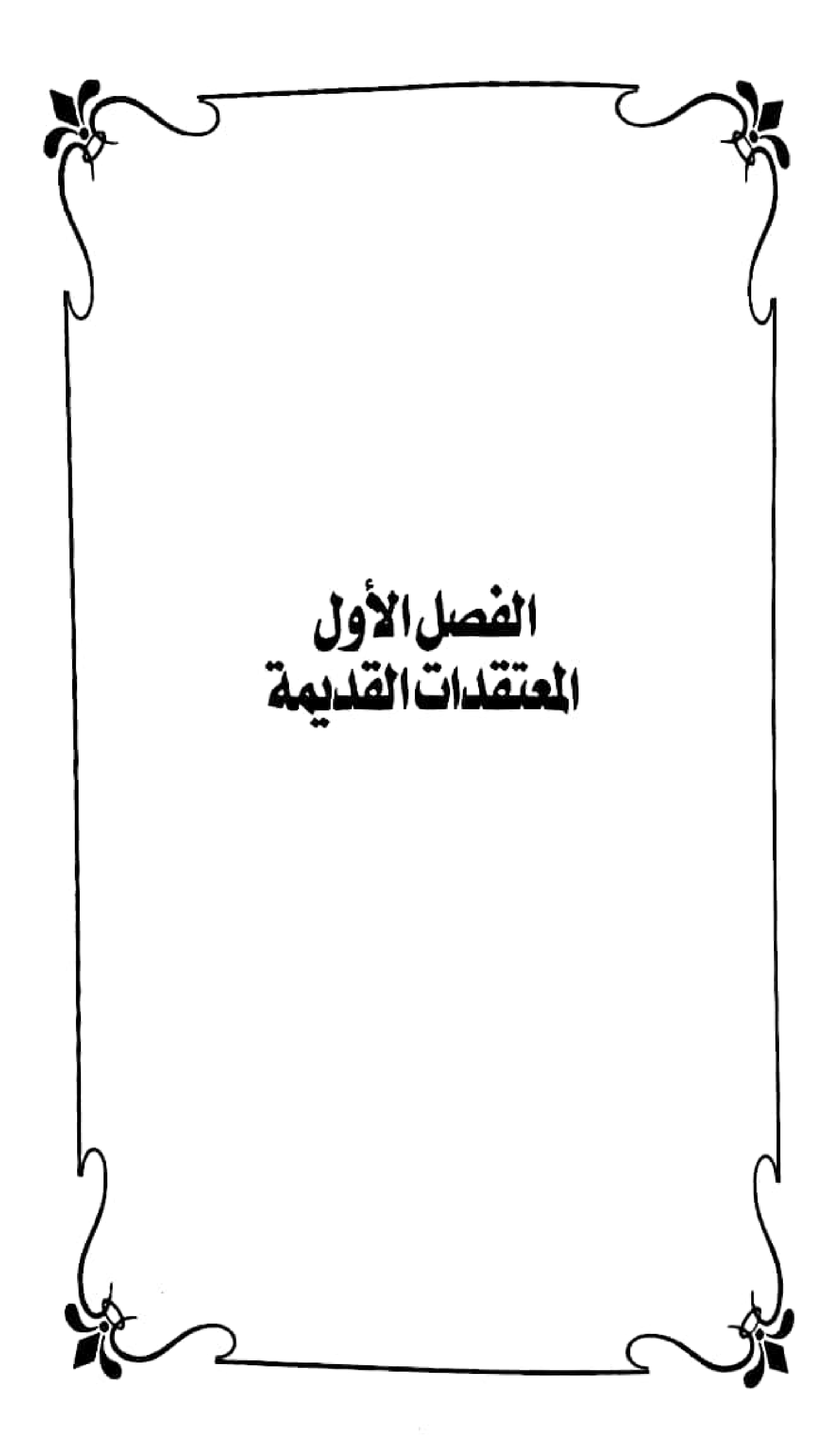
---

(١) خواند مير : حبيب السير ، جلد سوم ، ص١٦٦ .
كذلك : د. فؤاد الصياد : الشرق الإسلامى ، ص ٣٣٣ .
(٢) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، ص٣٦٥ .
(٣) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، ص٥٥ .



الباب الرابع

تحول المغول إلى الإسلام



الفصل الأول
المعتقدات القديمة

الفصل الأول
المعتقدات القديمة

يتحدث هذا الفصل عن معتقدات المغول القديمة ، ونظرتهم إلى الألوهية ، وكيف تأثر المغول بالخرافات الشائعة في مجتمعهم فى ذلك الوقت .

وسنرى إلى مدى أثرت تلك المعتقدات فى « الياسا الجنكيزية » فيما بعد ، وكيف أثرت بعض هذه المعتقدات فى حياة الإيلخانين ، رغم اعتناقهم الإسلام .

فقد كان المغول يؤمنون بإله واحد ، خلق الأشياء جمعيا ، وهو مصدر كل خير وكل شر في هذا الكون ، « وكانوا يعتقدون أن هذا الإله مستقر في السماء ، ويطلقون عليه اسم « تنگرى » ، فكانوا يحرقون له البخور فى المباخر ، ويرفعون إليه الصلوات ابتغاء الاستماع بصحة العقل والبدن » . (١)

ومن ثم فليس عجيبا أن تنص « الياسا الجنكيزية » فى أول مبادئها على ضرورة الاعتقاد بإله واحد ، « خلق السموات والأرض ، وهو المغنى

---

(١) وليم مارسدن : رحلات ماركو بولو ، الجزء الأول ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، ص ١٤١ .

والمفقر ، والمُحيي والمميت ، المسيطر على الأمور بقدرته » . (١)

ورغم اعتقاد المغول بوجود هذا الإله الواحد في السماء ، إلا أنهم كانوا يدركون بُعد السماء عنهم إذا ألمت بهم الشدائد ، ومن ثم فقد « كانوا بحاجة ماسة إلى طلب العون والمساعدة من أشياء ملموسة ، قريبة من أيديهم ، واعتبروا هذه الأشياء مظاهر لهذا الإله ، فأقاموا في حياتهم كثيراً من الأوثان ، ليشعروا - وهم بجوارها - بالأمن والسكينة . (٢)

ولما كان لهذا الإله - عندهم - تجليات كثيرة في الأرض وفي السماء ، فقد عبد المغول تجليات هذا الإله المتواجدة في السماء وتتمثل في الشمس والقمر والنجوم ، والكسوف والخسوف ، والرعد والبرق ، كما عبدوا تجلياته المتواجدة في الأرض ، وتتمثل في الماء والنار وغيرهما من المظاهر .

ومن هنا يمكننا القول أن المغول كانوا وثنيين ، بعيدين كل البعد عن التوحيد المطلق لله .

ولم يعتنق المغول ديناً بعينه ، بل « كانت طوائفهم تتنازع ديانات مختلفة ، من شامانية وبوذية ومسيحية وإسلام » . (٣)

---

(١) هارولد لامب : چنگيزخان (امبراطور الناس كلهم) ، ترجمة اللواء بهاء الدين نوري، ص ٥٣ .

(٢) شيرين بياني : دين ودولت در ايران عهد مغول ، جلد اول، ص ٤ .

(٣) فؤاد الصياد (دكتور) : المغول في التاريخ ، ص٢٣٣ .

وكانت « الشامانية » نوعاً من الديانة الوثنية ، حيث تتمثل في عبادة كل شئ يسمو على مدارك المغول ، ومن ثم فقد كانت لهم آلهة فى النهر والجبل والشجرة الكبيرة (١) ، فقد أضفوا على جوانب الطبيعة هالة من القداسة رفعتها إلى درجة الألوهية . (٢)

وإذا كان المغول يتقربون إلى هذه الآلهة ، فإنما كانوا يفعلون ذلك دفعاً لشرها وأذاها ، وإبعاد غضبها وجلب رضاها ، راجين فيها الصحة فى أجسامهم وعقولهم ، ملتمسين إليها حماية أبنائهم وحيواناتهم .

كما كانوا يؤمنون بالقوى السحرية فلا غرو أن كان لكهنة هذا الدين خبرة بالسحر ، ولهذا كانوا يعنون عناية كبيرة بالتنجيم . (٣)

ولم يتوقف الأمر - فى هذه الديانة - عند هذا الحد - بل إن المغول عبدوا أرواح أجدادهم ، لاعتقادهم أن لهذه الأرواح تأثيرا على حياتهم ، كما عبدوا الأرواح الشريرة دفعاً لأذاها .

وقد لعب الشامان - فى هذه الديانة - دور الساحر الذى يطرد الأرواح الشريرة ، والطبيب المعالج ، والمتنبئ بالغيب ، والمنجم ، فقد كان

---

(١) مصطفى طه بدر (دكتور) : محنة الإسلام الكبرى (أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول) ، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٨٢ .

(٢) رنه گروسه : امپراطورى صحرا نوردان ، ترجمهء عبد الحسين ميكده، چاپ سوم، تهران، ١٣٦٨هـ.ش، ص ٦١ .

(٣) فؤاد الصياد (دكتور) : المغول فى التاريخ ، ص٢٣٣ .

المغول يعتقدون أن الشامان « قادر على الاتصال بالموتى والشياطين ، وأرواح الطبيعة دون أن يصير أداة في أيديهم » . (١)

أما البوذية فتُنسب إلى (جوتاما بوذا) الذى ولد في عام ٥٦٠ ق.م، وتوفى في عام ٤٨٠ ق.م. ولم تكن (كلمة) بوذا اسم علَم على شخص، وإنما هو لقب شرفى عظيم معناه : الحكيم ، أو المستنير ، أو ذو البصيرة النفاذة. ولا يطلق في اصطلاح المتدينين من الهنود إلا على كل من هؤلاء الأفراد القليلين من بنى الإنسان الذين جاهدوا جهاداً روحياً عنيفاً لا حدّ له، في غير ملل ولا ضجر ، في سبيل الوصول إلى الحق الثابت ، والحقيقة الربانية ، هؤلاء الذين غالبوا أنفسهم فغلبوها وسيطروا عليها ، فجردوها من جميع الشهوات المادية والرغبات الحيوانية ، فاستطاعت بذلك أن تصفو وتسمو وتصل إلى أعلى درجات الصفاء والسمو الروحانى . ومن هنا فقد حثت البوذية على احترام كل مخلوق وعدم إيذائه. (٢)

كما أتخذ المغول من اللباد أصناماً إلى جوار ذلك الإله الواحد ، الذى كانوا يعتبرونه بمثابة العقل . (٣)

---

(١) جفرى بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة إمام عبد الفتاح، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٨ .

(٢) حامد عبد القادر (دكتور) : بوذا الأكبر (حياته وفلسفته)، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٣٤ . وكذلك :

أحمد على عجيبة (دكتور) : دراسات في الأديان الوثنية القديمة ، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٦٢ . وأيضاً :

رءوف شلبى (دكتور) : الأديان القديمة في الشرق ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٢٣٠ .

(٣) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهء محمود مير آفتاب، تهران، ١٣٧٢هـ.ش، ص ١٧٦ .

وكان لكل فرد من أفراد المغول لوح خاص ، يجعل صفحته متجهة إلي الإله الواحد ، وقد كتب عليها كلمات مثل : السماء ، العرش الأعلى ، الله القادر المتعال ، وما شابه ذلك . وكان يعلق ذلك اللوح في سقف خيمته ، ثم يشغل البخور أمام ذلك اللوح ، ويرفع أكف الدعاء والتضرع إلي السماء ، ويطلب الرحمة والمغفرة .

كما كان المغولي يضع أمام مسكنه تمثالاً يرمز لإله الأرض ، ويدعى «ناآگى» ويخصه بالعبادة بعد الإله العظيم .

وكان عند المغول صنم آخر يدعى «ناتيگى» ، وهو إله المحاصيل والوفرة وكان على كل فرد أن يحتفظ في بيته بتمثال لهذا الصنم ، ويغطيه باللباد أو بقطعة من القماش . كما كانوا يضمون إلى هذا الإله زوجة وأطفالاً ، فيضعون زوجة هذا الصنم إلى جانبه الأيسر ، أما أبناؤه فجعلوهم واقفين أمامه في حالة من التوقير والتعظيم . (١)

وكانوا يعتقدون أن هذا الصنم يحمي أطفالهم ، ويحرس ماشيتهم وحبوبهم ولهذا فقد خصوه باحترام زائد ، حتى أنهم «كانوا يقتطعون قطعة سمينه من اللحم ، في كل وجبة ، ويمسحون بدهنها فم الإله ، وفم زوجته وأطفاله ، ثم يقذفون خارج الباب بقليل من الشراب الذى هُيئ فيه اللحم كتقدمه للأرواح الأخرى» . (٢)

---

(١) شيرين بياني : دين ودولت در ايران عهد مغول، جلد اول، تهران، ١٣٧٠هـ.ش، ص٥ .

(٢) وليم مارسدن : رحلات ماركو بولو ، ترجمة عبد العزيز جاويد، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٤١ .

ثم يشرعون فى تناول طعامهم وشرابهم ، بعد اطمئنانهم على حصول الآلهة على نصيبها من الطعام . (١)

ثم يخرج بعد ذلك خادم أو حارس من الخيمة ، وبيدة كأس مليئه بالشراب ، فيسكب قدراً منها ناحية الجنوب ثلاث مرات ، وهو جالس على ركبته ، ثم يؤدى الصلاة لنارٍ كانت تُترك مشتعلة أمام الخيمة على الدوام . ثم يسكب من نفس الشراب ناحية المشرق والمغرب والشمال ، مما يدل على احترام المغول لكل جهات الدنيا . (٢)

أما الأصنام الموجودة داخل الخيمة فكانت ثلاثة مصنوعة من اللباد ، تشبه العرائس الصغيرة ، فكان أحد هذه الأصنام يعلق فوق رأس كبير الأسرة ويسمونه « أخا سيد البيت » ، وكان الصنم الثاني يعلق فوق سيدة البيت ، ويسمونه « أخا السيدة » ، وأما الثالث - وهو صنم صغير - فكان يعلق بين الصنمين السابقين ، في موضع يعلوهما قليلاً بغية الحفاظ على جميع سكان الخيمة . (٣)

وكانوا يعدون أصناما أخرى من اللباد فى صورة الإنسان ، ويضعونها فى زوايا الباب ، كما كانوا يضعون تماثيل من اللباد فى شكل الضرع ، ويضعونها تحت أقدام تلك الأصنام ، وكانوا يعتقدون أن هذه الأصنام تقوم بحماية الماشية والألبان.

---

(١) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ١٧٦ .

(٢) شيرين بيانى : دين ودولت در ايران عهد مغول ، جلد اول ، ص ٥-٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦ .

وكانوا يضعون فى فراش الطفل صنماً ، أملاً فى شفائه . أما القواد فكانوا يضعون جلد ذكر من الماعز وسط خيمتهم بصورة دائمة ، رمزاً للرجولة والفحولة .

وكان المغول يقدمون أول حلبة من قطعانهم إلي تلك الأصنام . كما أقام المغول صنما من القماش الملون لچنگيزخان ، ويبدو أنهم أقاموا له هذا الصنم بعد موته ، ووضعوا هذا الصنم أمام خيامهم ، وكانوا يقدمون إليه الصدقات والنذور، وكان السحرة ورجال الدين يسهرون على حراسته ومراقبته ، وكانوا يعاقبون من يتطاول على هذا الصنم الكبير ، أو يسرق الأموال التى تقدم إليه بالموت . (١)

كما كان المغول يركعون ثلاث مرات صوب الجنوب لعبادة الشمس(٢) ، وكانوا يقومون بفك أحزمتهم أثناط تضرعهم « للسماء السرمدية الزرقاء » ويضعونها على أعناقهم ، كما كانوا يرفعون قلانسهم عن رؤسهم ، ويؤدون الصلاة للشمس تسع مرات ، وهم يدقون صدورهم بقبضة أيديهم ، ويسكبون الشراب على الأرض وهم يتلون أدعية خاصة .(٣)

يصور صاحب « تاريخ سرى مغولان » چنگيزخان « وهو يؤدى

---

(١) شيرين بيانى : دين ودولت در ايران عهد مغول ، ص ٦-٧ .

(٢) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ١٧٥ .

(٣) شيرين بياني : دين ودولت ، جلد اول ، ص ٨-١٠ .

هذه الشعائر فيقول ما ترجمته : « قال هذا وتوجه صوب الشمس ، ووضع حزامه على رقبته ، وأمسك قلنسوته بيده ، وسجد للشمس تسع مرات ، وهو يدق صدره ، ثم دعا ، وسكب الشراب على الأرض » . (١)

ولم يكن المغول على دراية بالحياة الأبدية ، ولا عن الجنة والنار ، ولكنهم كانوا يعتقدون - بصفة عامة - أنهم سوف يعيشون حياة أخرى بعد الموت ، وسيكون فيها كل ما هو موجود في دنياهم ، ومن ثم فإنهم كانوا يؤمنون بخلود الروح ، كما كانوا يعتقدون أن الروح مستقرة في الدم، أو أنها عصارة الدم وجوهره ، ومن ثم فإنهم كانوا يحجمون عن سفك الدماء وكانوا يقتلون أقارب الملوك الذين يرتكبون جرما - دون إراقة دمهم ، وكذلك الحال بالنسبة للعدو الذى يشغل منصبا رفيعا ، وذلك لكى لا تفارق الروح جسده ، فكانوا غالبا ما يضعونه في اللباد ، ويقومون بسحبه إلى أن يموت ، أو أن يتم خنقه في الماء ، أو يقتل بسد جميع منافذه، وقد بدا هذا الأمر جلياً في الصورة التى قتل بها الخليفة العباسى بأمر هولاكو . (٢)

---

(١) « ... اين را گفت وروى به طرف خورشيد كرد ، كمر بند خود را بگردن آويخت ، كلاهش را بدست گرفت ، در حاليكه به سينهء خود مى كوبيد نه بار رو به خورشيد سجده كرد ، دعا نمود ، وشراب به زمين ريخت ».
بل پليو : تاريخ سرى مغولان ، ترجمهء شيرين بيانى ، تهران ، ١٣٥٠هـ.ش ، ص٣٨ .

(٢) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد اول ، ص ٨-١٠ .

حيث يذكر «الجوزجاني» الطريقة التي قتل بها الخليفة «المستعصم بالله» سنة ٦٥٦هـ، دون أن يراق دمه - لاخوفاً من تحذير علماء المسلمين - وإنما جرياً على عادة المغول، بأن وضعوه في «غرارة» ثم قاموا برفسه إلى أن مات.(١)

وقد لعبت الخرافة دوراً هاماً في معتقدات المغول القديمة، حيث كان المغول يخافون من السحر خوفاً شديداً ولكنهم في الوقت نفسه رفعوا من شأن سحرتهم، الذين كانوا يتصدون لإبطال سحر أعدائهم، فكان سحرتهم يعالجون مرضاهم عن طريق الجن، وقراءة الأوراد، وإحراق البخور، أملاً في طرد الشياطين والأرواح الشريرة.

كما كان المغول يستشيرون سحرة القبيلة في جميع الأمور، فكان السحرة يحددون لهم أوقات السعد وأوقات النحس، ومن ثم فإن أحداً من المغول لم يكن يقدم على تنفيذ عمل من الأعمال إلا بعد مشورتهم.

وكان السحرة على دراية تامة بالتنجيم، لأن المغول كانوا يعتقدون أن جميع أفعال البشر خاضعة لتأثير النجوم، ومن ثم فقد حظي المنجمون عندهم بمنزلة عالية.(٢)

---

(١) جوزجاني (أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين، معروف به «منهاج سراج») : طبقات ناصرى، جلد دوم، چاپ اول، تهران، ١٣٦٣هـ.ش، ص١٩٨.

(١) سعد الغامدي (دكتور) : المغول (بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية)، الرياض، ١٩٨٩م، ص ١٣٦.

كما كان لدى هؤلاء السحرة طريقة أخرى تعينهم على التنبؤ بالغيب، وذلك بأن «يضعوا عظم كتف خروف مدة فى النار ، قبل اتخاذ أى قرار ، فإذا ظل العظم سليماً ولم يحدث فيه كسر . مضوا فى هذا الأمر ، أما إذا انكسرت العظام أو احترقت ، فإنهم كانوا يتوقفون عن المضى فى هذا العمل » . (١)

وكان بوسع السحرة إنزال المطر والثلج ، وتعرف هذه الطريقة عندهم باسم « ياي » و « جداميشى » . فكان السحرة ينزلون المطر - فى غير موعده - على العدو أثناء القتال ، مما يدفعه إلى التراجع والفرار . (٢)

« وقد عرفت هذه الطريقة فيما بعد باسم « حجر المطر » « جده - أو : يده » فكانوا ينزلون المطر بحك هذا الحجر ، أو إلقائه فى الماء ، وقراءة أوراد خاصة عليه ، وكان يطلق على من يقوم بهذا العمل اسم « يايجى » أو « يده جي » . (٣)

وقد أثرت معظم المعتقدات الخرافية عند المغول في حياتهم اليومية ، وكان من أهم هذه المعتقدات :

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور) : المغول فى التاريخ ، ص ٢٥٠ .

(٢) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد اول ، ص ١٨-٢٠ .

(٣) عباس إقبال : تاريخ مغول واوايل ايام تيمورى ، جلد اول ، تهران ، ١٣٧٦هـ.ش ، ص ٨٧ .

١- تقديسهم النار ،

لأنها - إضافة إلى كونها مصدراً للضوء والحرارة - تتصف بخاصية التطهير كذلك - فكان يتحتم على كل قادم للقاء الإمبراطور أن يمر من بين نارين ، ليتم تطهيره ، وتنقى هداياه من كل أثر للسم أو السحر أو الشعوذة.

كما كان المغول يطهرون كافة متعلقات المريض بالنار ، ولا يسمح لأحد بلمسها قبل تطهيرها . ولهذا السبب كانت النيران تظل مشتعلة أمام خيامهم على الدوام .

٢- تقديسهم للماء ،

لاعتقاد المغول أن الأرواح تسكن شواطئ الأنهار والمياه العذبة ، ومن ثم وجب حفظ الماء من كل ما يلوثه ، من غسيل للثياب ، أو استحمام فيه . فقد كان المغول يعتقدون أن غسل اليدين ، أو غسل الملابس في الماء ، أو اغتراف الماء بأوان ذهبية أو فضية ، يغضب الله ، فيرسل عليهم الرعد والبرق . ولهذا فإنهم كانوا يلزمون خيامهم في حالة من الفزع عند حدوث الصواعق ، ولا يبرحون خيامهم إلا بعد انتهائها.(١)

كما كانوا ينظرون إلى من ضربته الصاعقة - حيواناً كان أو إنساناً -

---

(١) رنه گرسه : امپراطوری صحرا نوردان، ص٣٦١ .

نظرة شؤم ونحس ، ولابد من أن يقوم السحرة بتطهيره ، بمروره بين نارين ، وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد ، بل إنهم كانوا يُبعدون أفراد قبيلة من ضربته الصاعقة عن مضارب خيامهم ثلاث سنوات . كما كان المغول لا يتناولون لحم حيوان ضربته الصاعقة . (١)

٣- تعاملهم مع المواليد ،

فقد كان المغول يربطون سيفاً إلى جانب مولودهم الذكر ، رمزاً للقوة والرجولة ، فإذا بلغ الخامسة من عمره - بقطع النظر عن كونه ذكراً أو أنثى، أركبوه حصانا في ساعة سعده ، تفاؤلاً بأنه سيصبح فارسا في مقتبل الأيام.

وكان المغول يهتمون بتسمية أبنائهم ، فكانوا يختارون اسم المولود مطابقاً لاسم أول شئ يدخل البيت بعد مولده ، أو أول حادثة تقع بعد ولادته - فقد سُمي «چنگيزخان» عند ولادته باسم « تيموچين » ، لأن والد « چنگيز » سمى ابنه باسم عدوه المهزوم « تيموچين » . (٢)

أما اسم « غازان » فقد أطلق عليه لأن أول شئ دخل البيت بعد ولادته كان « غلاية » ، وهي بالمغولية « قزغان » . (٣)

---

(١) شيرين بياني : دين ودولت ، جلد اول ، ص ١٥ .

(٢) بل پليو : تاريخ سرى مغولان ، ترجمهٔ شيرين بياني، ص ١٦ .

(٣) شيرين بياني : دين ودولت ، جلد اول ، ص ١٦ .

وكانت مراسم تسمية المولود تقام في السنة الثانية من مولده ، وكان تغيير الاسم أمراً عادياً ، فلو مات أحد العظماء قبل أن يطعن في السن ، فإن المغول لا يكتفون بعدم تسمية مواليدهم باسمه فحسب ، بل كانوا يغيرون أسماء من كانوا قد تسموا باسمه كذلك .

وقد غير بعض أمراء الملوك - من الإيلخانيين - أسماءهم بعد أن اعتنقوا المسيحية ، حيث سُمي « أولجايتو » بعد تعميده باسم « نيكولا » ، فلما اعتلى عرش السلطنة سمي باسم « اولجايتو » أي « السعادة » ، وعندما اعتنق الإسلام اختار اسم « محمد » واشتهر باسم « محمد خدا بنده » . (١)

٤- تعلقهم ببعض مظاهر الطبيعة :

أ- الشجرة :

كان للشجرة جانب هام من جوانب القدسية عند المغول ، فقد كان « چنگيزخان » يقوم بالتآخي « آندا » وعقد الأحلاف تحت ظلال شجرة كثيفة الأغصان ، كان يتفاءل بها . (٢)

---

(١) يذكر صاحب ذيل جامع التواريخ « أن الشيعة أطلقوا على "أولجايتو" لقب « خدابنده » لتعاطفه مع مذهب الشيعة ، فأثار هذا الأمر حفيظة أهل السنة ، فأطلقوا عليه لقب « خربنده » أي « غلام الحمار » ، ولكن الدكتور الصياد ردّ على هذا الرأي بقوله : « إن أولجايتو قد أطلق عليه « خربنده » قبل أن يتولى السلطة ، بل ومنذ ولادته » .

شهاب الدين عبد الله الخوافي المدعو بـ « حافظ ابرو » : ذيل جامع التواريخ رشيدى ، تهران ، ١٣١٧ هـ.ش ، حاشية ص ٤-٥ . وكذلك :

فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي ، ص ٣٤٧ .

(٢) بل پليو : تاريخ سرى مغولان : ترجمه ؛ شيرين بيانى ، ص ٤٨ .

وعندما واجه «غازان» تمرد أكبر قواده «الأمير نوروز» (١) ، وهدد

---

(١) هو الأمير نوروز بن أرغون ، الذى كان يستغل شتى المناسبات ويرغب غازان فى الإسلام ويحببه إليه ، ويؤكد له أن اعتناقه الإسلام سيجعل قلوب المسلمين تلتف حوله ، وتتضاعف قوته وينتصر على عدوه «بايدو» بسهولة.

ورغم هذا فقد قام الوشاة بالوقيعة بين غازان ونوروز ، متهمين نوروز بأنه على اتصال سرى بسلطان مصر ، وأنه أطمعه فى ملك إيران.

أما صدر الدين الزنجانى الذى كان قد ولى الوزارة فى ذلك الوقت ، والذى كان يحقد على نوروز ، لأنه عزله من منصبه ، وفضل عليه خصمه جمال الدين الدستجردانى فقد وجد فى هذا الاتهام فرصة سانحة كى يشفى غليله من نوروز. وعلى هذا اتفق صدر الدين مع أخيه قطب الدين وقاما بتزوير عدة رسائل على لسان نوروز إلى أمراء مصر والشام ، تؤيد الاتهام الموجه إليه ، فصدر قرار غازان باستئصال شأفة جميع أفراد أسرة نوروز وأتباعه. وكلف غازان قائده «قتلغ شاه» بمحاربة نوروز والقضاء عليه . ورغم أن نوروز كان قائداً لجيش خراسان فقد انفض جنوده من حوله ، وهزم بالقرب من نيسابور ، فالتجأ إلى هراة لائذاً بحماية ملكها فخر الدين كرت .. غير أن سياسة كرت كانت تهدف إلى المحافظة على نفسها وسط الحروب المغولية ، فلا غرو أن كانت تلتزم جانب الحياد الدقيق مع الميل إلى الطرف الأقوى إذا لزم الأمر.

وعلى هذا لم يكن لتلك الأسرة أن تقدم على الاصطدام بسلاطين المغول من أجل أمير معزول مهما كانت الأسباب . وهذا ماحدث بالفعل ، إذ لم يكد جنود قتلغ شاه يحاصرون مدينة هراة حتى أسرع فخر الدين كرت إلى اعتقال نوروز ، وإرساله بكل بساطة مكبلاً بالقيود إلى القائد المغولى قتلغشاه ، فأمر هذا بقده نصفين بعد أن اجتزَّ رأسه ، الذى أرسل إلى غازان . وكان هذا فى ٢٢ من ذى القعدة سنة ٦٩٦هـ.

حمد الله مستوفى : تاريخ گزيده ، تهران، ١٣٤٦هـ.ش، ص ٦٠٤ . وكذلك : فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، ص٢٨٢-٢٨٣ .

حكومته بخطر أكيد ، خرج من خيمته عند حدود كرمانشاه ، وراح في تفكير عميق ، وفي الطريق وصل إلى إحدى الأشجار ، فنزل عندها ، وناجي الله الأزلي ، وطلب منه النصر ، ونذر قائلا : إنني إذا انتصرت على العدو ، فسوف أجعل هذه الشجرة مزاراً ، وأزينها بالأقمشة الملونة الجميلة، فنصره الحق تعالى على عدوه ، ولما عاد بعد الفتح ، وتقدم إلى تلك الشجرة ، وفي بنذره وزينها ، وشكر الخالق عز وعلا ، ثم أخذ في الرقص مع جنوده تحت تلك الشجرة ...» . (١)

وبعد أن مضى سبع سنوات على هذا النصر ، «ذهب إلى نفس الموضوع وبرفقته زوجاته وأمراؤه ، وعندما تذكر تلك الليلة المشئومة - التي قضاها هناك - بكى وصلى ركعتين شكراً لله الذى استجاب دعاءه ، وخر ساجداً على الأرض» . (٢)

ب- الجبل :

وكان للجبل بدوره جانب هام من القداسة عند «چنگيزخان» ، وبصفة خاصة جبل «بورقان قلدون» ، فقد كان «چنگيزخان» يشعر بالطمأنينة كلما لجأ إليه ، ومن ثم فإنه كان يصعد ذلك الجبل ، ويتقرب

---

(١) رشيد الدين فضل الله المذاني : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ترجمة الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد ، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٧٨ .

(2) Howorth : History of the Mongols, P.III, P. 463.

إلى الله «تانگرى» قبل أن يخوض القتال (١) ، وقد اختار «جنگيزخان» سفح هذا الجبل ليكون قبرا له .

٥- ممنوعات عند المغول :

وقد شاعت بين المغول أمور كثيرة على سبيل الممنوعات ، من بينها على سبيل المثال : ألا يُسمّى مولود باسم شخص متوفى حتى الجيل الثالث بعد موته . (٢) كما كان من بين الممنوعات عندهم غسل الثياب أو الجسد في الماء زمن الربيع والصيف ، وصيد صغار الطيور .

٦- نظرتهم إلى المرض :

كان المغول يعتبرون المرض أول خطوة من خطوات الموت ، فكانوا يغرسون رمحاً أمام خيمة المريض ، ويعلقون عليه قطعة من اللباد الأسود ، ولا يسمحون لأحد أن يقترب من تلك الخيمة ، ولا من ذلك المريض .

كما كانوا لا يسمحون لأحد بدخول الخيمة عند احتضار المريض ، فإذا لازمه أحد الأشخاص ساعة احتضاره ، منعوه من الدخول إلى الامبراطور تسعة أشهر بأكملها .(٣)

---

(١) بل پليو : تاريخ سري مغولان ، ص ٣٧ .

(٢) شيرين بياني : دين ودولت در ايران عهد مغول ، جلد اول، ص ٢٨ .

(٣) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

وكان المغول يعينون حراساً حول معسكر المريض من الأسرة الحاكمة، ليمنعوا من يرغب في العبور إلى مرقده ، خشية أن تصاحب هذا العابر روح شريرة ، فتقتحم معسكر الحاكم .

٧- مهمة رجال الدين :

وكانت مهمة رجال الدين عند المغول تبدأ - بالنسبة للمريض - بالبحث عن علاج له ، وتنتهي بمراسم دفنه ، فكان رجال الدين يحملون من مات في عربة إلى المقابر ، ثم يحطمون تلك العربة بعد ذلك ، ويمزقون خيمة الميت ، أو يبعدونها خارج نطاق المعسكر ، ثم يذبحون جواداً ، أو عدة جياد ، وفقاً لدرجة ثراء ذلك الميت ، ويأكلون لحم الذبيحة ، ويحرقون عظامها أملاً في راحة روح من مات .

وكان على جميع من حضروا الوفاة أن يتطهروا بالنار ، حيث كان يتم إشعال نارين ، ويثبت بجوارهما رمحان ، ثم يربطون حبلاً أعلى كل رُمح ، ويتم فتح طريق بين هاتين النارين ، ثم يقومون بتمرير الميت من بين النارين ، وبعد ذلك تقوم امرأتان بصب الماء على الأرض ، والدعاء للميت . وكانت هذه المراسم ذاتها تقام لأقارب من ضربتهم الصاعقة .(١)

---

(١) شيرين بيانى : دين ودولت در ايران عهد مغول ، جلد اول، ص ٢٩-٣٠ .

ويتم إعفاء من تم تطهيرهم بالنار من الضرائب مدة عام بأكمله.(١)

وكان المغول يذبحون جواداً ، أو عدة جياد ويضعونها على رأس قبر الميت لتأكل منها الطيور الجائعة ، حتى تشبع ، ويصل ثوابها إلى روح من مات .

٨- نظرتهم إلى الزواج :

كان المغول يؤمنون أن صلات القرابة الموجودة في الدنيا ، ستظل على حالها في الآخرة كذلك ، ومن ثم فإنهم اعتقدوا أن الزوجة سوف تئول في الآخرة إلى أول زوج تزوجها . ومن هنا أوجبوا على الابن أن يتزوج جميع زوجات أبيه بعد موته ، ما عدا أمه . (٢)

وهذا يتنافى مع رأى الدكتور «مصطفى طه بدر» الذى يرى فيه «أن الزواج عند المغول «عملية تجارية » ، وأن قوانينهم لم تحترم شرعية الزواج ، ولم تنظم أحكامه تنظيما صحيحاً ، بل على العكس كانت تعتبر الزوجة من سقط المتاع تورث .... » . (٣)

---

(١) شيرين بيانى : دين ودولت در ايران عهد مغول ، جلد اول ، ص ٢٩-٣٠ .

(٢) سعد الغامدى (دكتور) : المغول (بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية) ، ص ٩٩ .

(٣) مصطفى طه بدر : محنة الإسلام الكبرى (أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول) ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٨٠-٨١ .

وكان عند المغول نوع من الزواج الغريب ، حيث كانوا يزوجون أحد الأبناء الموتى من قبيلة ، إلى ابنة متوفاة من قبيلة أخرى ، فيقومون برسم صور للآدميين والحيوانات والثياب على صفحات بعض الأوراق ، ويدونون في هذه الأوراق ما يفيد زواجهما ، ثم يحرقون هذه الأوراق ، وهم يعتقدون أن الدخان الذى ينبعث من شعلتها سوف يصعد إلى السماء ، ويحمل إليها ما يؤكد هذا الزواج في العالم الآخر وتزداد بهذا الصَنيع وشائج القربى بين القبيلتين بعد أداء هذه المراسم .

٩- نظرتهم إلى المقابر:

كانت مقابر سلاطين المغول تشيد في أماكن غير معروفة ، على النقيض من مقابر العامة التي كانت تشيد في أماكن يعرفها الجميع .

فكان خاصة المغول يحفرون مقابرهم تحت الأرض في صورة سرداب ، ليتسع المكان للميت وأساسه . وكان المغول يُجلسون الميت في حالة القرفصاء ، ويضعون معه اللحم والقميز ، وجميع مستلزمات الحياة ، ثم يغلقون باب هذا السرداب عليه .

أما أصحاب المناصب والأغنياء فكانوا يُدفنون في أماكن خارج المدينة، حيث يُعد للميت سرداب يليق بمقامه ، ثم يجلسونه على كرسي وسط هذا السرداب ، ويضعون مائدة أمامه وقد استقر عليها إناء مليء باللحم ، وكأس مليئة بالحليب . ولا يفوتهم أن يضعوا مع الميت فرساً

وولدها المهر ثم يُدخلون معه غلمانه كذلك . (١)

أما كبار القاآنات من المغول فكانوا يختارون موضع قبورهم بأنفسهم. ومن ذلك على سبيل المثال اختيار «جنگيزخان» قبره تحت شجرة كثيفة الأغصان في أحضان جبل «بورقان قلدون». (٢)

ويقول رشيد الدين: «ذات يوم ، كان جنگيزخان يقوم بالصيد ، فشاهد شجرة قد نمت بمفردها في أحد الأماكن ، فسرته رؤية هذه الشجرة كثيرا ، فنزل تحتها بعض الوقت ، وشعر بالسعادة ، وأخبر (من معه) أن

---

(١) سعد الغامدى (دكتور) : المغول (بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية)، ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢) "بورقان قلدون" : جبل يقع إلى الشمال الشرقي من منغوليا ، توارى فيه جنگيزخان عندما خطف المركيت زوجته «بُرته»، ومن ثم نراه يرفع يديه إلى السماء ويقول : «لقد استطاع جبل بورقان أن يحمى حياتي البائسة الهزيلة من الهلاك المحتوم ، لذلك فإنه منذ هذه اللحظة فما بعد فإننى سوف أضحى وأقدم القرابين والتقدمات له على الدوام ، وسوف أوصى أبنائى وأحفادى بأن يجعلوا من واجبهم تقديم الأضاحى والقربات إليه من بعدى ».
فلما مات جنگيزخان أودعت جثته فى داخل جبل بورقان قلدون فى نفس المكان الذى كان قد عينه بنفسه عندما كان حياً.
ب. يا. ڤلاديمير ستوف : حياة جنگيزخان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ترجمه من الإنجليزية الدكتور سعد الغامدى ، ص ٥٢، ٢٠٧ .
وكذلك : الدكتور سعد الغامدى : المغول (بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية)، ص ١٦٩ .

هذا المكان خليق بأن يكون - فيه - قبره". (١)

وظل هاجس اختيار مكان القبر يشغل حكام المغول، مع حرصهم الشديد على سرية المكان الذى دفنوا فيه، حتى أعاد «غازان خان» النظر فى هذا الأمر، يقول صاحب «تاريخ مبارك غازاني» ما ترجمته :

« جرت رسوم المغول وعاداتهم منذ عهد «چنگيزخان» حتى الآن أن تكون قبورهم في مواضع مجهولة، بعيدة عن العمران، بحيث لا يكون لأى مخلوق علم بها، وكانوا يخلون ما حولها، ويعهدون إلى الثقاة بالإشراف عليها، حتى لا يدعوا أحداً يقترب منها. فما أسلم السلطان، وسما بشئون الدين، وأوصلها إلى نجم العيّوق قال : ولو أن هذه هى عادة آبائنا، وحتى لو اعتنق أحدهم الإسلام، ويريد ألا يكون قبره معلوما، فإنه لا يخالف الدين بتصرفه هذا، ولكن ليست هناك فائدة أيضا من وراء ذلك.

وحيث إننا اعتنقنا الإسلام، ينبغى أن يكون شعارنا كذلك مطابقا

---

(١) «وچنگيزخان روزى بشكار بود، ودر موضعى يك درخت تنها ديد رسته. اورا صورت آن درخت بغايت خوش آمد، ساعتى در زير آن درخت فرود آمد واندرون او فرخى يافت. فرمود كه اين موضع مدفن مرا لايق است».
رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ، جلد اول «از آغاز پيدايش قبايل مغول تا پايان دورهٔ تيمور قاآن، تهران، ١٣٣٨هـ.ش، ص٣٨٧.

لطريقة المسلمين ، ولا سيما أن الرسوم الإسلامية أفضل بكثير من تلك العادات » . (١)

وعلى هذا فإن حكام المغول - قبل عصر غازان خان - كانوا يدفنون في مقابر تحت الأرض ويوضع مع من مات من هؤلاء الحكام غلمانه وجواريه وخيله ، ثم يقومون بسد باب القبر ، ويغطونه بتل من الرمال ، ويجعلون قطيعا من الجياد يهرول فوق ذلك التل إلى أن يتملكه التعب و بعد أن تكون الأرض قد سويت ، فيزرعون فيها الأشجار والأعشاب ، بحيث لا يمكن تميزها عما يجاورها من الأماكن ، وعندئذ يذبحون تلك الجياد ، ويعلقونها فوق رأس القبر ، لتصير لحومها طعاماً للطيور ، ويحرقون

---

(١) «پادشاهان مغول از اوروغ چنگيزخان رسم وعادات ايشان تا اكنون چنان بوده كه مدفن ايشان در موضعى باشد نا معلوم ، از آبادانى وعمارت دور، چنانچه هيچ آفريده بر آن مطلع نبود ، وحوالى آنرا غروق كرده ، بمعتمدان سپارند ، تا هيچ كس را بدان نزديك نگذارند . وپادشاه چون مسلمان شد ، وآيين دين را بعيوق رسانيد، فرمود كه هر چند رسم پدران ما اينست ، ونيز اگر مسلمانى نخواهد كه مدفن او معين در دين دارى خللى نيست . ليكن در آن فائده نيست ، وچون مسلمان شده ايم ، بايد كه شعار ما نيز بر طريقهٔ إسلاميان باشد ، خصوصاً چون رسوم اسلامى بسيار بهتر از آن عادات است».
رشيد الدين فضل الله همذانى : تاريخ مبارك غازانى «داستان غازان خان» : بسعى واهتمام وتصحيح كارل يان ، هرتفورد ، ١٩٤٠م، ص ٢٠٧-٢٠٨ - وقد وردت ترجمة هذه الفقرة فى كتاب : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ترجمة الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد، القاهرة ، ٢٠٠٠م، ص٢٤٣ .

عظامها طلباً لسكينة روح الميت . وبعد مراسم الدفن يتركون ذلك المكان ، بعد أن يُعين بعض الحراس ليمنعوا أى إنسان من الاقتراب منه ويعاقب بالموت من يخالف هذه الرسوم » . (١)

وقد اختلفت نظرة المؤرخين والباحثين إزاء من يتم قتلهم أثناء جنازة حكام المغول ، فقد كان الجنود يقتلون كل من يصادفهم بعد دفن الحاكم ، يقول رشيد الدين ما ترجمته : «وكانوا يقتلون كل مخلوق يصادفهم فى طريقهم» . (٢)

ويرجع الدكتور مصطفى طه بدر هذا الأمر إلى قسوة المغول ، حيث يقول : «كما تظهر قسوتهم أيضا فى تضحيتهم بالرجال فى جنائز العظماء» . (٣)

وهناك من يرد هذا الأمر إلى أن القاتل سوف ترتفع منزلته يوم القيامة - حسبما تنص الديانة الشامانية - يقول «بارتولد» : «يعتقد القاتل أن منزلته تزداد ارتفاعا (يوم القيامة) بازدياد عدد من قتلهم» . (٤)

---

(١) انظر : شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد اول ، ص ٣٣ .

(٢) انظر : رشيد الدين فضل الله همدانى : جامع التواريخ ، جلد اول ، تهران ، ١٣٣٨هـ.ش ، ص ٣٨٦ .

(٣) مصطفى طه بدر : محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية فى بغداد على أيدى المغول ، ص ٩٦ .

(٤) و. بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة دكتور أحمد السعيد سليمان ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص ١٤ .

أما صاحب «رحلات ماركو بولو» فيقول :

«وجرت العادة بالمثل أيضا ، أثناء موكب سير جنازة هؤلاء الأمراء أن يقوم من عليه من حراس وركب بذبح أي أشخاص يتصادف أن يلتقوا بهم على الطريق قائلين لهم : ارحلوا إلى العالم الآخر ، وهناك كونوا في خدمة مولاكم المتوفى .

وذلك لاعتقادهم الراسخ بأن جميع من يقتلونهم على هذا النحو يصبحون بالفعل خدماً له في العالم الآخر . وهم يفعلون نفس الفعل بالخيل، حيث يقتلون أنجبها عترة حتى يتمكن من استخدامها هناك » . [١]

ولست مع من يرد هذا الأمر إلى قسوة المغول ، فقسوتهم معروفة - في جميع الأحوال - ولا تخفى على أحد ، كما أننى لا أتفق مع من يرجع هذا الأمر إلى ازدياد رفعة القاتل يوم القيامة وفقا للديانة الشامانية ، لأن هذه الرفعة سوف تعود إلى القاتل ، ولن تعود إلى الحاكم الذى رحل ، إضافة إلى أن حكام المغول لم يكونوا جميعا شامانيين ، بل اختلفت ديانتهم . ولكن يبدو أن سبب هذا القتل يرجع - كما يقول رشيد الدين - إلى شدة حرص المغول على بقاء قبر الخان غير معروف للجميع ، فهو يقول ما ترجمته : «وكانوا يقتلون كل من كان يصادفهم » .

---

(١) ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ترجمها إلى الإنجليزية ونشرها «وليم مارسدن» ، وترجمها إلى العربية عبدالعزيز توفيق جاويد ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٣٦-١٣٧ .

ويؤكد هذا الرأى ما ذكره « بارتولد شپولر » فى هذا المجال ، حيث يقول ما ترجمته : « ولهذا السبب فإنهم كانوا يقتلون .. فى بعض الأحيان - حفرة القبر ، أو الأشخاص الذين يتصادف علمهم بمكان قبر الحاكم ، كى يحولوا دون إفشاء سرهم بهذا الصنيع ». (١)

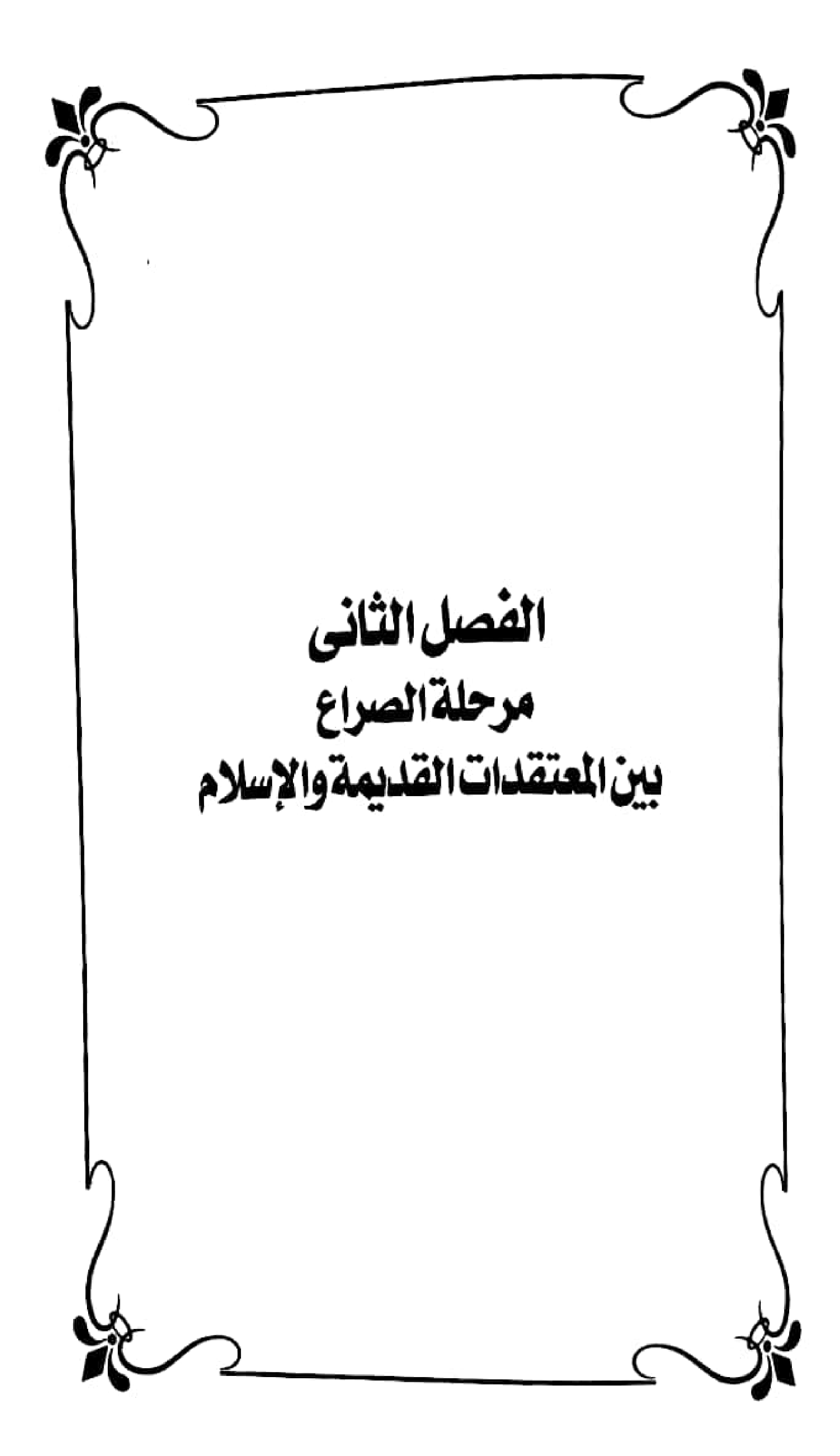
وكان من عادة المغول أن يقوموا بدفن كل ما يلزم الخان - فى الآخرة - معه فى قبره ، كما لا يفوتهم أن يدفنوا معه مجموعة من الفتيات الجميلات ، يقول « خواندمير » عند دفن هولاكو ما ترجمته : « وقد أعد الأمراء وعظماء الدولة سرداباً يؤدى إلى قبره ، وأرسلوا عدة فتيات جميلات - قد تحلين بكل أنواع الزينة - إلى ذلك السرداب ، كى لايتألم الإيلخان من وحشة الوحدة ، ومشقة الفراق » . (٢)

---

(١) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهٔ محمود مير آفتاب ، ص١٨٣ .

(٢) « امراء واركان دولت جهة مدفنش سردابهء ساختند وچند دختر ماه پيكر بأنواع زيب وزيور آراسته بآن سردابه فرستادند ، تا ايلخان از وحشت تنهائى ومشقت جدائى متألم نگردد » .

خواندمير (غياث الدين بن همام الدين الحسينى) : تاريخ حبيب السيرفى أخبار أفراد البشر ، جلد سوم ، تهران ، ١٣٣٣هـ.ش ، ص ١٠٢ .



الفصل الثانى

مرحلة الصراع

بين المعتقدات القديمة والإسلام

الفصل الثانى
مرحلة الصراع
بين المعتقدات القديمة والإسلام

تتناول الدراسة فى هذ الفصل مرحلة الصراع بين معتقدات المغول القديمة والإسلام ، وكيف أثرت ديانة كل حاكم من حكام المغول فى نظرته إلى الإسلام والمسلمين.

يذكر صاحب «جهانگشاى» أن «چنگيز خان» لم يكن معتقداً بدين معين ، ولم يتعصب لملة على ملة ، تاركاً المرء وما يعتقد ، أما علماء كل أمة وزهادها فكانوا مكرمين معززين» . (١)

ويتفق «ذبيح الله صفا» مع «عطا ملك» فى هذا الرأى . (٢)

أما «شيرين بيانى» فترى أن «چنگيز خان» ظل على معتقده الذى كان يدين به منذ البداية ، وأنه تعامل مع رجال الدين من شتى الطوائف بكل احترام وتقدير . بيد أنها لم تذكر هذا المتعقد الذى كان يدين به «چنگيز خان» . (٣)

---

(١) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم ، ترجمة د. محمد التونجى ، الجزء الأول ، ص ٦٢.

(٢) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم ، تهران، ١٣٥٣هـ.ش (چاب دوم) ، ص ١٠٤ .

(٣) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد اول ، ص ١١١ .

وكان «بارتولد شپولر» أكثر تحديداً لديانة «چنگيز خان» ، حيث قال عنه وعن خليفته «اوگتاى» إنهما لم يتعصّبا لدين ، رغم أنهما كانا وثنيين يدينان بالشامانية». (١)

ويرى «فلاديمير ستروف» أن «چنگيز خان» كان يعطف علي كافة الأديان ، رغم أنه بقى من أتباع الشامانية المخلصين. (٢)

وقد سبق أن ذكرنا أن چنگيز خان كان يمارس طقوس الشامانية وهو على قمة جبل «بورقان قلدون» ، وكانت هذه الشعائر التى كان يقوم بها جزءاً من شعائر الشامانية ، كما كان الكاهن الذى تسند إليه مهام هذه الشعائر يحمل لقب «باكى» - وهو لقب يعنى الكاهن ، والساحر ، والمنجم عند الوثنيين- (٣) وكان «أوسون» أول من شغل هذا المنصب ، وهو أكبر المسنين من الفرع الأرشد لأحد أجداد «چنگيز» الأسطوريين. (٤) وقد

---

(١) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهٔ محمود مير افتاب، ص٢٠٤.

(٢) فلاديمير ستوف : حياة «چنگيز خان» الإدارية والسياسية والعسكرية، ترجمه من الانجليزية د. سعد الغامدى ، الرياض، ١٩٨٣ ، ص ١٥٨.

(٣) ب. ولاديميرتسن : نظام اجتماعى مغول ، ترجمهٔ شيرين بيانى ، تهران ، ١٣٦٥هـ.ش، ص٨٤ .

(٤) تذكر جدة «چنگيز خان» [آلان قوا] بعد موت زوجها أن شخصاً نورانياً كان يدخل خيمتها ويمسح بيده على بطنها ومن ثم فقد أنجبت ثلاثة أبناء على التوالى وهى ترى أن هؤلاء الأبناء هم أبناء السماء وسيكون لهم ملك الدنيا .
وربما كان فى هذا الكلام تلميحاً لأجداد چنگيز الاسطوريين.
بل پليو : تاريخ سرى مغولان، ترجمهٔ شيرين بيانى ، ص٥ .

ارتفع شأنه ، حتى أن خيمته كانت جاور خيمة الإمبراطور، وكان «چنگيز خان» يخاطبه بمزيد من الاحترام ، يقول له ماترجمته :

«... عليك أن تشغل وظيفة (باكي) ، وأن تمتطي صهوة جواد أبيض بمجرد شغل هذه المهمة ، وأن ترتدى ملابس بيضاء ، وتحتل صدارة المجلس في المحافل». (١)

وكان من أهم أعماله أن يطرد الأرواح النجسة ، ويبطل السحر والشعوذة، كما كان يشرف على العربة التى كانت تحمل الصنم الكبير لمعسكر السلطان». (٢)

ولعل فيما سبق ما يؤكد وجهة نظرنا بأن «چنگيز خان» كان شامانيا، فقد كانت الشامانية - كما سبق أن ذكرنا - تكمن في عبادة مظاهر الطبيعة وعبادة الأصنام.

اوگتاى : (٦٢٦-٦٣٩هـ/ ١٢٢٩-١٢٤١م) :

فلما جاء الدور علي «اوگتاى» ، وجلس على العرش خلفا لأبيه ، نراه يسلك مسلك المداراة مع المسلمين (٣) ، وينظر إليهم نظرة الأصدقاء،

---

(١) «تو بايد باكي شوى ، وهنگاميكه باين شغل منصوب گشتى بر اسب سفيدى سوار شو ، لباس سفيدى در بركن ، ودر مجامع در صدر مجلس بنشين» ، المرجع السابق ، ص٨٣.

(٢) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد اول ، ص٤١ .

(٣) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم (بخش اول) ، تهران ، ١٣٥٣هـ.ش ، (چاپ دوم) ، ص ١٠٧ .

ولم يكتف «اوگتای» بهذا الأمر ، بل أمر المغول أن يزوجوا بناتهم من المسلمين ، كما كانت صلاة الجمعة تقام في عهده في كافة بلاد المشرق.(١)

ويذكر صاحب «جهانگشای» قصة طريفة ، تدل على مدى تسامح «اوگتای» بالنسبة للمسلمين ، يقول ما ترجمته :

« في أحد الأيام ، وفيما كان «القاآن» و «چغتای» عائدين من الصيد ، لمحا رجلاً مسلماً في النهار ، جالساً وسط الماء يستحم ، فاستشاط «چغتای» غضباً ، إذ كيف يخالف هذا الرجل أعرافهم ؟ واتجه نحوه ليقتله ويفنيه ، فاستوقفه «القاآن» وقال له : « لقد تأخرنا اليوم ، وحل بنا التعب ، فلنأمر بحبسه حتى الغد ، ثم ندرس وضعه ونعلم لماذا خالف مراسمنا ».

وأمر حاجبه أن يحتفظ بالرجل إلى الغد ، ليحكم عليه بالبراءة أو بالإعدام ، وأعلمه الحاجب خفية أنه رمى مكان استحمامه عملة فضية ، حتى إذا ما سألوه غدا عن سبب مخالفته يقول لهم : «إنني رجل فقير ، قليل البضاعة ، كثير العائلة ، وكل حيلتي هذا «البالش» الفضي ، فحين سقط مني في الماء . تجرأت أن أنزل الماء بحثاً عنه».

وفي اليوم التالي دُعي الرجل المتهم للحضور بين يدي « القاآن» ، فشرح له ماعلمه إياه الحاجب ، فأمر الخان من يذهب إلى الماء ليخرج

---

(١) أبو عمرو منهاج الدين عثمان جوزجاني معروف به «منهاج سراج» : طبقات ناصري ، كابل ، ١٣٤٣هـ.ش ، ص ١٥١ .

«البالش» ، ليعرف إذا كان الرجل صادقاً أم كاذباً ، وحين عاد المأمور بالمال مبلولاً بالماء قال القاآن : « إن من يخالف مراسمنا وأحكامنا قطعنا رأسه ، ولما كان هذا الرجل ضعيف الحال ، قليل المال ، فقد عفونا عنه ومنحناه عشرة أضعاف ماكان فى الماء ، على أن يمتنع فى المستقبل عن المخالفة مهما كانت الأسباب ». (١)

وتُظهر القصة السابقة بجلاء الفرق بين صفات «اوگتاى» وأخيه الأكبر «چغتاى» ، فقد كان «چغتاى» فظاً غير متسامح ، شديد الالتزام بالتقاليد والأعراف ، لايتهاون فى تنفيذ قوانين « الياسا » بحذافيرها ، ومن ثم فقد عهد إليه أبوه أمر تطبيق قوانينها. (٢)

ولم يتوقف چغتاى عن الكيد للمسلمين ، بل أخذ يتآمر ضدهم فى الخفاء ، وامتدت مؤامراته ليستخدم فيها بعض رهبان البوذية .

فقد ساءه أن يرى «اوگتاى» متسامحاً مع المسلمين ، فطلب تشكيل «القوريلتاى» للنظر فيما يتبعه «اوگتاى» بشأن مهادنته للمسلمين ، مشيراً إلى أنه يسلك معهم عكس ماكان يسلكه أبوه ، وطلب من العظماء البحث عما يرونه فى صالح دولتهم ، فقالوا له : « انصح أخاك فى الخلوة» - فقال

---

(١) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم ، ترجمة د. محمد التونجى الجزء الأول ، ص١٩١-١٩٢ .

Mechael Prawdin : Translated by : Eden and Cesar Paul : The Mongol Empire, Its Rise and Legacy , New york, 1967, P. 241-242.

(٢) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد اول ، ص ١٣١ .

«چغتاى» لأخيه : «ماهذه المودة التى تربطك بالإيرانيين (بالمسلمين) وخالفت بها مواعظ أبينا العظيم ومذاهبه؟ إصغ إلى كلام عبدك ودقّ رءوسهم ، ولا تجتهد فى إظهار رونق دينهم» . فلم يحر «اوگتاى» جواباً ، ولم يتغيّر من حدة الأمير «چغتاى» وخشونته ، فتألم الأمير «چغتاى» وانصراف من أمام أخيه وقال : لكأنما قد نفث المسلمون سحرهم في أخى ، فحولوه بسحرهم وشعوذتهم عن مذهب أبينا العظيم» . (١)

ورغم مايبدو فى هذه الحكاية من مبالغة فإن أحداثها ليست بعيدة عن الواقع.

فلقد سعى «چغتاى» - بكل الوسائل - للإساءة إلى المسلمين أمام «القاآن» وليس أدل على ذلك مما ذكره صاحب حبيب السير ، حيث يقول ما ترجمته :

« ذات يوم مثل أحد المنكرين لدين سيد المرسلين ، صلوات الله عليه وآله الطاهرين ، أمام اوگداى وقال : بالأمس رأيت چنگيزخان فى نومى ،

---

(١) « ... اين چه محبت است كه باتازيكان پيش گرفته» ، وخلاف مواعظ ومذاهب پدر بزرگ كرده» ؟ سخن من بنده بشنو ، وتاز يكان را سر كوفته دار ودر اظهار واشتهار رونق دين ايشان مكوش ، پادشاه اوگتاى در جواب هيچ نگفت وبدان تندى وخشونت شاهزاده «چغتاى» متغير نشد ، شاهزاده چغتاى برنجيد واز پيش برادر بيرون آمد وگفت : مسلمانان برادر را بجادوئى وفريب بكل از مذهب پدر بزرگ ما بگردانده اند» .
سيف بن محمد الهروى : تاريخ نامه هراة ، كلكته ، ١٩٤٣ن. ، ص٩٧ .

حيث قال (لى) :

قل لأوگداى ألا يتهاون فى قتل المسلمين ، فتأمل القاآن لحظة ، ثم قال : هل خاطبك بهذا الكلام بلغته أم أن مترجماً - من قبل الخان - نقل لك هذه الرسالة ؟ فأجاب ذلك الشخص :

لقد أسرّ لى الخان بهذا السرّ بغير وسيط . فقال القاآن :

«هل تعرف اللغة المغولية ؟» قال : «لا» . فقال :

«يبدو أنك من جملة الكذابين ، لأن چنگيز خان ماكان يعرف أى لغة غير المغولية..» (١)

ويعلق صاحب كتاب طبقات ناصرى على هذه الحكاية قائلا ماترجمته :

«وقال اوگتاى : بحرمة أخى لن ألحق بك عقابا ، ولكن عُد من حيث

---

(١) روزى شخصى از منكران دين سيد المرسلين صوات الله عليه وآله الطاهرين نزد اوگداى قاآن رفته گفت : «دوش چنگيز خان را در خواب ديدم كه گفت : اوگداى را بگوى كه در قتل مسلمانان را تقصير جايز ندارد» . قاآن لحظه‌ء تأمل نمود فرمود كه : «اين سخن را خان بزبان خويش باتو گفت يا ترجمانى از قبل خان ترابااين پيغام اختصاص داد ؟» . آن شخص جواب گفت كه : «خان بى واسطه اين راز بامن درميان نهاد» ، قاآن فرمود كه : «توزبان مغولى مى دانى؟». جواب داد كه : «نى» قاآن گفت : «ظاهراً تو از جمله دروغگويانى زيرا كه چنگيز خان غير از لغت مغولى بهيچ زبانى دانا نبود ..»
غياث الدين بن همام الدين الحسينى (المدعو به خواندمير) : حبيب السير فى أخبار أفراد البشر : جلد سوم، تهران ، ١٣٣٣هـ.ش، ص ٥١ .

أتيت ، وقل لجغتاى وأتباعه : أن يكفوا أيديهم عن أذى المسلمين والتعدى عليهم ، فإنهم إخواننا وأصدقاؤنا ، وهم قوةُ لمملكتنا ، وقد دانت لنا الدنيا بعونهم» . (١)

وإن دلت هذه الأمور على شئ ، فإنما تدل على أن «اوگتاى» قد سلك مع المسلمين مسلك العدل والإنصاف ، ومن ثم فقد لقبوه بالعادل والكريم، والمحافظ على الرعية، على عكس ماوصفوا به أخاه «چغتاى» . (٢)

ومما يذكر من مواقف «اوگتاى» التى أنصف بها المسلمين أن مسلماً اقترض أربع بالشات فضّية من أحد أمراء الأويغور وعجز عن دفعها ، فألقوا القبض عليه، وآخذوه على ذلك ، وأجبره (ذلك الأويغورى) وإما أن يترك دين محمد ، ويربط الزّنار على خصره ، ويدخل فى عبادة الأوثان ، وإما أن يطوفوا به السوق عاريا ، ويضربونه مائة عصا ، فطلب (من الأمير) مهلة ثلاثة أيام ، وذهب إلى بلاط «القا آن» ، وحكى له قصته ، فأمر بإحضار غرمائه، ولامهم على تعذيب الرجل المسلم ، وأمر أن يعطوا بيت

---

(١) « ... اوگتاى گفت : به حرمتِ برادر خود ترا سياست نمى كنم، بجاى خود بازور وبگوى چغتاى را واتباع اورا كه دست از ايذاء وتعدى مسلمانان بدارند، كه ايشان برادران وياران ما اند ، وقوت مملكت ما از ايشان ظاهر شد، وجهانيان به مدد ايشان مسخر ماگشت.» انظر : أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين المعروف بمنهاج سراج : طبقات ناصرى، جلد دوم، ص ١٥٧ .

(٢) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم (بخش اول)، تهران ١٣٥٣ هـ.ش، ص ١٠٨ .

الأويغورى وزوجته للرجل المسلم ، وأن يطوفوا بالرجل الأويغورى فى السوق عارياً ، وأن يضرب مائة عصا ، وأعطى الرجل المسلم مائة بالش». (١)

گيوك : (٦٤٤-٦٤٧هـ ١٢٤٦-١٢٤٩م) :

فلما جاء الدور على گيوك ناصب المسلمين العداء ، وأظهر ميلا شديداً تجاه النصارى ، متأثراً برأى اثنين من وزرائه هما : «جينقاى» و «قداق» ، اللذين كانا يدينان بالمسيحية .

فقد كان «قداق» مربى «گيوك» منذ نعومة أظفاره ، فترك أكبر الأثر فى نفسه ، محبباً إياه فى ديانته ، ولم يتوقف هذان الوزيران عند محاولة اجتذاب القاآن إلى ديانتهما فحسب . بل كان لهما أثر بالغ فى إحلال المسيحيين مكان المسلمين فى كثير من أمور الدولة ، حتى وصل الحال

---

(١) شخصى مسلمان از اميرى اويغور چهار بالش نقره فرض گرفته بود ، واز اداى آن عاجز آمده ، اورا بگرفتند ومؤاخذه مى كردند ، والزام مينمود كه يا از دين پاك محمدى انتقال كند وزنار برميان بسته به بت پرستى در آيد ، يا اورا برهنه در بازار بگردانند وصد چوپ زنند ، سه روز مهلت خواست ، وبدر گه قاآن آمد ، وحال خود عرضه داشت . فرمود تا غريمان اورا حاضر گردانند ، وبتكليفى كه با آن مسلمان مى كردند ايشان را گناهكار گردانيد ، وزن وخانهء اويغور بمسلمان داد ، وفرمود تا اويغور را برهنه در بازار صد چوب زدند ، ومسلمان راصد بالش بخشيد» . رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول ، ص٤٩٦-٤٩٧ .

بالمسلمين - في عهد گيوك - إلى أن أحداً منهم لم يكن يجرؤ أن يرفع صوته أمام مسيحى .(١)

وعندما ذاع أمر رعاية «گيوك» للنصارى ، توجه إلى بلاطه القس والرهبان من الأطراف والأكناف ، وبالطبع لم يكن « گيوك خان» خالياً من إنكار دين محمد - ﷺ - وكان في أيام ملكه ضيق الصدر، وليست له طاقة على الحديث والإصغاء ، ففوّض حل كل الأمور وعقدها، وقبضها وبسطها إلى «قداق» و«جينقاى» .(٢)

وبلغت كراهية هذين الوزيرين للمسلمين في عهد گيوك حداً لايصدقه عقل، فقد ذكر «خواندمير» واقعة يدلل بها على هذا الأمر ، فقال ما ترجمته :

«ذات مرة تآمر حشدٌ من النصارى - بعون من «قداق» و«جيبغاى»(٣) - لاستصدار إذن من «گيوك» بخَصْى جميع المسلمين في أرجاء مملكته ، وبينما كان أحد الجنود يخرج من بلاط گيوك حاملاً الأمر في يده لإبلاغ المسيحيين بهذه البشرى ، انقضت عليه مجموعة من الكلاب المفترسة ، واقتلعت خصيتيه ، وجعلت منهما لقمة سائغة ،

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول ، ص ٥٧٣-٥٧٤.

(٢) رشيد الدين الهمزانى : تاريخ خلفاء چنگيز خان من اوگتاى قاآن إلى تيمور قاآن، نقله إلى العربية د. فؤاد الصياد، بيروت، ١٩٨٣ ، ص ١٨٨.

(٣) يقصد هنا «جينقاى».

فأصاب النصارى هلع من إعجاز الإسلام، وما عاد أحدهم يذكر هذا الإذن مرة أخرى». (١)

وعندما شاهد الخان والقواد والعظماء ماجرى لهذا الجندى عدّوا ذلك الأمر فألاً سيئاً، وانصرف «گيوك» ومزّق الأمر ، وانقشع عن رءوس المسليمن بلاء عظيم . (٢)

ورغم هذا فقد تمادى «گيوك» فى إلحاق الأذى بالمسلمين بتأثير من المسيحيين والبوذيين الذين اتحدوا لتشويه صورة أحد رجال الدين العظماء ممن ذاعت شهرتهم فى الإسلام ، ألا وهو «الإمام نور الدين الخوارزمى» .(٣)

فذات يوم طلبت مجموعة من القساوسة والقواد أن يأمر «گيوك» بتشكيل جلسة للمناظرة الدينية تضم ذلك العالم الجليل ، ليقوموا بإفحامه أمام «گيوك»، ويكون ذلك سببا فى قتله . فلما فشلوا فى إفحامه

---

(١) «نوبتى جمعى از نصرانيان بامداد قداق وجيبغاى نشانى حاصل كردند كه تمامى مسلمانان ممالك گيوك خان را خصى سازند ، ويكى از كلا نتران ايشان نشان را بدست گرفته از بارگاه بيروت آمد تا مژده بسا ير ترسايان رساند ، وهمان زمان سگان درنده دروى افتادند، وخصيتين اوراكنده، يك لقمهء خام ساختند . بعد از آن نصارى از اعجاز ملت مصطفوى ترسيده، ديگر نام نشان نبردند». غياث الدين بن همام الدين الحسينى المدعو به خواندمير : حبيب السير فى أخبار أفراد البشر، جلد سوم ، تهران ، ١٣٣٣ هـ.ش، ص ٥٧.

(٢) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد اول ، ص ١٤٣.

(٣) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم (بخش اول)، تهران ، ١٣٥٣هـ.ش، ص ١٠٦.

طلبوا منه أن يؤدى الصلاة ليشاهد «گيوك» صلاة المسلمين ، فتقدم الإمام وطلب من أتباعه الصلاة بخشوع كامل ، وعندما سجدوا أمسك الحاضرون برءوسهم ، وأخذوا يسحقونها فى الأرض بشدة ، ولكن المصلين لم يقطعوا الصلاة ، بل أتموها ، وكانت هذه هى نفس الليلة التى أصيب فيها «گيوك» بصداع شديد ، لقى بعده ، حتفه ، وذلك فى عام (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م).(١)

منگو : (٦٤٨-٦٥٥هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٧م) :

وباعتلاء «منگوقاآن» عرش المغول انتقلت السلطة من أسرة «أوگتاى» إلى أسرة «تولوى» ، حيث تم هذا الأمر بعون من « سيورقوتينى بيگ» - والدة منگو وزوجة تولوى - التى كانت تتمتع بشخصية قوية.(٢)

ورغم أن منصب الوزارة فى عهد «منگو» قد شغله وزير نسطورى يدعى «بلغار» ، (٣) كما كانت أم «منگو» وزوجته مسيحيتين ، إضافة إلى تعميد أحد أبناء «منگو» ، فإن «منگو» نفسه قد سلك سياسة المداراة بصورة جعلت أصحاب كل دين يعتقدون أنه صار واحداً منهم .

فكان «منگو» يرافق - فى بعض الأحيان - إحدى زوجاته المسيحيات

---

(١) جوزجانى (أبو عمر ومنهاج الدين عثمان بن سراج الدين) معروف به منهاج السراج : طبقات ناصرى، جلد دوم، كابل، ١٣٤٣هـ.ش ، ص١٧٤-١٧٥.

(٢) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد اول ، ص ١٤٤-١٤٥ .

(٣) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهٔ محمود مير آفتاب، ص ٢٠٥.

في مراسم الدعاء عند المسيحيين ، فعدّه المسيحيون على دينهم . (١)

ونقل البوذيون في أحد مصادرهم الهامة عن «منكو» ما ترجمته :

« فكما تنبت أصابع اليد الخمسة من راحة اليد ، فإن دين بوذا هو راحة اليد، أما بقية الأديان فهي بمثابة الأصابع » (٢) ، ومن هنا اعتبره البوذيون بوذيا .

ولما كانت خيمة الوثنيين تجاور خيمته على الدوام ، فقد عدّه الوثنيون وثنياً. (٣) أما المسلمون فكانوا يعتقدون أن «بركه خان» - الذى كان يحظى بمنزلة رفيعه عند «منكو» - قد نجح في إقناعه باعتناق الإسلام ، فنطق بالشهادتين . ونظراً لأن «منكو» كان يشارك المسلمين - بعض الأحيان - في تأدية الصلاة ، فقد عدّوه مسلماً . (٤)

ويبدو أن سياسة التسامح الديني التى سلكها «منكو» كانت سببا مباشراً في حسن ظن أصحاب الديانات المختلفة به . فقد طلب «منكو» من رجال الدين - بمختلف دياناتهم ومذاهبهم - الدعاء له ومباركة طعامه. (٥)

---

(١) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران، ص ٢٠٦ .

(٢) «هم چنانكه پنج انگشت از كف دست بيرون مى آيند ، كيش بودا نيز حكم كف دست را دارد ، وديگر اديان بمنزلهء انگشتان مى باشند».

و. بارتولد : تركستان نامه (تركستان در عهد هجوم مغول) ، جلد دوم، ترجمهٔ كريم كشاورز ، ص ١٠٢ .

(٣) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمه محمود مير آفتاب، ص٢٠٥ .

(٤) شيرين بياني : دين ودولت ، جلد اول، ص١٤٦-١٤٧ .

(٥) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ص ٢٠٦ .

ورغم أن سياسة «منكو» لم تحدّ من النفوذ الذى حظى به المسيحيون منذ عهد «كيوك»، إلا أنها قلّلت من عداء المسلمين وكراهيتهم للبلاط.

فقد أعفى «منكو» رجال الدين - من كافة الديانات - من الضرائب، كما أمر أن يُراعى أصحاب المذاهب الإسلامية فتشملهم الصدقات والعناية، ومصداق هذا أنه في عيد الفطر من سنة خمسين وستمائة قدم المسلمون إلى المعسكر مع قاضى القضاة - جمال الملة والدين مقتدى العلماء - «محمود الخجندى» ، فأمّ قاضى القضاة الناس وخطب فيهم ذاكراً الخلفاء الراشدين وأمير المؤمنين، وبعد أن أدى صلاة الجمعة، عاد قاضى القضاة إلى المعسكر ، ودُعى إلى القآن ، فشرفه في هذا العيد بعدد من البالشات الذهبية والفضية ، وبأنواع من الثياب الثمينة ، واستفاد كثير من الناس من إنعامه هذا ، ولا تقل هداياه وعطاياه في غير أيام الأعياد من هذه الأيام ». (١)

ليس هذا فحسب ، بل إننا نرى مواقف أخرى لـ «منكو» تجاه المسلمين تؤيد ماسبق أن ذكرناه ، فعندما أقبل الملك الكامل ، حاكم ديار بكر ، إلى بلاط «منكو» ، مبدياً صداقته وخضوعه ، رفض تناول الشراب عند إتمام

---

(١) عطا ملك الجوينى : تاريخ فاتح العالم ، ترجمة د. محمد التونجى، ص ٢٢٩-٢٣٠ . وكذلك :

رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول، تهران ، ١٣٣٨هـ.ش، ص٥٩٧ .

المراسم، ولما سُئل عن السبب أجاب بقوله : « إن الشراب في ديننا حرام» ، ولم يغضب القاآن، بل سُرّ من هذا الأمر كثيرا، وخلع الثياب التى كان يرتديها فى هذا المجلس ، وألبسها له، دليلاً على غاية اللطف منه» . (١)

وفي أحد محافله ، تصادف حضور وفد من المسلمين ، فأمر أن تذبح الحيوانات التى ستقدم لحومها إليهم وفقاً للشريعة الإسلامية ، تكريماً لهم.(٢)

غير أن المكائد التى كانت تحاك ضد المسلمين - وبصفة خاصة من البوذيين - لم تتوقف . فقد كان «ايدى قوت» حاكماً بوذيا علي إيالة الغور، وكان - كما يقول الجوينى - زعيما للمشركين وعبدة الأوثان ، كما كان عدواً لدوداً للإسلام، وكان البوذيون يحتمون به - وذات مرة استقر رأى هؤلاء البوذيين، بزعامة هذا الرجل ، على أن يقوموا بالهجوم على المسلمين يوم الجمعة ، عندما يجتمع المسلمون فى جامع مدينة «بيش باليغ» . (٣) -

---

(١) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد اول ، ص ١٤٨ .

(٢) خواندمير : حبيب السير ، جلد سوم ، ص ٥٩ .

(٣) بيش باليغ : هى عاصمة ايغورستان، وتقع شمال شرقى تركستان وشمال نهر تاريم، وكان يقطنها قوم من الأتراك يدينون بالمسيحية والبوذية وكان لهم خط خاص بهم هو الخط الأويغورى وعندما اختلط المغول بهم أخذوا عنهم هذا الخط ودونوا به كتابتهم .
عطا ملك جوينى : تاريخ جهان گشاى، ص ٢٧٢ .
فؤاد الصياد (دكتور) : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله ، ص٣ حاشية ١ .

حيث يتجاوز عددهم خمسين ألف شخص - فينقضون عليهم لإفنائهم جميعاً . وكان من بين الموجودين فى حاشية «إيدى قوت» غلام أويغورى مسلم ففرّ هذا الغلام ، ونقل الخبر إلى «منكو قآن» ، فأمر بإحضار «إيدى قوت» ، وأتباعه وقدمهم للمحاكمة . وعندما اتضح له صحة هذه المؤامرة، أمر «منكو» بحملهم إلى بيش «باليغ» ، ودعى الناس جميعاً من مسلمين وبوذيين إلى خارج المدينة ، وقام بقتل تلك الطائفة أمام الناس ، بعد صلاة الجمعة ، وشكر المسلمون الله على هذا النصر الذى أعاد إليهم الحياة مرة أخرى. (١)

ولم تتوقف سياسة التسامح الدينى - فى عهد منكو - عليه وحده، بل امتدت لتشمل أمه « سيورقورتينى بيگ» كذلك . فرغم أنها كانت مسيحية إلا أنها قامت ببناء مدرسة فى بخارى ، وأسندت مسئوليتها إلى شيخ الإسلام «سيف الدين الباخرزى» ، واشترت كثيرا من القرى فى أطراف المدينة ، وجعلتها وقفا لهذه المدرسة. (٢)

قوبيلاى : (٦٥٨-٦٩٣هـ/١٢٦٠-١٢٩٤م) :

ولقد جلس قوبيلاى على العرش بعد أن انتقلت عاصمة المغول من «قراقورم» إلى «پكين» فى الصين . ورغم أنه كان قد اعتنق البوذية، إلا أنه

---

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ (الجزء الأول) ، ترجمة د. فؤاد الصياد، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٧-٣٩.

(٢) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد اول ، ص ١٤٩-١٥٠.

سلك - هو الآخر - سياسة التسامح والمداراة إزاء كل الديانات، فأمر بترجمة متون البوذية والإنجيل والقرآن إلى اللغة المغولية . (١)

ومن مظاهر هذا التسامح . وتلك المداراة أن «القاآن» كان يشارك المسيحيين جلسات عبادتهم ، وكان رهبانهم يذهبون إلى مجلسه قبل عيدهم بأسبوع للدعاء له، كما كانوا يُحضرون له «خبز البركة» في اليوم التالي .

وقد أذن «قوبيلاى» لأحد الرهبان المسيحيين - الذى كان قد عالج زوجته - أن يطوف بالصليب في معسكره بأكمله . (٢)

ويصف «ماركو بولو» ما كان يدور في عيد ميلاد «قوبيلاى» ، فيقول: «إن جميع النصارى والوثنيين والمسلمين ، ومعهم بقية الناس من جميع الأصناف والأوصاف، كانوا يرفعون الصلوات الحارة الصادقة، كُلٌّ إلى ربّه أو وثنه أن يبارك المليك، ويهبه طول العمر والعافية والرفاهية» .(٣)

ورغم مبدأ التسامح الذى سلكه «قوبيلاى» ، إلا أن عصره لم يخلُ من المكائد والمواجهات العنيفة بين البوذية والإسلام ، فقد اجتهد اليهود خلال

---

(١) شيرين بياني : دين ودولت ، جلد اول ، ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهء محمود مير آفتاب، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٣) وليم مارسدن : رحلات ماركوپولو ، الجزء الأول، ترجمة عبدالعزيز جاويد، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٥، ص ٤٨ .

فترة وزارة الأمير «أحمد البناكتي» أن يزيدوا من قدرتهم ويضعفوا أمر المسلمين ، فكانوا يبحثون عن ذريعة لإيصالها إلى «آباقا» - الذى كان ولياً للعهد في ذلك الوقت - وأبلغوه بنص الآية الكريمة التى تقول : ﴿ اقتلوا المشركين كافة ﴾ (١) ، فأرسل آباقا إلى «قوبيلاى» يخبره بهذا الأمر .

ولما كان المسيحيون فى عهد «القاآن» يتعصبون تعصبا شديداً ضد المسلمين، فإنهم رأوا فى رسالة «آباقا» ضالتهم ، وأخذوا يضخمون الأمر ، ويوهمون «قوبيلاى» أن هناك خطراً جسيما يهدد الدولة من جراء هذه الآية.

«فطلب القا آن تلك الرسالة ، ثم استدعى العلماء ، وسأل واحداً من كبرائهم، وهو بهاء الدين البهائى قائلاً : «أتوجد هذه الآية فى قرآنكم أم لا؟ ! ...»

فأجاب : «بلى ! .. توجد» - قال : «أتسمعون قرآن الله؟ ! ..» قال : «بلى» فقال : «إذا كان الله قد قال : اقتلوا الكفار، فلماذا لاتقتلونهم؟ ! ...» أجاب : «إن الوقت لم يحن بعد ، وليست لنا القدرة على ذلك» . فغضب القاآن، وقال : «ولكن البارئ مكننى من ذلك». ثم أمر بقتله . ولكن منعه من تنفيذ ذلك ، الأمير أحمدالوزير ، والقاضى بهاء

---

(١) صحة هذه الآية : ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ سورة التوبة ، آية «٥» ، وهناك آية أخرى تقول : ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ نفس السورة ، آية «٣٦» .

الدين الذى كان له أيضا مرتبة الوزارة ، والأمير داشمن متذرعين بقولهم : «لنسأل الآخرين أيضاً» .

فاستدعوا مولانا حميد الدين سابق السمرقندى الذى كان قاضياً . فوجه إليه القاآن نفس الأسئلة ، فأجاب « نعم ! ... توجد هذه الآية » . فقال : القاآن : «لماذا لاتقتلون المشركين ؟! ...» أجاب : «لقد أمر الله تعالى بقتل المشركين، ولو أذن لى القاآن، لقلت له : من هو المشرك» . فقال القاآن : «تكلم» . فقال : «أنت لست مشركاً لأنك تكتب اسم الله الأعظم فى مقدمة الفرمان . أما المشرك فهو من لايعرف الله، ويجعل له شريكا، وينكر وجود الله العظيم » . فأعجب القا آن أيما إعجاب بتلك الإجابة، وتمكن ذلك الكلام من قلبه ، وكرم مولانا حميد الدين ، وشمله بعطفه . وبفضل كلامه نجا الآخرون مما كان ينتظرهم » . (١)

(١) قاآن مكتوب را بخواست ، ودا نشمندان را طلب داشت ، واز بزرگ ايشان بهاء الدين بهائى پرسيد كه : اين آيت در قرآن شما هست يانه؟ » .
گفت : «هست» . گفت : «قرآن خدائى شنويد؟ » گفت : «بلى» گفت : «چون خدا فرموده كه كافران را بكشيد ، چرا نمى كشيد؟» جواب داد كه : «هنوز وقت در نيامده است ومارا دست نميدهد» . قاآن درخشم شد ، وفرمود كه : «مرا بارى دست مى دهد» وفرمان دادتا اورا بياسا رسانند . أمير أحمد وزير وقاضى بهاء الدين كه اونيز مرتبهٔ وزارت داشت وامير داشمن ببهانهٔ آنك : «از ديگران نيز بپرسيم»، مانع شدند. مولانا حميد الدين سابق سمرقندى را كه قاضى بود، طلب داشتند وازو همين سخن پرسيد، او گفت : «اين آيت هست» . قاآن فرمود كه : «چرا نميكشيد؟» گفت : «خداى تعالى فرموده است كه مشركان را بكشيد. اگر قاآن دستورى فرمايد بگويم كه =

لكن المتآمرين أحزنهم أن يفلت المسلمون من دسائسهم، فوجهوا كيدهم هذه المرة إلى الأمير «أحمد البناكتي» (١) ، أملاً في إبعاده من

= مشرك كيست بگويم». فرمود : «بگو» گفت : «توچون نام خداى بزرگ برسر يرليغ مى نويسى، مشرك نباشى. مشرك كسى باشد كه خداى را نداند، واورا انباز گويد ومنكر خداى بزرگ بود». قا آن را بغايت خوش آمد وآن سخن در دل او جاى گيرشد ومولانا حميد الدين را تشريف داد ونواخت فرمود ، وديگران بسخن او خلاص يافتند .

رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد اول ، ص ٦٥٥ . وكذلك :
جامع التواريخ (من اوكتاى قاآن إلى تيمور قاآن) ترجمة د. فؤاد الصياد، ص٢٩٠-٢٩١.

(١) كان أحمد البناكتي وزيراً لقوبلا قا آن بن تولى خان بن چنگيز خان، وكان يبدى اهتماما كبيراً بتقوية المسلمين ... فقد وضع قوبلا قاآن زمام أمور الوزارة في قبضة أربعة أشخاص أكفاء ، ولم يكن أى منهم يتفق مع آخر في المذهب ، حتى لايتم الاتفاق فيما بينهم - بسبب اختلاف - العقيدة ، ويكون في ذلك ضمان لصون أموال الدولة وحراستها من الخيانة ، وكان من بين الوزراء الأربعة الأمير أحمد البناكتي وآخر من أهل الخطا ، ونظراً لامتياز الأمير أحمد وتفوقه على سائر الوزراء كان القاآن ينظر إليه نظرة إعزاز وتقدير ، ولم يكن يتجاوز حدود رأيه الصائب في الفصل في أمور الدولة ، فحقد عليه الوزير الخطائى ، وأخذ يتحين الفرصة للعمل على عزله ، وفي الوقت الذى ذهب فيه قاآن من عاصمة ملكه إلى المصيف وترك الوزراء يديرون أمور الدولة في العاصمة اتفق الوزير الخطائى مع أتباعه على القضاء على الأمير أحمد في الخفاء وعلم رجال الأمير أحمد بحقيقة الأمر، وأخبروه بذلك ، فأخذ الأمير أحمد في نفس الليلة أربعين جواداً - أسرع من الريح - من اسطبل قاآن ، وخرج بها من المدينة، وحينما وصل إلى مكان يقف عنده حراس الطريق وكان لابد من عبور أحد الجسور - منعوه من العبور ، وأخذوا يتحاربون معه ، وأثناء هذا الجدال كان =

منصب الوزارة ، وكانت دسائسهم تبوء بالفشل ، وظل الأمير أحمد يشغل هذا المنصب طوال خمسة وعشرين عاماً ، إلى أن تمكنوا في نهاية المطاف من الخلاص منه بقتله .

وكان «قوبيلاى» شديد التأثر لما حدث له، فأمر بصرف مبلغ كبير من المال لأسرته، لمراسم دفنه .

ولم يتوقف هؤلاء المتآمرون عن دسائسهم للأمير أحمد حتى بعد موته ، فأخبروا «القاآن» أن الأمير أحمد كان قد اشترى جوهرة كبيرة ، لايوجد عند السلطان ما يماثلها، ولم يقم بعرضها على «القاآن» ، وأن هذه الجوهرة لاتزال عند زوجته «اينجو سلطان» ، فاشتعلت نيران غضب القاآن وأمر بالتأكد من صحة هذا الأمر . ولما ثبت له صحته ، سأل أعداء الوزير عما ينبغي فعله، فأشاروا عليه بإخراج جثمان الوزير من قبره ، وإلحاق الأذى والفضيحه به .

= الوزير الخطائي يجرى في أثر الأمير أحمد، فلحق به وأمسك بعنان جواده وقال له : لقد تركنا قاآن لإدارة شئون الديوان ، وأنت الآن إلى أين تذهب دون أخذ المشورة؟ فأجابه الأمير أحمد بقوله : إني ذاهب لملاقاة قاآن بناء على طلبه ، وفي تلك الأثناء كانت هناك جماعة من رجال قاآن قادمة من المعسكر إلى المدينة ، ووصلت إلى نفس الجسر ، فاستغاث بهم الأمير أحمد، وخلصته تلك الجماعة من مخالب الوزير الخطائي....وبعد مرور تسع سنوات على هذه الحال، اشتعلت نيران حسد الوزير مرة أخرى ، واتفق مع أحد متزهدى الخطا على قتل الأمير أحمد ، وانتهت حياته هو أيضاً في تلك الواقعة.
غياث الدين خواندمير : دستور الوزراء ، ترجمة د. حربى أمين سليمان، ص ٣٣٤-٣٣٥.

فأمر «القاآن» فربطوا رجل الوزير بحبل ، وعُلّق جثمانه عند مفترق سوق مدينة «بكين» الكبير ، وقتلوا زوجته « اينجو سلطان» بصفتها شريكةً له في جرمه، وسلخوا جلد ابنيه الكبيرين ، الأمير حسن والأمير حسين . (١)

وازدادت أحوال المسلمين سوءاً بعد هذه الواقعة ، خاصةً بعد أن قام «قوبيلاى» باختيار « سنگه» للوزارة ، فقد كان هذا الرجل «اويغوريا» يكن الحقد والضغينة للمسلمين .

وتمادى رجال البلاط من المسيحيين والبوذيين في الكيد للمسلمين ، فذات يوم وصل إلى بلاط «قوبيلاى» مجموعة من التجار المسلمين وعرضوا عليه بضاعتهم ، وكان من بينها بازى أبيض المخلبين ، أحمر المنقار، من النوع الذى لايوجد ببلاط الصين، فسُرّ «قوبيلاى» من هؤلاء التجار ودعاهم إلى طعامه، وأخذ يلاطفهم ويقدم لهم من طعامه الخاص ، لكنهم أحجموا عن تناول الطعام ، وعندما سألهم عن السبب ، أجابوه بقولهم : «إن هذا الطعام (اللحم) قد ذبح بطريقة غير شرعية» . وكان يحضر هذا المجلس شخصيات مسيحية وبوذية ، فشرعوا في الوقيعة وإثارة الفتنة، وترجموا «للقاآن» سبب امتناع هؤلاء التجار عن تناول الطعام بقولهم : «إن هؤلاء الجماعة يقولون إن اللحم الذى يقدمه الملك هو فى حكم ديننا بمثابة الميتة»، فأثاروا غضب السلطان من جديد ، فأصدر - بعد تلك الجلسة - أمراً ينص

---

(١) خواندمير : حبيب السير، جلد سوم، ص ٦٨-٦٩.

على : «أن كل مسلم يذبح الحيوان بالطريقة الإسلامية فإنه سيذبح هو وزوجته وأطفاله بنفس الطريقة التي ذبح بها الحيوان» ، كما أمر بمنع جميع الفرائض الدينية ». (١)

ثم انحدر أمر المسلمين إلى المزيد من السوء ، بحيث لم يعد بوسع أحدهم أن يواصل شعائره الإسلامية ، ووجه الأعداء كثيرا من اللطمات للمسلمين، فاطلقوا يدهم بتصفية الشخصيات الكبيرة ، التى كانت تحتل مناصب دينية هامة ، ومن بينهم الإمام برهان الدين البخارى» - وهو من تلاميذ شيخ الإسلام «سيف الدين الباخرزى»- وكان إماماً للجماعة فى بكين، فحذروا «القاآن» من خطورته ، فقام بإبعاده إلى جنوب الصين ، حيث مات فى المنفى .

وكان رجال الدين المسيحى يستغلون مسألة الذبح الإسلامى للكيد بالمسلمين، وتسببوا فى مقتل الكثيرين منهم بهذه الحجة .

ونظراً لإحجام التجار المسلمين عن الذهاب إلى بلاط الصين، فقد أصاب التجارة شئ من الركود ، إلى أن سنحت الفرصة لهؤلاء التجار ليشرحوا «للقاآن» أن عدم قدومهم إلى بلاده يرجع إلى منع المسلمين من الذبح بطريقتهم الشرعية، وإلى حظر أداء الشعائر الدينية . فأصدر «القاآن» أمراً بإلغاء منشوراته السابقة وازدهر أمر المسلمين من جديد . (٢)

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ (تاريخ خلفاء چنگيز خان من اوگتاى إلى تيمور قاآن) ، ترجمة د. فؤاد الصياد ، ص ٢٨٩ .

(٢) رشيد الدين فضل الله همدانى : جامع التواريخ ، جلد اول ، تهران ، ١٣٣٨ هـ.ش، ص ٦٥٤-٦٥٥ .

واستمر الصراع بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى في بلاط «قوبيلاى»، إلى أن سنحت الفرصة أمام المسلمين للانتقام من «سنگه»، الذى كان يناصبهم العداء . يقول صاحب «حبيب السير» ما ترجمته :

«ذات يوم طلب «قوبيلاى» قاآن» منه (يقصد من سنگه) عدة حبات من اللؤلؤ فأجاب : «ليس عندى»، وكان بالمجلس أحد المسلمين من أهل دامغان يدعي مباركشاه - كان مقرباً للغاية من قوبيلاى - فأسرّ له أن : «عند «سنگه» مايقرب من حمل حمار من الجواهر وأدوات الذهب في بيته فلو أن القاآن يشغله بالكلام، فإني أذهب إلى بيته في الحال وأحضر تلك الأشياء النفيسة وأضعها على أعتاب عرشكم العالى».

وشرع «القاآن» في الحديث مع «سنگه» ، وذهب مباركشاه إلى بيته في التوّ، وأحضر صندوقين مليئين بالجواهر النادرة المرصعة إلى البلاط، وعوقب «سنگه» في نفس اللحظة ، وتم إعدامه ». (١)

---

(١) «روزى «قُبُلا قا آن» از وى چند دانه مرواريد طلبيد ، جواب داد كه : «ندارم»، ومسلمان دامغانى كه مباركشاه نام داشت ، ونزد قا آن بغايت مقرب بود آهسته بعرض رسانيد كه : «"سنگه» نزديك بيك خروار جواهر وطلا آلات در خانه دارد ، اگر پاشاه اورا بسخن مشغول گرداند، بنده همين لحظه آن اشياء نفيسه را بپايهء سرير اعلى آورم». وقا آن باسنگه آغاز تكلم كرد ، ومباركشاه فى الحال بخانهء او رفت ، ودو صندوق مملو از جواهرِ مرصعات نادر ببارگاهِ شاه آورد ، لاجرم همان لحظه سنگه مواخذ گشت بياسد رسيد .
خواندمير : حبيب السير ، جلد سوم ، ص ٦٩ .

وبعد أن ألقيت الضوء على كبار القآنات - في قراقورم والصين - ونظرتهم إلى أصحاب الديانات المختلفة ، أنتقل الآن للحديث عن نظرة حكام الإيلخانيين إلي هذه الديانات .

هولاكـــو :

عندما أرسل «منكو» ابن أخيه الأصغر «هولاكو» إلى إيران ، أوصاه ألا يقدم على عمل دون مشورة زوجته «دوقوز خاتون». (١)

وكانت دوقوز خاتون مسيحية ، ذات تأثير كبير عليه ، ومن ثم فقد خصّ هولاكو المسيحيين بعناية ، رعاية لخاطرها . (٢)

وكان من بين جنود المغول - الذين توجهوا لفتح بغداد - مسيحيون نسطوريون، أمثال «كيتبوقا» فعملوا على ألا يلحقوا الأذى بالمسيحيين أثناء غاراتهم على بغداد وقيامهم بقتل من كانوا فيها .

وقد طلبت «دوقوز خاتون» من زوجها هولاكو أن يحافظ قدر ما يستطيع على أرواح المسيحيين وعدم التعرض لممتلكاتهم وأموالهم . ومن هنا أمر «ماكيخا» - رئيس الفرقة النسطورية المسيحيين في بغداد أن

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمزاني : جامع التواريخ (تاريخ المغول، المجلد الثاني، الجزء الأول) ترجمة د. فؤاد الصياد، وآخرون ، ص ٢٣٧.

(٢) عباس إقبال : تاريخ مغول واوايل ايام تيموري ، جلد اول، تهران ، ١٣٧٦هـ.ش، ص ١٩٨.

يجتمعوا فى إحدى الكنائس، لأن المغول لن يتعرضوا لها ، ولا لمن لجأوا إليها . كما أمر هولاكو أن يقيم «ماكيخا» فى أحد قصور الخليفة ، ولقد غمرت السعادة جميع المسيحيين فى المشرق بسقوط بغداد واعتبروا ذلك بمثابة نصر لهم .

فقد كان هؤلاء المغول - فى نظر النسطوريين واليعاقبة والأرمن - بمثابة «المنتقمين»، الذين أرسلهم الرب للانتقام من المسلمين ، فشاءت إرادته أن يُرسل هؤلاء المغول من أعماق صحراء « جوبى» (١) ليثأروا للمسيحيين من المسلمين.

وظلت «دوقوز خاتون» تحمى المسيحيين طوال حياتها، كما كان «هولاكو» يبالغ فى إعزازهم واحترامهم حرصاً على رضاها ، ومن ثم فكانت الكنائس فى زيادة مضطردة ، بل إنهم شيدوا لها كنيسة أمام مخيمها فكانت تسمع دقات ناقوسها كل يوم .

وكان رجال الدين المسيحى يقبلون على إيران من كل حدب وصوب، ويقيمون فى راحة تامة ، وكانوا يعودون إلى أوطانهم وقتما يشاءون ، محملين بالهدايا والتحف النفيسة .

---

(١) تقع صحراء جوبى بين شمال منغوليا حيث تكثر الغابات عند بحيرة بايكال.
الباز العرينى (دكتور) : المغول ، ص٧ .

وقد أعفى هولاكو المسيحيين من الركوع أو السجود أمامه ، كما هو مُتبع عند المغول، عندما أدرك أنهم لايركعون إلا لله . (١)

ولم يعتق هولاكو المسيحية طوال عمره ، بل ظل متمسكاً بديانته البوذية. (٢)

ومن ثم فقد أمر ببناء معابد للأصنام في مدينة «خوى» (٣) ، ورغم هذا فإنه كان يشارك المسيحيين رسوم عبادتهم في الكنائس التي كانت تشيد بأمرٍ من زوجته «دوقوز خاتون» . (٤)

وقد طلب هولاكو من الرهبان المسيحيين الدعاء له، ومباركة شرابه.(٥)

ولم يتوقف هولاكو عند حد مُمالأة المسيحيين في الداخل فحسب ، بل رغب في تعميق التعاون بينه وبين القوى المسيحية الأوروبية كذلك،

---

(١) رنه گرسه : امپراطوری صحرا نوردان ، ترجمهٔ عبدالحسين ميكده ، تهران ، ١٣٦٨هـ.ش، ص ٥٨٤.

(٢) رنه گُرسه : امپراطوری صحرا نوردان ، ص ٥٨١-٥٨٤.

(٣) رشيد الدين فضل الله همذاني : جامع التواريخ (از آغاز سلطنت هولاكو تا پايان دورهٔ غازان خان) ، جلد دوم ، بدون تاريخ ،ص ٢٢٠ .

(٤) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ (تاريخ هولاكو) ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، ترجمة د. الصياد وآخرون ، القاهرة . ١٩٦٠م ،ص ٢٢٠ .

(٥) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهٔ محمود ميرآفتاب ، ص ٢١٤-٢١٥.

أملا فى مساندته ضد الدولة المملوكية من ناحية ، وضد القبيلة الذهبية من ناحية أخرى .

ومن ثم فلم يكن غريباً أن يتم تبادل الرسائل والوفود بين هولاكو والقوى المسيحية الأوربية ، مبدياً استعداده لاعتناق المسيحية إذا تحالفوا معه ضد المسلمين .

كما طلب «هولاكو» من «ميخائيل بوليولوغوس» امبراطور الروم الشرقى (٦٥٨-٦٨١هـ) أن يزوجه بإحدى بناته ، أملاً فى الوقوف إلى جانبه ، «فأرسل إليه إبنته مريم مصحوبة ببضعة أشخاص وشئ من الهدايا. فلما وصلوا إلى قيسارية من بلاد الأناضول ، مات هولاكو ، وإذ صعبت عليهم العودة إلى القسطنطينية تابعوا سيرهم إلى إيران» . (١)

آباقـــا :

وخلف آباقا أباه هولاكـو ، ولم يكن هو الآخـر أقل تعاطفاً مع المسيحيين من أبيه . ونظراً لأنه كان يدرك الدافع الحقيقى من رغبة والده فى الزواج من ابنة امبراطور الروم الشرقى ، والتى حالت وفاة أبيه دون إتمامها ،

---

(١) حسن الأمين : المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، بيروت ، ١٩٩٣م، ص ٢١٥.

فقد عقد «آباقا» عليها وتزوجها، وعرفت بعد ذلك باسم «دسپينا» (١) ويقال إنه قد عُمّد قبل الزواج منها وتنَصر . (٢)

وقد اختلفت الآراء حول ديانة «آباقا» ، حيث يرى «ذبيح الله صفا» أنه كان بوذيا كأبيه ، (٣) علي حين يذهب الدكتور العريني أنه كان شامانيا. (٤)

---

(١) كان هولاكو خان والد آباقا يعتبر التحالف مع البيزنطيين كبير الأهمية، ويرى فيه وسيلة لإحكام قبضته على الترك بالأناضول والسيطرة عليهم ، وعونا له في حروبه ضد المماليك المسلمين .
وفي سبيل توطيد العلاقات بين الطرفين ، دارت المفاوضات من أجل اختيار فتاة من الأسرة الأمبراطورية بالقسطنطينية يتزوج منها هولاكو خان ، ويضمها إلى قائمة زوجاته العديدات ، ولما اختار الامبراطور (ميخائيل پاليولوجوس) ابنته غيّر الشرعية (ماريا) لتحظى بهذا الشرف رافقها إلى تبريز البطريرك (بوثيموس) الذى كان قد لجأ إلى القسطنطينية ، ومعه قدر من الهدايا .
وعندما وصلت ماريا إلى بلاط الإيلخان ، ألفت هولاكو خان قد مات، فبادرت على الفور بالزواج من آباقا خان ، الذى لم يلبث أن أظهر لها عميق احترامه .
أما رعاياه الذين اشتهرت عندهم باسم (دسپينا خاتون) ، فإنهم أكبروها وأجلوها لما اشتهرت به من حب الخير والحكمة . كذلك وجد المسيحيون في الأميرة (ماريا) حاميا جديدا لهم بعد أن فقدوا دوقوز خاتون .
فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي ، ص ٥٥ ، كذلك :
رنه گروسه : امپراطورى صحرا نوردان ، ترجمهٔ عبدالحسين ميكده ، ص٦٠٠.
(٢) ادوارد براون : از سعدى تاجامى ، ترجمهٔ على اصغر حكمت ، تهران ، ١٣٢٧هـ.ش، ص ٢١ .
(٣) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، ص١١٠.
(٤) السيد الباز العريني (دكتور) : المغول ، بيروت ، ١٩٦٧، ص ٢٩٢.

وربما كان السبب فى هذا الاختلاف راجعا إلى مسلك التسامح الذى سلكه هذا الخان إزاء الأديان ، وإن كان تعاطفه مع المسيحية لايحتاج إلى دليل ، فقد كان يشارك المسيحيين أعيادهم الدينية فى همدان ، كما كانت زوجته تتحرك ومعها كنيسة متنقلة للعبادة ، وأمرت بإحضار نقاشين من القسطنطينية لتزيين الكنيسة اليونانية فى تبريز .

وقد ضربت فى عهده سكة كتب عليها : «بسم الأب والابن والروح القدس» ونقش عليها علامة الصليب . (١)

ولم يتوقف «آباقا» بدوره عن الاتصال بكل من بيزنطه وأوربا لإجراء تحالف ضد المماليك، ولكن الظروف حالت دون ذلك . (٢)

أحمد تگودار :

وقد تم تعميده فى صباه ، فعُمد باسم «نيقولا» ، ولكنه سرعان ما اعتنق الإسلام وسمى باسم «أحمد» ، فكان لهذا الأمر وقع طيب على نفوس المسلمين ، فقد كان أول من أسلم من الإيلخانيين فى إيران . (٣)

---

(١) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهء محمد مير آفتاب ، ص ٢١٩-٢٢٠.

(2) Michael Prawdin : Translated by Eden and Cesar Paul. The Mongol Empire: Its Rise and Legacy. New York, 1961, P. 370-371.

(٣) يذكر « رضا زاده شفق » أن غازان خان كان أول مغولى اعتنق الإسلام فى إيران . وهذا غير صحيح ، فقد سبقه أحمد تگودار إلى اعتناق الإسلام.
رضا زاده شفق (دكتور) : تاريخ الأدب فى إيران ، ترجمة : دكتور محمد موسى هنداوى ، ص ١٢٩ ، القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م .

وكتب رسالة إلى علماء بغداد يؤكد لهم أنه صار مدافعاً عن الإسلام، وعن شريعة الرسول ﷺ، ولقب نفسه بلقب «حامي الدين الإسلامي»، و«شيخ الشريعة المحمدية» . (١)

ولم يعد للمسيحيين نفوذ في بلاطه ، فقد أمر بتحويل الكنائس إلى مساجد، كما أمر بعدم دفع مستحقات الأطباء المسيحيين واليهود من دخل أوقاف المسلمين. (٢)

وأصدر «تكوادر» عدة أوامر ذات صبغة إسلامية ، من بينها : منع شرب الخمر، وتجهيز قوافل الحج ، وتشييد المساجد ، كما أمر أن يرتدى أهل الذمة ملابس خاصة تميزهم عن المسلمين وتؤخذ الجزية منهم . (٣)

وقد اشتد حنق رجال الدين البوذيين والمسيحيين علي «تكودار» ، وخاصة أنه قام بتعيين «كمال الدين عبدالرحمن الرافعي» شيخاً للإسلام في إيران والعراق ووضع أوقاف الدولة تحت تصرفه طول مدة حكمه القصيرة. (٤)

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، ص ١١٠-١١١.
(٢) عبد الله بن فضل الله الشيرازى : تاريخ وصاف (تجزية الأمصار وتزجية الأعصار) ، بمبى، ١٢٦٩هـ، ص ١١٠ . كذلك :
خواندمير : حبيب السير ، جلد سوم ، ص ١١٩.
(٣) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد دوم ، ص ٤١٣.
(٤) عباس اقبال : تاريخ مغول واوايل ايام تيمورى، جلد اول ، ص ٢٢٤.

ورغم أن فترة حكمه لم تدم أكثر من عامين، إلا أنه أقام علاقات طيبة مع سـلاطين المماليك. (١) فقد أرسل إليهم يطلب سلوك سبيل السلم والوحدة، فانتهز أعداؤه هذه الفرصة ، وشكوا إلى «قوبيلاى قاآن» - عمّ تگودار ، والذى يعتبره الإيلخانيون رئيساً لهم - فتضايق من سلوك تگودار بشدة ، وصمّم على اتخاذ إجراء ضده .

وعندما أيقن «تگودار» أن «مارى يهب الله» ومعاونه « ربان صوما» هما المسئولان المعتمدان عن تقديم الشكوى إلى «قوبيلاى» ، زجّ بهما فى السجن ، ولولا وساطة الملكة الأم - «قوتوى خاتون» - ما أخرجهما من السجن . (٢)

ولم تكن سياسة المهادنة التى سلكها «أحمد تگودار» تجاه مماليك مصر سبباً فى إغضاب الإيلخانيين والمسيحيين فحسب ، بل إنها أدت إلى فقد عرشه وحياته كذلك. (٣)

فقد كانت تلك المراسلات التى دارت بينه وبين سلاطين مصر ، وتجاهل رأى القوريلتاى بضرورة شن حملة على مصر ، بمثابة ذريعة أخرى فى يد خصومه، فثار المعارضون عليه بزعامة «أرغون» ، و« قونغرتاى» -

---

(١) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهء محمود مير آفتاب، ص ٢٢٢.
(٢) رنه گرسه : امپراطورى صحرا نوردان ، ترجمهء عبدالحسين ميكده، ص ٦٠٦.
(٣) سيف الدين قائم مقامى : تاريخ روابط معنوى وسياسى ايران وفرانسه، جلد اول ، تهران ، ١٣٤١هـ.ش ، ص ١٢٩ .

شقيق تگودار - ونجحوا أخيراً فى قتله . (١)

أرغــون :

وبعد مقتل «أحمد تگودار» خلفه «ارغون خان» ، الذى كان شديد التعصب للمسيحيين واليهود . حيث أسند معظم الأعمال الهامة فى الدولة إليهم ، فأسند وزارة المالية إلى «سعد الدولة» اليهودى (٢)، وأصدر أوامره بأن يعيدوا إصلاح الكنائس وتشييدها من جديد . (٣)

وكانت إحدى زوجات «أرغون» وتدعى «أورروك خاتون» من قبيلة الكرايت وهى ابنة أخ «دوقوز خاتون» ، وكانت هى الأخرى مسيحية نسطورية ، ومن ثم فقد أطلقت على أحد أبنائها اسم «نيقولا» ، تيمناً بالبابا «نيقولا الرابع» ، وقامت بتعميده، وهو نفس الابن الذى اعتلى عرش إيران فيما بعد ، وعرف باسم «اولجايتو». (٤) ومن هنا فليس عجيبا أن نرى نفوذ المسيحيين فى إيران يزداد فى عهد «أرغون».

ولم يتوقف تعصب «أرغون» للمسيحيين واليهود فحسب ، بل امتد ليشمل البوذيين كذلك . فقد كان كهنة هذه الديانة يحيطون به ، وكان

---

(١) عباس اقبال : تاريخ مغول واوايل ايام تيمورى ، جلد اول ، ص ٢٣٠.
(٢) رنه گرسه : امپراطورى صحرا نوردان ، ترجمهء عبدالحسين ميكده، ص ٦٠٨.
(٣) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، ص ١١٥.
(٤) رنه گرسه : امپراطورى صحرا نوردان ، ترجمهء عبدالحسين ميكده، ص ٦٠٩.

البوذيون يتوافدون على إيران من شتى أنحاء الأرض، وقاموا ببناء معابد للأصنام فى أماكن متفرقة (١) من إيران. (٢)

وقد أتاح سقوط الحكومة الإسلامية ليهود إيران الفرصة للانتقام، وتهيأت الفرصة أمامهم، فشقوا طريقهم إلى بلاط ملوك المغول وأمرائهم، وبصفة خاصة من كان يتقن منهم مهنة الطب، ومن بين هؤلاء «سعد الدولة»، الذى أخذ يتقرب - فى البداية - إلي «أرغون» حتى فوّض إليه أمر مدينة بغداد، فكان يجلب إلى الخان أموالا طائلة، عن طريق إيذاء الناس وظلمهم، فزاده هذا الأمر قُرباً إلى الخان، واستغل «سعد الدولة» هذا الوضع فزاد من نفوذ أهله وأقاربه، ومن هم على ملّته من اليهود فى بغداد، حتى صار لايدانيهم أحد فى منزلتهم.

وسرعان ما تم استدعاء «سعد الدولة» من بغداد إلى العاصمة بمساعدة الأطباء اليهود، ليكون فى خدمة «أرغون». ولم يمر وقت طويل حتى تسلّم

---

(١) أقام غازان - قبل اعتناقه الإسلام - معابد عالية للأصنام فى خبوشان بخراسان- وسمى (معبد خبوشان).
- رشيدالدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، ص١٢٢.
- وكذلك شيرين بياني: دين ودولت دار ايران، جلد دوم، ص ٤٤٢.
وقد بنى هولاكو بيوتا للأصنام فى مدينة خوى
- عباس اقبال: تاريخ مغول واوايل ايام تيمورى، جلد اول، ص ١٩٨.
(٢) شيرين بياني: دين ودولت، جلد دوم، ص ٤٢١.

الوزارة ، وأصبح يدير الأمور، فصار أثيراً عند «أرغون» ، حتى أنه لم يكن يجالس أحداً غيره .

وراح «سعدالدولة» يُعين إخوته وبنى أعمامه وأقاربه ، وبنى جلدته من اليهود في الحكومة وفي أرجاء الممالك المختلفة ، بعيداً عن خراسان التى كانت في يد «غازان» ، وعن الروم التى كانت في يد «گيخاتو» .

وتحالف «سعد الدولة» مع «أرغون» - الذى لم يكن يُضمر للمسلمين خيراً - للإطاحة بحكام المسلمين وعمالهم . ونظراً للنفوذ الذى كان يتمتع به «سعدالدولة» ، فقد علا شأن اليهود ، وزاد نفوذهم ، وأخذوا يستخفون بالمسلمين. (١)

وحاول «سعد الدولة» أن يقنع «أرغون» أن النبوة قد انتقلت إليه بالإرث من «چنگيز خان» وطالبه بدقّ عنق كل من يخالف ديانته ، ويرفض الدخول في ملّته. ولما كان «أرغون» يكره المسلمين ، فقد أمر بإبعادهم عن

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، ص ١١٦ .

عن حالة اليهود عندما تقلد سعد الدولة منصب الوزارة :

يذكر صاحب تاريخ وصاف الأبيات التالية ، والتى قال إنها من نظم أحد فضلاء بغداد :

يهود هذا الزمان قد بلغوا .·. مرتبةً لاينالها فلك

الملك فيهم والمال عندهم .·. ومنهم المستشار والملك

يامعشر الناس قد نصحت لكم .·. تهودوا قد تهود الفلك

فانتظروا صيحة العذاب لهم .·. فعن قليل تراهم هلكوا

تاريخ وصاف ، ص ٢٣٨ .

معسكره ، ومنعهم من التدخل فى أمور الدولة .

وتمادى «سعد الدولة» فى تنفيذ مخططه فى القضاء على الإسلام، فقرر أن يجعل الكعبة بيتاً للأصنام ، ويحول المسلمين من أناسٍ موحدين يعبدون إلهاً واحداً ، إلى عبدة أوثان . (١)

أما «أرغون» فقد راسل البابا وملوك أوروبا، راغباً فى التودد إلى المسيحيين، فكتب إلى البابا «هنريوس الرابع» ، والبابا «نقولا الرابع» وأطلعهما على عزمه خدمة العالم المسيحى، فشكراه على مساعيه، وشجعاه على المضى فى عمله، وأبلغا رسائله إلى ملك انجلترا «إدوارد الأول»، وملك فرنسا «فليب لوبل» ، ولكن هذه المكاتبات لم تنته إلى تنفيذ عملى للخطة التى أرادها البابا و«أرغون»، وهى تسيير حملة عسكرية لمحاربة المسلمين ، وكل ما بلغت إليه هذه المكاتبات هو توثيق الروابط بين بلاط الإيلخان والبابوات وملوك أوروبا . وكانت نتيجة ذلك ازدياد نفوذ رجال الدين النصارى فى الممالك الإيلخانية ، ورواج الدين المسيحى وآدابه فى الشرق مرة أخرى . (٢)

كما باءت المؤمرات التى حاكها «سعد الدولة» للإسلام والمسلمين بالفشل ، فقد مات «أرغون» بعد معاناته من المرض ، فانتهز الأمراء فرصة مرضه، وقتلوا «سعد الدولة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م. (٣)

---

(١) أديب شرف الدين عبدالله بن فضل الله شيرازى وصاف الحضرة : تاريخ وصاف، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٢) حسن الأمين : المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، بيروت ، ١٩٨٣م، ص ٢٦٨.

(٣) عباس اقبال : تاريخ مغول واوايل ايام تيمورى ، ص, ٢٤٣

وكان خبر قتل سعد الدولة سبباً في إدخال البهجة على قلوب المسلمين ، ولما شاع أمر قتل اليهود ، أقدم الناس على قتلهم بأبشع وجه في جميع المدن، واستولوا على أمواهم . (١)

ونظم الإمام زين الدين على بن صاعد الدمشقي قصدة يصف فيها نكبة اليهود على نفس البحر والقافية للقصيدة السابقة ، يقول فيها :

نحمد من دار باسمه الفلكُ .·. هذه اليهود القرود قد هلكوا

وقارن النحس سعد دولتهم .·. وافتضحوا في البلاد وانتهكوا

وشتت الله شمل ملكهم .·. وبالحسام الصقيل قد سبكوا

كم حكموا في البلاد لاحكموا .·. وارتكبوا الموبقات وانتهكوا

أبكاهم الله عاجلا أسفا .·. من بعد ما في زمانهم ضحكوا(٢)

گيخاتو :

وهو الابن الثاني «لآباقاخان» ، وقد لعبت «أورزغ خاتون» - زوجة «أورغون» وحفيدة «دوقوز خان» - دورا هاماً في ارتقائه العرش - ومن هنا لم يكن غريباً على «گيخاتو» أن يتعاطف مع المسيحيين ، فأخذ يشاركهم

---

(١) حبيب لوى : تاريخ يهود ايران ، جلد سوم ، ص ٩١ ، تهران ١٣٣٩ هـ.ش.
وكذلك :
فاطمة نبهان (دكتورة) : يهود إيران في العصر الإيلخاني من خلال كتاب تاريخ يهود إيران ، مقال منشور بحولية كلية الآداب جامعة عين شمس (المجلد السادس والعشرون) لسنة ١٩٩٨م. (ص ١٢١) .

(٢) تاريخ وصاف ، جلد دوم، ص ٢٤٧.

في مناسباتهم المختلفة، مثل مراسم العشاء الرباني في عام ١٢٩١م في الكنيسة التي شيدتها «دوقوز خاتون» كما التقى في صيف السنة التالية مع «جبلها الثالث» في قصره بمراغه ، وقدم إليه هدايا نفيسه ، وأجاز له أن يبني كنائس جديدة . (١)

وقد سلك گيخاتو سبيل المهادنة مع بقية الأديان الأخرى، فنراه - على النقيض من سلفه «أرغون» - يسند منصب الوزارة في عهده إلى واحد من المسلمين هو «أحمد الخالدى الزنجاني»، ولقب بلقب « صدرجهان» أي «صدر العالم»(٢) ومنحه سلطات واسعة .(٣)

---

(١) بارتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهء محمود مير آفتاب، ص ٢٢٣ .

(٢) صدر الدين الزنجاني : هو أحمد الخالدى الزنجاني ، كان في الأصل من سلالة قضاة زنجان ، وقد كان شريكا لمجد الملك اليزدى في تدبير المؤامرات ضد أسرة الجوينيين، وقبل أن يصل إلى منصب الوزارة كان يتولى حكومة فارس والمهمات الأخرى .
وزر لگيخاتوخان (٦٩٠-٦٩٤هـ) ولقب بصدر جهان ، أى (صدر العالم) ، ومعنى هذا أن منصب الوزارة عاد إلى المسلمين بعد أن فقدوه طوال عهد سلفه أرغون .
وكان صدر الدين صاحب الاقتراح باستعمال أوراق النقد (الچاو) بدلا من التعامل بالذهب والفضة ، ونال منزلة رفيعة في عهد غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ) بعد مقتل (نوروز) ، ولكن صدر الدين قتل في نهاية الأمر في عهد هذا السلطان بسبب دسائسه ومؤامراته ، وذلك في يوم ٢١ من رجب سنة ٦٩٧هـ.
فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، ص ١٠٩-٢٠٩،٢١٠ . وكذلك :
عباس اقبال : تاريخ مفصل ايران ، جلد دوم ، ص ٥٠٤،٥٠٥ .

(٣) أديب شرف الدين عبدالله بن فضل الله شيرازى وصاف الحضرة : تاريخ وصاف، ص ٢٦٦ .

ولم تتوقف سياسته فى التسامح عند المسلمين والمسيحيين فحسب ، بل امتدت لتشمل بقية الأديان الأخرى كذلك ، فنراه يستدعى أئمة المسلمين وعلمائهم ، وأساقفة النصارى وأحبار اليهود ، ورهبان البوذية إلى فراشه أثناء مرضه للدعاء له. (١)

وقد أعفى علماء المسلمين وذرية الرسول ﷺ من دفع كافة الضرائب. (٢) وعندما استخدم «الچاو» (٣) - وهى العُملة الورقية التى

(١) محمد بن سيد برهان ادين خواندشاه خواندمير : روضة الصفا، جلد پنجم، تهران ، ١٣٣٩هـ.ش، ص ٣٦٦ .

(2) Henry, H. Howorth : History of the Mongols Part III : The Mongls of Persia , London, 1878, P, 362.

(٣) كان گيخاتو خان عاكفاً علي ملذاته ، منصرفاً إلى إشباع شهواته ، هذا بالإضافة إلى ما عرف عنه من كثرة البذل والسخاء .. وكان وزيره صدر الدين أحمد الخالدى الملقب بـ (صدر جهان) هو الآخر على شاكلته، يبذل الكثير ، ويسلك طريق الإفراط والبذخ حتي اضطر إلى الاستدانة، ... وعجزت الميزانية عن تبديد المال اللازم لسد نفقات كبار الأمراء ، واضطربت الأحوال المعيشية للجنود .

وعلى هذا ساءت الأحوال المالية إلى أقصى حد نتيجة لهذا الإسراف والبذخ وكان لابد من البحث عن علاج سريع لمعالجة هذه الأزمة المالية الخطيرة . وفى ذلك الوقت ظهر رجل اسمه «عز الدين مظفر بن محمد بن عميد» ، كان له اطلاع واسع على المعاملات المالية فى الصين وبلاد الخان الأعظم «قوبيلاى» ، وقد ظل هذا الرجل مدة ملازماً للوزير صدر جهان، وكان بمثابة مستشار له ، فقال للوزير - ذات يوم - : «إن الخزانة خالية الآن ، وإن الحاجة ماسة إلى المال لتسديد قيمة الحوالات وسائر النفقات ، كما أن الاستدانة بعد هذا ، أصبحت أمرا متعذراً . ونحن إذا اضطررنا إلى إعداد جيش فإننا لا محالة عاجزون عن ذلك . هذا من جهة ومن جهة أخرى لانستطيع أن نأخذ خراجا من الرعايا ، لأن ذلك =

صدرت فى عهده - كتب عليها « لا إه إلا الله محمد رسول الله » . (١)

بايـــدو :

وكان «بايدو» بدوره شديد العطف على المسيحيين ، حتى اعتبره كثير من المؤرخين مسيحيا ، فقد كان يعلق الصليب حول رقبته ، كما أجاز للمسيحيين بناء الكنائس ، وأن ترتفع أصوات النواقيس منها. (٢)

كما أخذ يتودد للمسلمين ، فأعفى الأوقاف الإسلامية من الضرائب ، ونصّب «جمال الدين الدستجردانى» (٣) وزيراً ، فاختار لقب الوزارة بدلا

= يكون داعيا إلى نفورهم ، ومؤديا إلى خراب البلاد ، والأفضل أن نتعامل - مثل مايجرى به العمل فى ممالك القا آن - بالعملة الورقية (الچاو) بدلا من التعامل بالذهب والفضة ، حتى تنفتح أبواب المعاملات ، ويعود المال إلى الخزانة » .
اديب شرف الدين عبدالله بن فضل الله شيرازى ، وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، جلد سوم ، ص ٢٧١-٢٧٢ . وكذلك :
فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى ، ص ٢١١-٢١٣ .

(١) أديب شرف الدين عبدالله بن فضل الله شيرازى : تاريخ وصاف ، ص ٢٧٢ .

(٢) رنه گرسه : امپراطورى صحرا نوردان ، ترجمهء عبدالحسين ميكده، ص ٦١٦.

(٣) اختار بايدوخان (جمادى الأولى ٦٩٤ - ذو القعدة ٦٩٤هـ) جمال الدين الدستجردانى وزيراً له ، فاختار لقب الوزارة بدلاً من لقب صاحب الديوان .
وقد شغل الدستجردانى هذا المنصب بدلاً من صدر الدين ، فكان هذا داعياً لأن يحقد عليه ويناصبه العداء ، وينضم إلى خصمه غازان ويعاونه فى القضاء عليه.
فلما اعتلى غازان عرش المغول ، عهد بمنصب الوزارة إلى صدر الدين ، ثم حدث أن اتهمه الأمير نوروز عند السلطان بأنه يتلاعب بأموال الدولة فأمر غازان بعزله، وتولية جمال الدين الدستجردانى، ثم مالبث أن اتهم صدرالدين بتدبير=

من لقب صاحب الديوان. (١)

ولما كان «بايدو» حريصا علي استرضاء المسلمين ، فإنه كان يرسل ابنه للصلاة معهم في المسجد . (٢)

وقد اعتلى «غازان» العرش من بعده ، وباعتلائه أصبح الإسلام ديناً رسمياً للبلاد - وسوف نتحدث عن «غازان» - بالتفصيل - في الفصل القادم .

= مؤامرة مع بعض الأمراء ضد غازان ، فقبض عليه وصدر الأمر بقتله ، ولكن الأمير «هرقداق» - أحد قواد غازان - تدخل في الموضوع واستطاع أن يقنع السلطان ببراءة صدر الدين مما نسب إليه فعفا عنه ، ولم يقف حظه عند هذا الحد ، بل أسند إليه منصب الوزارة مرة أخرى في أول المحرم سنة ٦٩٦هـ بعد إقصاء الخواجه جمال الدين الدستجرادني وقتله في ٦ من ذي الحجة سنة ٦٩٥هـ.

فؤاد الصياد (دكتور) : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل اله الهمزاني ، ص ٧٧-٧٨ . وكذلك :

خواندمير : دستور الوزراء ، ترجمة د. حربي أمين سليمان ، ص ٣٧٢ .

(١) أديب شرف الدين عبدالله بن فضل الله شيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٢٨٤ .

(2) Henry, H. Howorth : History of the Mongols, Part III, P. 387.



الفصل الثالث

غازان والتحول الكبير

الفصل الثالث
غازان والتحول الكبير

غازان خان

هو «غـازان خـان» بن « آباقـاخـان» بن «هولاكـوخـان» ، ولد سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م[١] ، وتولى جده «آباقا» الإشـراف على تربيتـه منذ طفولته ، وكان يصطحبه معه في رحلات الصيد التي يقوم بها . (٢)

وكان جده حريصاً كل الحرص أن يتعلم حفيده الديانة البوذية ، ومن ثم فقد «عهد به إلى واحد أو اثنين من كبار الكهنة ، وكلفهما أن يجدا في تعليمه إلى أقصى حد ، وحثه على اقتباس مراسم طريقتهما ، وعلى هذا كانا يلازمانه ، وكانا يواظبان على ترغيبه في تلك الملة» . (٣) وعلى هذا النحو رسخت الوثنية في ذهنه ، خصوصاً أن هذا المذهب كان عقيدة

---

(١) رشيد الدين فضل الله : تأريخ مبارك غازان (داستان غازان خان) بسعي واهتمام وتصحيح كارل يان ، هرتفورد ، انجلترا ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م، ص٣ .

(٢) ادوارد جرانفيل براون : تاريخ ادبى ايران از نيمهٔ قرن هفتم تا آخر قرن نهم هجرى (از سعدى تا جامي) ، ترجمهٔ على اصغر حكمت ، تهران، ١٣٢٧هـ/ ١٩٤٨م، ص ٤٢ .

(٣) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، جلد دوم ، از آغاز هولاكو تا پايان دورهٔ غازان خان، بكوشش دكتر بهمن كريمى، تهران، بدون تاريخ، ص٩٠١-٩٠٢ . وكذلك : رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، ترجمة د/ فؤاد الصياد، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٢٢ .

لآبائه، وكانوا يسيرون وفق تعاليمه .. »وكان غازان يلازم الكهنة فى معابد الأصنام ، ويتابع تلك الطريقة ، ويوما بعد يوم كان يزداد ميله إليها، فيستحكم اعتقاده فيها« . (١)

ولما بلغ غازان العاشرة من عمره توفى جده »آباقا« سنة ٦٨٠هـ(٢) ، فعاد غازان إلى أبيه »أورغون« ، الذى كان حريصا على إتمام المهمة التى بدأها الجد ، فاهتم بحسن تربيته وإعداده لشئون الحكم ، وأرسله إلى خراسان للحكم وإمارة الجيش ، وظل غازان قائما بهذه المهمة طوال عهد »گيخاتو« و »بايدو« .

وقد أرسل أبوه »الأمير نوروز« معه ، وهو الابن الأكبر لأورغون آغا(٣) ، ليكون مساعداً له ، ونائبا عنه فى حكم هذه المنطقة . (٤)

فأقام »غازان« معابد فخمة للأصنام فى مدينة »خبوشان« (٥) ، كان

---

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، ص ١٢٢ .

(٢) غياث الدين محمد بن همام خواندمير : حبيب السير فى أخبار البشر، جلد سوم، ص ١٤١ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : السلطان محمود غازان خان واعتناقه الإسلام، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٤ .

(٥) خبوشان : هى احدى مدن خراسان. ولقد قام هولاكو بإعادة تعميرها كما أضاف حفيده (أرغون) مزيداً من التعمير لها. والمعروف أن غازان كان قد شيد بها كثيراً من معابد الأصنام قبل إسلامه ، وهى مشهورة بزراعة القمح والقطن والفواكه الكثيرة .

حمد الله القزوينى : نزهة القلوب ، مقاله سوم، ص ١٨٥ .

يمضى فيها أكثر أوقاته فى التحدث مع الكهنة ، وتناول الطعام والشراب ، وهكذا صار له اعتقاداً راسخ فى تلك الطريقة الوثنية ، كما كان حرصه على عبادة الأصنام يفوق حد الوصف . وقد استمر الحال على هذا الوضع حتى ذلك الوقت الذى استولى فيه «بايدو» على الملك (١) ، حيث كان «غازان» يرى أنه أحق بالحكم منه ، فتجمع حوله كثير من الأتباع ، وعلى رأسهم «الأميرنوروز» .

وكان الأمير «نوروز» يسعى جاهداً لإقناع «غازان» باعتناق الدين الإسلامى ، حتى أنه قال له : « إن الفلكيين والمتنبئين والعلماء وأهل الزهد والورع أعلنوا أنه سيظهر حوالى سنة ٦٩٠ هـ ملك عظيم يحمى الإسلام ، ويعيد إليه مجده الغابر ، ويسعد أهله ويتمتع سنوات عديدة ، وقد اعتقدت دائماً أنك أنت المشار إليه فى هذه النبوءة ، فإذا اعتنقت الإسلام صرت سيد إيران ، فيتحرر المسلمون فى ظلال دولتك من حالة العبودية» .(٢)

ويرى صاحب «جامع التواريخ» أن « الأمير نوروز» لم يكن وحده

---

(١) رشيد الدين فضل الله : تاريخ مبارك غازانى ، ص ١٦٦ . وكذلك : جامع التواريخ (تاريخ غازان) ترجمة الدكتور فؤاد الصياد، ص ٢٠٢ .

(٢) فخر الدين أبو سليمان داود البناكتى : روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب ، تهران، ١٣٤٨هـ.ش. وكذلك : فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو خان) ، الدوحة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٤٩ .

سببا فى اعتناق «غازان» للإسلام، فقد كان الشيخ سعد الدين حمويه»(١) يحببه - بصورة مستمرة .. فى الإسلام ، «وكان غازان» يستفسر منه عن الدين الإسلامى وحقائقه ، ويتباحث معه فى هذا الشأن ، فينشرح صدره للإسلام .. فيقول : إن الإسلام دين متين وبين للغاية ، ويحتوى على كل الفوائد الدينية ... وأما عبادة الأصنام فإنها عديمة الجدوى ، وبعيدة كل البعد عن العقل والعلم ، وعند أصحاب الرأى والكفاية يكون وضع الجبهة على الأرض أمام الجماد محضُ جهالة وحماقة .. فإن صورة الصنم تليق بعتبة الباب يطؤها الناس بأقدامهم دون مشقة» . (٢)

---

(١) الشيخ زاده صدر الدين إبراهيم بن حمويه : هو الشيخ الصوفى الزاهد والإمام الجليل صدر الدين أبو الجامع إبراهيم بن الشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد بن أبى بكر بن حمويه الجوينى الشافعى .
ولد سنة ٦٤٤ هـ فى آمل بطبرستان ، وتتلمذ على أكثر علماء عصره. وقد رحل فى طلب العلم والحديث إلى العديد من البلاد والمدن العربية والإسلامية وفى سنة ٦٧١ هـ تزوج من إحدى بنات المؤرخ الفارسى عطا ملك الجوينى .
وعلى يديه أسلم السلطان غازان فى سنة ٦٩٤ هـ ، ونال حظوة كبيرة فى بلاط هذا السلطان . وقد توفى هذا العالم الجليل فى سنة ٧٢٢ هـ ، ودفن فى «بحرآباد» إحدى قرى «جوين» .
رشيد الدين فضل الله الهمزانى : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) حاشية ص٣٢١ - ٤٢١ .

(٢) رشيد الدين فضل الله الهمزانى : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، ص١٢٣ ، وكذلك : رشيد الدين فضل الله : تأريخ مبارك غازانى (داستان غازان خان) ص٧٩ .

ولكننا نرى «رشيد الدين» يقول في موضع آخر :

« وكان ظن أكثر الناس أن سبب اسلامه يرجع إلي ترغيب بعض الأمراء والمشايخ وحثهم له على ذلك ، ولكن بعد التفحص عُلم أن ذلك الظن خطأ . لأنه أثناء الخلوة بى - أنا العبد الضعيف مؤلف هذا الكتاب - قرر أن هناك عدة ذنوب لا يعفوالله عنها ، أكبرها أن يسجد شخص لصنم ، إذ أنه من المؤكد والمقطوع به أن الله لن يغفر ذلك الذنب ، وأن المساكين من الناس المبتلين بالجهل هم الذين يسجدون للأصنام ، وأنا أيضا كنت مثلهم ، ولكن الحق تعالى وهبنى النور والعلم ، فنجوت وتطهرت من ذلك الإثم بهداية حضرة الحق تعالى ». (١)

ومما سبق يتضح بجلاء أن «غازان خان» كان يُعمل فكره فى الديانات المعاصرة له ، كما أنه كان دائم الحوار مع رجال الدين من كل ملة ، ومن ثم فليس بعيداً أن يكون كلام «نوروز» قد ترك أثراً فى نفسه ، وأن توسلات بعض المشايخ ورجال الدين جعلته يفكر جدياً فى التعرف على حقيقة الإسلام ، إلى أن هداه الله إلى اعتناقه .

ويؤكد صاحب «تاريخ وصاف» أن «غازان» قد اعتنق الإسلام على

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ترجمة الدكتور فؤاد الصياد ، ص ٢٠٣ . وكذلك :
رشيد الدين فضل الله الهمذانى : تأريخ مبارك غازان (داستان غازان خان) ، ص١٦٦-١٦٧ .

المذهب الحنفي ، (١) حيث أمر أن تكتب أسماء الخلفاء الراشدين على السكة التي ضربت في عهده.

أما «رشيد الدين» فيذكر أن «غازان» قد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه أكثر من مرة ، وكان لهذه الرؤى أثر كبير في نفسه ، « فقد أيده الرسول ﷺ وقوى عزيمته بالوعود الطيبة ، ودارت بينهما محاورات طويلة ، وكان أمير المؤمنين علي والحسن والحسين رضي الله عنهم بصحبة النبي صلوات الله عليه وسلامه ، فعرفهم به قائلا : يجب أن تكونوا إخوة ثم أمر سلطان الإسلام بمعانقتهم ، فقبل الجانبان هذه الأخوة . ومنذ ذلك الوقت تيسرت لسلطان الإسلام انتصارات وفتوحات كان أعظمها هذه الخيرات كلها ، وضبط الأمور وترتيبها ، وتوخى العدل وحسن السياسة ، تلك المبادئ التي أذاعها في العالم ، فتهيأ له التوفيق في الحصول على السمعة الطيبة ، وحصّل لنفسه ذخيرة من دعوات الخلق العديدة له بالخير ، فأية سعادة يمكن أن تكون أعظم من هذه ؟! ومنذ ذلك التاريخ ازداد حبه لأهل بيت النبوة رضي الله عنهم » . (٢)

---

(١) أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله الشيرازي ، وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، بمباى ، ١٣٦٩هـ ، ص ٣١٦ . وكذلك :

برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهء محمود مير آفتاب ، تهران ، ١٣٥١هـ.ش ، ص١٩٤ .

(٢) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ترجمة الدكتور فؤاد الصياد ، ص ٢٢٧ . وكذلك :

رشيد الدين فضل الله الهمذاني : تأريخ مبارك غازاني (داستان غازان خان) ، ص١٩٠ .

ورغم أن «غـازان» لم يكن يفـرق في تعـامـلاته وعطاياه بين سنى وشيعى، إلا أنه يعترف بنفسه أن مودته لأهل البيت تفوق ماسواها ، حيث يقول : «لست منكراً أى شخص ، وإنى لمعترف بعظمة الصحابة ، ولكن بعد أن رأيت الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام وقـد آخى بيني وبين أبنائه ، ومنحنى صداقتهم ، لابد أن أزيد فى حبى لأهل البيت ، وإلا فمعاذ الله أن انكر الصحابة » . (١)

فلا عجب إذن أن نرى «غازان» يزور قبور الأئمة ، ويزور ضريح الإمام على والإمام الحسين رضى الله عنهما ، ويكرم أئمة الشيعة ويغدق عليهم بالعطايا ، كـمـا «توجـه إلى الحلة وقـصـد زيارة المشـاهد الشـريفـة ، وأمر للعلويين والقـيمين بها بمال كثير ، ثم أمر بحفر نهر بأعلى الحلة ، فحُفر وسُمى بالنهر الغازانى » . (٢)

ولقد أشاد المؤرخون بهذا النهر ، وبينوا كيف أحال صحارى كربلاء-

---

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ترجمة الدكتور فؤاد الصياد، ص ١٢٢ . وكذلك : ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم، تهران، ١٣٥٣ هـ.ش.

(٢) ابن الفوطى (كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد) : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، بغداد، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، ص٤٩٧ . وكذلك :
جعفر حسين خصباك : العراق في عهد الإيلخانيين، بغداد ، ١٩٦٨م، ص٩٢ .

التي كانت قاحلة - جنة فيحاء . (١)

كما أنشأ غازان بالحلة داراً للسيادة كذلك . (٢)

وقد دفعت بعض تصرفات «غازان» بعض المؤرخين إلى القول أنه كان شيعياً ، وربما دفعهم إلى هذا الاعتقاد أنه كان يذهب بنفسه إلى ضريح الإمام علي حاملاً معه «كسوة جميلة كان قد أمر بنسجها ، وكان يضعها على الضريح بنفسه» . (٣)

ويقال إن «غازان» أمر بسك عمله جديدة ، كتب عليها أسماء الأئمة الاثني عشر ، حُباً في الشيعة ، بدلاً من العملة التي سبق أن تحدثنا عنها.(٤)

بيد أن برتولد شپولر يرد على هذا الرأي بقوله «إننا لم نعثر - حتى الآن - على سكة ضربت في عهد «غازان» تحمل هذا الشعار» . (٥)

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، ترجمة الدكتور فؤاد الصياد ، ص ٢٣٩ . وكذلك :
رشيد الدين فضل الله الهمذاني : تأريخ مبارك غازان (داستان غازان خان) ، ص٢٠٣ .

(٢) حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي قزويني : نزهة القلوب ، تهران ، ١٣٣٦هـ.ش، ص٣٣ .

(٣) شيرين بياني : دين ودولت ، جلد دوم، ص ٥٩٧ . وكذلك : ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٩٣ .

(٤) شيرين بياني : دين ودولت ، جلد دوم، ص ٥٩٧ .

(٥) برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهٔ محمود مير آفتاب، ص١٩٢-١٩٣ .

ولكننا نصادف حادثة عجيبة ، وقعت أحداثها سنة ٧٠٢ هـ ، وكان لها أثر شديدٌ في نفس «غازان» ، وجعلته يزداد تعاطفاً مع آل البيت. (١)

فقد قُتل أحد الشيعة في المسجد الجامع ببغداد أثناء الصلاة ، وأحرق جسده لأنه قال : « إن صلاتي خلف هذا الإمام باطلة » ، ثم قضى الصلاة مرة أخرى ، فانتهز الشيعة هذه الفرصة ، وحملوا إلى «غازان» عظام الرجل المحترقة ، عند زيارته مرقد الإمام علي ، وطلبوا منه أن يقتص لهم في دم ذلك الرجل .

وتعجب «غازان» من هذه الحادثة ، وأخذ يتساءل قائلا : « أما يقول المسلمون أن من يصلي أكثر ، ينال ثواباً أكبر ؟ فلماذا إذن قتلوا شخصا بحجة أنه صلى أكثر ؟ ياله من دين عجيب ذلك الذي يقتل فيه أبناء الرسول لكثرة صلاتهم ؟ » . ثم أمر بإلقاء القبض على من تسببوا في ذلك.

ولقد أدت هذه الحادثة إلى أن يتفحص «غازان» اختلافات الفرق الإسلامية ويتعرف على تفاصيلها .

كما كان من آثارها السيئة أن بعض المحيطين بغازان من طبقة الأشراف أبدوا استياءهم من ترك دين آبائهم وأجدادهم ، واتباعهم له في اعتناق الإسلام . (٢)

---

(١) شيرين بياني : دين ودولت ، جلد دوم ، ص ٥٩٨ .
(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، ص ٤٩٣ .

ووجد الشيعة الفرصة مواتية أمامهم ، فبينوا لغازان كيف يحظى السنة بكثير من المزايا التى حرموا منها ، وسرعان ما استجاب «غازان» لطلبهم ، فنفذ لهم كل ما كانوا يطمحون إليه ، حتى قال «غازان» بحماس شديد : « إنى ذلك الشخص الذى ينصر أهل البيت ويخذل أعداءه . (١)

ولم يتوقف «غازان» عن التشاور مع الشيعة ، وأخذ علماؤهم يترددون على بلاطه ويحققون - كل يوم - كسباً جديدا .

وكان الأمير «طرمطاز» أحد المقربين من غازان - وكان شيعياً - فأخذ يشجع «غازان» على التحول إلى مذهب الشيعة .

وقد أدت هذه العوامل إلى دفع غازان لإحداث تغييرات فى خطب المساجد ، خاصة بعد أن سأل علماء الشيعة قائلاً : « أينبغى أن تشمل الخطبة آيات من القرآن ، والأحاديث النبوية ؟ » . فأجابوه قائلين : « إن هذا واجب وفقاً لقول الرسول ، وعلى الخطيب أن يذكر الحق تعالى ، ورسوله ، وملك الزمان العادل (٢) ، أما ما يضاف بعد هذا من ذكر للخلفاء الراشدين ، والأمراء السنيين فهو بدعة من بدع العباسيين هدفها الاستخفاف بآل على وطائفة السادات» . فقال غازان : « لا ينبغى أن نساير فجرة العباسيين الفساق ». ثم سألهم : « هل التحية المعتادة ، التى تُقرأ فى الصلاة بنص كلام الله سبحانه ، وحديث رسوله ؟ » . قالوا :

---

(١) شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد دوم ، ص ٥٩٨-٥٩٩ .

(٢) أبو القاسم عبد الله بن محمد قاشانى : تاريخ اولجايتو ، ص ٩٢-٩٣ .

«نعم، لم يطرأ عليها تغيير» . قال : « ينبغي أن تُقاس الخطبة على التحيات، فقد أمرنا أن نقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، ولم نؤمر بقول : « وعلى أصحابه وآله » ، فذكر الخلفاء الثلاثة في الخطبة بدعة ، ومن الواجب ذكر أهل البيت وعلى مقدم عليهم ، وسوف أرسل أسماءهم لتقرأ في الخطبة في إيران بأسرها » . (١)

وقد أزعجت هذه التصرفات السريعة لغازان رجال الدين من السنة ، وكان من بينهم الخواجه رشيد الدين فضل الله ، الذى اعترض على ذكر الإمام على وآله في الخطبة ، ونصح السلطان بقوله :

« نظرا لأن معظم أهل إيران من السنة ، وكانوا على المذهب السنى طوال ما يزيد عن سبعمائة عام ، فلو أن السلطان تحول إلى التشيع فإنهم سينقلبون عليه ، وستحدث فتن ، ومن الخير أن يسكت عن هذا الأمر » .(٢)

وفي تلك الأثناء كان «غازان» قد عزم على فتح الشام ومصر ، فانتهز رشيد الدين(٣) هذه الفرصة ، وقال له : « إننا بحاجة لمساندة الناس جميعا

---

(١) القاشاني : تاريخ اولجايتو : ص ٩٣ .

(٢) شيرين بياني : دين ودولت در ايران ، جلد دوم، ص ٥٩٩ .

(٣) كان رشيد الدين فضل الله وزير المغول الأشهر ، والشخص البارز في البلاط الإيلخاني يجتهد في العلن بأن يوجد اتجاها سلمياً في هذه المناقشات المذهبية، وأنقذ في وقت ما اثنين من فقهاء الشافعية كانا قد اتهما بالتجسس مع مصر من الموت ، وتعهد في وقت آخر بمسئولية قتل نقيب الأشراف "الممثل الرئيسى لبيت الرسول" ﷺ .. ويبدو أنه كان شخصاً سنياً متشدداً.
ميشيل م. مزاوى : پيدايش دولت صفوى، ترجمهء يعقوب آژند، ص٩٢-٩٣ .

في هذه الحرب ، ومعظم الجيش من السنة ، فمن الأفضل أن نبتعد عن هذا الأمر إلى أن تفتح هذه البلاد ، وليذكر في الخطبة ما كان يذكر سابقاً ، كما تعود الناس » .

فانصاع غازان لهذا الموقف السياسي مكرهاً . لكنه لم تتح له فرصة أخرى للنظر في أمر التشيع ، فقد هُزم جيشه في هذه المعركة ، وفارق الحياة بعد سماع نبأ الهزيمة بعدة أيام . (١)

وقد اختلف المؤرخون في مذهب «غازان» فذهب صاحب «تاريخ وصاف» كما سبق أن ذكرنا - أنه كان سنيا ، مشيراً إلى أنه كان حنيفاً ، وأنه دون أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة على السكة ، وتبعه عباس إقبال ،

---

(١) هُزم غازان في موقعة (مرج الصفر) في يوم السبت ٢ من رمضان سنة ٧٠٢هـ عند (مرج الصفر) جنوبي دمشق. وقد توفي بنواحي الري في أواخر هذه السنة (أي سنة سبعمائة واثنان) وكان قد ملك في أواخر سنة أربع وتسعين وستمائة فيكون مدة مملكته ثماني سنين وعشرة أشهر وكان قد اشتد همه بسبب هزيمة عسكره وكسرتهم على مرج الصفر فلحقه حمى حادة ومات مكموداً.
عماد الدين اسماعيل أبي الفدا : المختصر في أخبار «تاريخ أبي الفداء» المجلد الثاني الجزء الرابع ، دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ، ص ٥٠ .
وكذلك : فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص ٣٠١ .

والمستشرق الألماني « شپولر » في هذا الرأى ، كما اقتنع الدكتور الصياد بوجهة النظر القائلة إن «غازان» كان سنيا . (١)

على حين يذهب فريق آخر إلى القول بأن «غازان» كان شيعياً (٢)، على مذهب الشيعة الإمامية ، ولكنه كان يخفى هذا الأمر مراعاة للصالح العام (٣) .

ويؤكد «القاشاني» أن «غازان» قد رجح مذهب الشيعة على بقية المذاهب الأخرى . (٤)

أما «شيرين بياني» فرجحت ميل «غازان» إلى مذهب التشيع ، مؤكدة أنه لو امتد الأجل بغازان لازدهر هذا المذهب ، وربما أصبح التشيع مذهبا رسمياً لإيران . (٥)

ومن الباحثين من لم يقطع برأى حاسم في هذا المجال ، ومن بينهم «الدكتور مصطفى طه بدر» ، الذى يرى أن «غازان» كان قد أظهر ميلا إلى الشيعة ، مما حدا إلى القول بأنه كان شيعيا ، فإنه يجب ألا يعزب عن بالنا

---

(١) فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو خان) ، ص ٢٦٨ .

(٢) صديق (عيسى دكتر) : تاريخ فرهنگ ايران (از آغازتا زمان حاضر) ، چاپ هفتم، تهران، ١٣٥٣ هـ.ش، ص ١٩٢.

(٣) حافظ ابرو : ذيل جامع التواريخ رشيدى ، تهران ، ١٣٥٠هـ.ش، حاشية (١) ص ٤٨-٤٩ .

(٤) أبو القاسم عبد الله بن محمد القاشاني : تاريخ اولجايتو ، ص ٩٩ .

(٥) شيرين بياني : دين ودولت ، جلد دوم، ص ٦٠١ .

أنه كان غير متعصب لمذهب الشيعة ، وأنه لم يحرم الطوائف الإسلامية الأخرى من عطفه ورعايته (١) ، فكان يزور قبور الأولياء وكبار رجال أهل السنة مثل الإمام أبي حنيفة ، وينشئ المدارس لأتباع المذهبين السنيين : الشافعي والحنفي » . (٢)

وفي رأينا أن «غازان» قد اتجه في بداية الأمر إلى مذهب أهل السنة كما عبر عن ذلك صراحة صاحب «تاريخ وصاف» ، وأنه كان يعطف على أهل البيت بدافع حبه لهم ، وبتأثير الرؤى التي شاهد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولكنني أرجح أن حادثة مقتل العلوي ، وإحراق عظامه قد تركت أثراً في نفس «غازان» تجاه الشيعة ، إضافة إلى ما قام به «طرمطاز» وغيره من الشيعة في محاولة اجتذاب «غازان» إلى التشيع . ومن ثم فإني اتفق مع ما ذهبت إليه الدكتورة «شيرين بياني» بتحول غازان إلى التشيع بعة مقتل ذلك العلوي ، وإن كان هذا التحول لم يُقدر له أن يتم بصورة عملية حفاظاً على المصلحة العامة .

---

(١) عهد غازان وقت سفره إلى عتبات الشيعة المقدسة في كربلاء بعدد من مراكز الوقف إلى خانقاهات الصوفية والمدارس الشافعية والحنفية وأوجد منازل من أجل السادات .

ميشيل م. مزاوى : پيدايش دولت صفوى ، ترجمهٔ يعقوب اژند . ص ٩٢ .

(٢) مصطفى طه بدر (دكتور) : مغول إيران بين المسيحية والإسلام، ص ٣٢-٣٣، بدون تاريخ .

هذا وقد أمر «غازان» أن يكون الإسلام دينا رسمياً للدولة بمجرد اعتلائه العرش ، وأصدر مرسوما يقضي بوجوب دخول المغول الدين الإسلامي .

ولم يتحول الإيلخانيون عن الإسلام إلى نهاية حكمهم. (١)

«وباعتناق «غازان» الإسلام انقطعت الروابط المباشرة التي كانت تربطه ببلاط القاآن الأعظم ، الذي كان يحكم في الصين . وقد استغل «غازان» هذه الفرصة فأعلن استقلاله الكامل ، ولقب نفسه بلقب «قاآن» ، وكان هذا اللقب مقصوراً على امبراطور المغول الأعظم ، الذي كان يحكم في منغوليا أو في الصين» . (٢)

وأمر «غازان» بهدم الكنائس ، والمعابد اليهودية ، وبيوت الأصنام البوذية ، كما أمر بهدم بيوت النار الزرادشتية (٣) ، فحُطمت الأصنام وألقيت في الشوارع والأسواق ، بل إن «غازان» أمر بتحطيم تمثال لوالده «أورغون» ، كان قد أمر بنحته على حائط أحد المعابد البوذية . (٤)

---

(١) ذبيح الله صفا (دكتر) : خلاصة تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنگى ايران تا پايان عهد صفوى، (مجموعة مقالات ، تهران ٢٥٣٦ ، شاهنشاهى، ص١٨٨ .

(٢) فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور) : السلطان محمود غازان خان المغولي واعتناقه الإسلام، القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٨-١٩ .

(٣) عباس اقبال : تاريخ مفصل ايران از استيلاى مغول تا اعلان مشروطيت ، جلد اول، تهران، ١٣١٢هـ.ش، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٤) رنه گروسه : امپراطورى صحرا نوردان ، ترجمهٔ عبد الحسين ميكده، ص٦١٩ .

كما ألزم المغول بارتداء العمامة بدلا من الخوذة المغولية ، (١) أما النصارى فألزمهم بالتمنطق بزنار فوق لباسهم إذا أرادوا الخروج من بيوتهم، كما ألزم اليهود بارتداء خرقة صفراء في عمائمهم . (٢)

وخير أصحاب الديانات الأخرى بين اعتناق الإسلام أو الرحيل عن إيران عائدين إلى أوطانهم . (٣)

كما أمر «غازان» أن يكون الخاتم السلطاني في شكل مستدير بدلاً من شكله المربع وأن تكتب عليه الشهادتان ، وأمر أن تُفْتَح المراسيم بالبسملة ، كما تنقش البسملة على السكة المضروبة باسمه كذلك . (٤)

غير أن المستشرق الفرنسي «جروسيه» يرى أن اعتناق «غازان» وخلفاؤه الإسلام جعلهم يخرجون عن تسامحهم ، ويفقدون قوميتهم حتى قضى عليهم ، يقول ما ترجمته : « الواقع أن حكم «غازان» يحدد اللحظة التي تحول فيها هؤلاء البدو البدائيون شيئا فشيئا إلى الحياة المستقرة في إيران ، إلا أن هذا الاستقرار لسوء الحظ لم يتم دون أن يكون له مضار ،

---

(١) ادوارد براون : از سعدى تا جامى (تاريخ ادبى ايران از نيمهء قرن هفتم تا آخر قرن نهم هجرى : عصر استيلاى مغول وتاتار) ، ترجمهء على اصغر حكمت، ص ٤٢ . وكذلك : ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات ايران، جلد سوم، ص١٣٢ .

(٢) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ، ص ٤٨٣ .

(٣) وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص ٣٢٤ .

(٤) عباس اقبال : تاريخ مغول ، ص ٢٦٠ .

فإنهم عندما خرجوا عن تسامحهم العام إلى اعتناق دين خاص هو الإسلام ، وإلى اعتناق مذهب خاص فيه ، فإنهم لم يلبثوا أن فقدوا جنسيتهم ، وأن فقدوا معها مميزاتهم ، وأن تركوا أنفسهم للوسط الذى هضمهم وشربهم وأخفاهم ، لكن لم يكن الوقت قد اتسع ولا الوسيلة قد تهيأت لظهور هذه النتائج الضارة فى أيام غازان الحازم » . (١)

ولم ينفرد «جروسيه» بهذا الرأى وحده ، بل شاركة «بويل» الرأى نفسه . (٢)

ولا أجد فى هذا المجال أفضل من رد أستاذى الدكتور فؤاد الصياد على هذا التطاول على الإسلام ، حيث يقول : « كان هذا التسامح الدينى فى الظاهر فقط ، أما فى الواقع وحقيقة الأمر ، فإننا نرى أغلب المغول قوماً متعصبين ضد الإسلام والمسلمين ، فجغتاى ، وهو أشد أبناء چنگيزخان قسوة وأكثرهم بطشا ، لاقى منه المسلمون الأمرين ، وكان يعاقبهم على أقل هفوة ، وكثيراً ما يكون العقاب الرهيب هو الإعدام ، فمثلاً من يذبح الحيوان على الطريقة الإسلامية كان چغتاى يأمر بقتله على الفور ، لأنه خالف طريقتهم كما ورد فى الياسا .

---

(١) رنه گروسيه : امپراطورى صحرا نوردان ، ترجمهٔ عبد الحسين ميكده ، ص٦٢٥ . وكذلك : فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى ، ص ٢٦٥ .

(٢) ج . أ. بويل : تاريخ ايران كمبردج ، ترجمهٔ حسن انوشه ، جلد پنجم ، بخش چهارم «تاريخ دودمانى وسياسى ايلخانان» ، تهران ، ١٣٧٩هـ.ش، ص٣٥٧ .

ونحن نعرف أيضاً أن التحالف المغولي المسيحي قد تم في عهد «منكوقاآن» ، وكانت نتيجته أن «منكوقاآن» أرسل أخاه «هولاكوخان» على رأس حملة كبيرة إلى إيران ، تلك الحملة التي أسقطت الخلافة العباسية ، وكاد يسقط الشام ومصر لولا أن تدارك الله الإسلام بلطفه فهزم جيش هولاكو هزيمة ساحقة في موقعة «عين جالوت» سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٥٩ م .

وفي عهد «أرغون» - والد «غازان» - اضطهد المسلمون أشد الاضطهاد ، وطغى العنصران المسيحي واليهودي إلى أقصى حد .

إذن فأين التسامح الذي يدعيه جروسيه ؟ اللهم إلا إذا كان هذا التسامح مع الديانات الأخرى : البوذية والمسيحية واليهودية ؟!! » . (١)

أولجايتو :

وكانت أمه مسيحية - كما سبق أن ذكرنا - من قبيلة الكرايت(٢)، ومن ثم فقد عمدته حسب طقوس المسيحية ، وسمته باسم «نيقولا» . (٣)

وعندما ماتت أمه اعتنق الإسلام بتأثير من زوجته (٤)

---

(١) فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور) السلطان محمود غازان المغولي واعتناقه الإسلام، حاشية رقم (٢)، ص ٢٧-٢٨ .

(٢) فخر الدين أبو سليمان داود البناكتي : روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، ص ٤٧٢ .

(٣) عباس اقبال : تاريخ مغول واوايل ايام تيموري ، ص ٣١٣ .

(٤) إدوارد براون : از سعدى تا جامى ، ترجمهٔ على اصغر حكمت ، ص ٥٠ .

المسلمة. (١) وقد اختار «اولجايتو» المذهب الحنفي - عندما كان موجودا في خراسان - استجابة لرغبة أئمة هذا المذهب : فلما اعتلى العرش زاد الأمر من قوة الحنفية . ورغم هذا فإن «اولجايتو» كان بعيدا عن التعصب لمذهب علي حساب مذهب آخر ، حيث أمر بكتابة أسماء الخلفاء الأربعة على السكة .

لكن أصحاب المذهب الحنفي أخذوا يتطاولون على أصحاب المذاهب الأخرى ، استناداً إلى اتباع «اولجايتو» مذهبهم ، حتى أن رشيد الدين فضل الله وزير هذا السلطان ، والذى كان شافعي المذهب ، لم يكن يجرؤ على انتقاد هؤلاء الحنفية ، رغم تطاولهم وعدم ارتياحه الشخصي لهم ، حرصاً

---

(١) لم تذكر المصادر صراحة اسم الزوجة المسلمة التى كانت سبباً فى اعتناق اولجايتو الإسلام.

إلا أن أكثر المصادر تشير إلى أن سبايا المسلمين قد قمن بدور هام فى هذا الجانب ، ونظراً لأن أبا الفدا يُشير فى الجزء الرابع من تأريخه إلى أن هذه الزوجة كانت ابنة لصاحب ماردين الملك المنصور غازى بن قرا ارسلان ، ولما كانت ابنة ملك ماردين هى الزوجة الحادية عشرة من زوجات اولجايتو - وفقا لما يذكره القاشانى - وتدعى (دنيا) فليس بعيداً أن تكون هذه هى الزوجة التى كانت سببا فى إسلام اولجايتو .

- اسماعيل عماد الدين أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر (تاريخ أبو الفدا) المجلد الثانى ، الجزء الرابع ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٥٩ .

- القاشانى : تاريخ اولجايتو ، ص ٨ .

- فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين، حاشية (٦)، ص٣٤٦ .

على مشاعر السلطان . (١)

ومما زاد الطين بلة أن أتباع الحنفية والشافعية كانوا يقومون بعمل مناظرات يجتهد أصحاب كل فريق منهم أن يكشف مساوئ المذهب الآخر، حتى شاعت مزحة جرت على الألسن - فى ذلك الوقت - نُقلت عن «قطب الدين الشيرازى» (٢) العالم المشهور الذى تتلمذ على يد نصير

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، ص ١٤٨ .

(٢) قطب الدين الشيرازى : هو العلامة قطب الدين محمود بن ضياء الدين مسعود بن مصلح كازرونى شيرازى عالم إيران الكبير فى القرن السابع الهجرى، أبوه هو ضياء الدين مسعود المتوفى عام ٦٤٨هـ. وكان طبيبا ومدرسا للطب فى مستشفى المظفرى فى شيراز . ولد "قطب الدين محمود" عام ٦٣٤هـ فى مدينة شيراز حيث شرع فى تعلم الطب على يد أبيه وعمه ، وسلك مسلك التصوف وهو فى العاشرة من عمره محتذياً بوالده .. وما أن وصل إلى الرابعة عشرة من عمره حتى توفى أبوه فشغل مكانه فى «مستشفى المظفرى» .. ثم انتقل إلى خدمة «الخواجه نصير الدين الطوسى» وتتلمذ على يديه ثم غادر «مراغه» قبل وفات نصير الدين الطوسى وارتحل إلى خراسان والعراق العجمى وبغداد والروم وبقى فى «قونيا» حيث التحق بخدمة «صدر الدين القونيوى» وتعلم منه علوم الشريعة ثم عُين بعد ذلك قاضياً على بلاد الروم وكان فى نفس الوقت قائماً بالتدريس والتأليف .

ومن بين مؤلفاته كتاب «التحفة الشاهية» وقد أرسله السلطان «أحمد تگودار» إلي السلطان «قلاوون» وارتحل بعد ذلك إلى الشام ومنها إلى تبريز حيث داوم عمله فى التأليف إلى أن توفى فى نفس المدينة «تبريز» يوم الأحد ١٧ رمضان سنة ٧١٠هـ. ودفن فى مقبرة «جرنداب» إلى جوار القاضى البيضاوى.

ويُعد قطب الدين الشيرازى أحد العلماء العظماء فى عهده.

ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، بخش دوم، ص١٢٢٧-١٢٢٩ .

الدين الطوسى - والمشهور بمطايباته ، وتقول هذه المزحة : « لو أن أحد الحنفية أراد أن يتحول إلى الشافعية ، فما عساه يفعل ؟» فأجاب قطب الدين : «هذا أمر هين ، عليه أن يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله». (١)

وفى إحدى المناظرات التى جرت أمام السلطان ، أخذ كل فريق يلصق أشنع الصفات بالفريق الآخر ، فنهض السلطان غاضباً ، وصاح قتلغشاه - قائد الجيش قائلا : «ماذا دهانا ، حتى تركنا دين آبائنا وأجدادنا ، وطرحنا قانون چنگيزخان لنعتنق دين المسلمين الذين ينقسمون عدة أقسام ، تكون السبب فى احتدام الخلاف بين علمائهم ، وقد يصل هذا الخلاف إلى درجة لا يتورع فيها كبراؤهم عن تناول كل فُحش ومهاترة ، فخير لنا أن نعود مرة أخرى إلى دين أسلافنا ، وإحياء «ياساق» چنگيز» . (٢)

وأخذ المغول ينظرون بعين الاحتقار إلى كل أصحاب العمائم من المسلمين ، ويرمونهم بكلمات نابية ، بعد أن فكروا جدياً فى الارتداد عن الإسلام .

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، ص ١٤٨ .

(٢) أبو القاسم عبد الله بن محمد القاشانى : تاريخ اولجايتو ، ص ٩٨ . وكذلك : حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ رشيدى ، تهران، ١٣١٧هـ.ش،حاشية ص٥٠، وكذلك : فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى ، ص ٣٦٩ .

وتصادف - في تلك الأيام - أن هب إعصار شديد صاحبه رعد وبرق، ففسر كهان المغول هذا الأمر لأولجايتو أنه غضب من السماء (١) ، فلما هلك بعض الأشخاص ممن يرافقون «أولجايتو» بسبب تلك الصاعقة ، طلب منه جماعة من المغول أن يخطو فوق النار ليسلم من عاقبة وخيمة ، حسب سُنة المغول ، فقبل «أولجايتو» ، وأحضر جماعة من كهان المغول لإجراء هذا الرسم، وقال له الكهان : «إن نزول هذا البلاء إنما كان من شؤم المسلمين والإسلام، فإن عاد السلطان عن هذا الدين تبدلت النحوسة بالميمنة».(٢)

لكن «أولجايتو» أحس في قرارة نفسه أنه غير قادر على أن يرتد عن الإسلام ، وظل مؤرقاً ثلاثة أشهر ، فاستغل علماء الشيعة هذا الأمر ليدفعوا «أولجايتو» إلى اعتناق مذهبهم (٣) ، وكان من بين هؤلاء رجل من أهل «آوه» - التي كانت من بين مراكز التشيع الهامة والمشهورة في ذلك الوقت - ويدعى «سيد تاج الدين» ، وكان يحظى بمنزلة رفيعة عند السلطان فنجح في إقناع السلطان باعتناق مذهب التشيع . حتى أمر بحذف أسماء

---

(١) إدوارد براون : از سعدى تا جامى ، ترجمهٔ على اصغر حكمت، ص ٥٥ .
وكذلك : شيرين بيانى : دين ودولت ، جلد دوم، ص ٤٨٣ .

(٢) حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، حاشية صفحة ٥٠ .
وكذلك :
سايكس (ژنرال سرپرسى) : تاريخ ايران ، جلد دوم، ترجمهٔ آقاى سيد محمد تقى فخر داعى گيلانى، چاپ پنجم، تهران ، ١٣٧٠هـ.ش، ص١٦٤ .

(٣) أصدر السلطان «اولجايتو» أمرا بقتل شخص ادعى المهدوية ، وذلك قبل أن يتفق مع الشيعة الاثنى عشرية ، كما أصدر أمراً آخر بالقضاء على جماعة شيعية مغالية قصدت أن تجعله شيعياً.
ميشيل م. مزاوى : پيدايش دولت صفوى ، ترجمهٔ يعقوب آژند (دكتر)، تهران، ١٣٦٨هـ.ش، ص ٩٢ .

الخلفاء الثلاثة (أبى بكر وعمر وعثمان) من الخطبة ، وأبقى على ذكر (على) وحده . [١] كما أمر أن تكتب علي السكة أسماء الأئمة الإثنى عشر حول شكل مخمس الأضلاع . [٢]

كما أمر أن يضاف إلى الأذان عبارة «حى على خير العمل» . [٣]

فلما قتل «سعد الدين ساوجى» - الذى كان يرعى «تاج الدين» - قام حشد من أهل السنة بتقبيح مذهب الشيعة عند «أولجايتو» ، وظلوا ينفرونه من هذا المذهب إلى أن عاد « أولجايتو» إلى السنة مرة أخرى ، وأمر بقتل سيد تاج الدين وولده . [٤]

وهناك رواية أخرى تبرر عودة «أولجايتو» إلى مذهب أهل السنة ، بعد أن نجح «طرمطار» . فى إقناعه باعتناق مذهب التشيع .

وقد وردت هذه الرواية عند «ابن بطوطة» ، حيث يقول :

« كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه فى حال كفره فقيه من الروافض الإمامية يسمى جمال الدين بن مطهر ، فلما أسلم

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران ، جلد سوم، ص ١٥٠ .

(٢) شيرازى (اديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله) وصاف الحضرة : تاريخ وصاف ، ص ٤١٧ . وكذلك : عبد المحمد آيتى : تحرير تاريخ وصاف ، تهران، ١٣٤٦هـ.ش، ص ٢٧٦ .

(٣) أبو القاسم عبد الله بن محمد القاشانى : تاريخ اولجايتو ، ص ١٠٠ .

(٤) حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، ص ٤٨ - ٥١ .

السلطان المذكور وأسلمت بإسلامه التتر ، زاد في تعظيم هذا الفقيه ، فزين له مذهب الروافض ، وفضله على غيره ، وشرح له حال الصحابة والخلافة ، وقرر لديه أن أبا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله ، وأن عليا ابن عمه وصهره وهو وارث الخلافة . ومثل له ذلك بما هو مألوف عنده من أن الملك الذي بيده إنما هو إرث عن أجداده وأقاربه ، مع حدثان عهد السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين . فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض ، وكتب بذلك إلى العراقين وفارس وآذربيجان وإصفهان وكرمان وخراسان ، وبعث الرسل إلى البلاد ، فكان أول بلد وصل إليها بغداد وشيراز وإصفهان . فأما أهل بغداد فامتنع أهل الأزج منهم وهم أهل السنة وأكثرهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وقالوا : " لا سمع ولا طاعة ، وأتوا المسجد الجامع في يوم الجمعة ، ومعهم السلاح ، وبه رسول السلطان.

، فلما صعد الخطيب المنبر ، قاموا إليه وهم اثنا عشر ألفا في سلاحهم ، وهم حماة بغداد والمشار إليهم فيها ، فحلفوا له أنه إن غير الخطبة المعتادة ، أو زاد فيها أو نقص فإنهم قاتلوه ، وقاتلو رسول الملك ، ومستسلمون بعد ذلك لما شاء الله ، وكان السلطان قد أمر بأن تسقط أسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ، ولا يذكر إلا اسم علي ومن تبعه كعمار رضي الله عنهم فخاف الخطيب من القتل ، وخطب الخطبة المعتادة ، وفعل أهل شيراز وإصفهان كفعل أهل بغداد ، فرجعت الرسل إلى الملك فأخبروه بما جرى في ذلك ، فأمر أن يؤتى بقضاة المدن الثلاث ، فكان أول من أتى به منهم القاضي مجد الدين قاضي شيراز ، والسلطان إذ ذاك في

موضع يعرف بقراباغ (١) ، وهو موضع مصيفه . فلما وصل القاضى أمر أن يرمى به إلى الكلاب التي عنده ، وهى كلاب ضخام فى أعناقها السلاسل معدة لأكل بنى آدم . فإذا أتى بمن يسلط عليه الكلاب ، جعل فى رحبة كبيرة مطلقا غير مقيد ، ثم بعثت تلك الكلاب عليه ، فيفر أمامها ولا مفر له ، فتدركه فتمزقه وتأكل لحمه . فلما أرسلت الكلاب على القاضي مجد الدين ووصلت إليه ، بصبصت إليه ، وحركت أذنابها بين يديه ، ولم تهجم عليه بشئ . فبلغ ذلك السلطان ، فخرج من داره حافى القدمين ، فأكب على رجلى القاضي يقبلها وأخذ بيده ، وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب - وهى أعظم كرامات السلطان عندهم - وإذا خلع ثيابه كذلك على أحد ، كانت شرفاً له ولبنيه وأعقابه ، يتوارثونه ما دامت تلك الثياب أو شئ منها . وأعظمها فى ذلك السراويل . ولما خلع السلطان ثيابه على القاضى مجد الدين ، أخذ بيده وأدخله إلى داره ، وأمر نساءه بتعظيمه والتبرك به . ورجع السلطان عن مذهب الرفض ، وكتب إلى بلاده أن يقر الناس على مذهب أهل السنة والجماعة . وأجزل العطاء

---

(١) قراباغ : مدينة تقع على بعد اثنين وسبعين فرسخا من مدينة السلطانية التى بناها أرغون وأتم تشييدها ابنه اولجايتو .

واسم هذه المدينة مركب من جزءين «قرا» وهي بالتركية بمعنى أسود ، و «باغ» بالفارسية يعنى حديقة ، فهى تعنى «الحديقة السوداء» لخصوبة السواد من أراضيها .

- حمد الله القزوينى : نزهة القلوب ، ص ٦١ . وكذلك : فؤاد الصياد (دكتور) : الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين ، حاشية (٢) ص ٤٧٢ .

للقاضي ، وصرفه إلى بلاده مكرماً معظماً . وأعطاه في جملة عطاياه مائة قرية من قرى جمكان ، ، وجمكان عبارة عن خندق بين جبلين طوله أربعة وعشرون فرسخاً يشقه نهر عظيم ، القرى منتظمة بجانبيه وهو أحسن موضع بشيراز ومن قراه العظيمة التي تضاهي المدن : قرية ميمن ، وهي للقاضي المذكور» . (١)

وفي رمضان سنة ٧١٦ هـ ، وبينما كان «اولجايتو» مشغولا بالصيد في نواحي السلطانية ، أخذه وجع شديد في رجله ، ثم أخذ مزاجه ينحرف ، ودخل الحمام يوماً وبعد الحمام أفرط في تناول أطعمة لذيذة ، وعلى أثر ذلك اشتد مرضه ، حتى قضى نحبه في الثامن والعشرين من رمضان من تلك السنة في السلطانية ، وسنه لا تتعدى الأربعين ، بعد أن ملك اثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر . (٢)

أبو سعيد بهادرخان :

هو أبو سعيد بن «أولجايتو» محمد خدا بنده بن «أرغون خان» بن «آباقا خان» ابن هولاكو . وقد أرسله أبوه ليكون حاكما على خراسان سنة ٧١٣ هـ .

---

(١) ابن بطوطة : (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي) : رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص١٣٧-١٣٨ .

(٢) عباس اقبال : تاريخ مغول واوايل ايام تيموري ، ص ٣٢٤ .

فلما مات أبوه ، واعتلى العرش ، ضرب السكة باسمه ، ونقش على أحد وجهيها أسماء الخلفاء الأربعة ، مما يدل على أنه كان سنياً[١] ، على المذهب الحنفى .[٢]

وعندما لجأ الناس إلى رجال الدين - في عهده - يشكون المجاعة ، أصدر أوامره بإغلاق الحانات ، وقتل من يتاجر فى الشراب ، وإغلاق دور البغاء ، وإراقة الخمور، وقتل من وجد عنده الخمر ، وإبعاد أرباب الملاهى.[٣]

وقد سلك «أبو سعيد» مسلك «غازان» تجاه أصحاب الديانات الأخرى - رغم أنه لم يكن متعصبا - فأمر بهدم الكنائس ، وأن يرتدى النصارى العمائم الزرقاء ، وأن يرتدي اليهود العمائم الصفراء .[٤]

ومن الأمور اللافتة للنظر ، والتى أثارت الجدل بين المؤرخين مسألة زواج أبى سعيد من «بغداد خاتون» - ابنة «جوبان» وزوجة الشيخ حسن الجلائرى - فقد كانت هذه السيدة تتمتع بجمال جذاب ، وأراد «أبو سعيد» أن يتزوجها وفقا لقوانين الياسا الجنگيزية ، والتى تنص على أن من

---

(١) شيرين بيانى (دكتر) : دين ودولت ، جلد دوم، ص ٥٠٤ .

(٢) أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٤٠م، ص ٣٠٩ .

(٣) المقريزى (تقى الدين أحمد على) : السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الثانى، القسم الأول، القاهرة ، ١٩٤١ ، ص ٢١١ .

(٤) أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٤٠م، ص ١٠٩ .

حق الحاكم أن يتزوج من أى امرأة تعجبه ، حتى ولو كانت زوجة لشخص آخر ، حيث تحتم الياسا على زوجها أن يطلقها نزولاً على رغبة الخان. (١)

ومن المفارقات العجيبة أن أبا سعيد قد دخل فى حرب مع «چوبان» وقتله هو ومن كان موجودا معه من أسرته ، فى نفس الوقت الذى تزوج من «بغداد خاتون» ، ابنة ذلك القتيل - وكان هذا الزواج نتيجة شغف أبى سعيد « ببغداد خاتون» ، حيث ذاعت قصة حبه لها فى الآفاق . (٢)

ولكن سرعان ما فتر عشق أبى سعيد لبغداد خاتون ، وتعلق قلبه بابنة أخيها ، التى تعرف باسم «دلشاد خاتون» . ومن المعروف أن هذا الارتباط غير مباح شرعاً ، إذ لا يجوز للرجل أن يجمع بين الزوجة وابنة أخيها . مما دفع صاحب «حبيب السير» إلى رفض القول أن أبا سعيد قد جمع بين «بغداد خاتون» وابنة أخيها «دلشاد خاتون» فى وقت واحد . وعلل هذا الأمر بحُسن إسلام أبى سعيد . ويؤكد أن أبا سعيد لابد وأن يكون قد طلق «بغداد خاتون» فى البداية ، ثم تزوج من ابنة أخيها «دلشادخاتون» بعد ذلك . يقول «خواندمير» ما ترجمته : « والغريب أن يتفق جميع المؤرخين على أن أبا سعيد بهادر خان قد جمع فى زواجه بين «بغداد خاتون» ابنة «چوبان» ، و «دلشاد خاتون» ابنة «دمشق خواجه

---

(١) ميرخواند (محمد بن سيد برهان الدين خواندشاه) : روضة الصفا ، جلد پنجم، تهران ، ١٣٣٩هـ.ش، ص ٥٠٨ .

(٢) شيرين بيانى : زن در ايران عصر مغول ، ص ١٥٤ .

بن چوبان» ، وواقع الحال أن الجمع بين العمة وابنة أخيها فى الزواج غير جائز طبقاً للشرع الشريف ، ومن ثم فينبغى القول أن السلطان أبا سعيد قد طلق «بغداد خاتون» فى البداية ، ثم تزوج «دلشاد خاتون» بعدها » .
(١)

ويرد «برتولدشپولر» على صاحب حبيب السير بما ترجمته :

« إن اعتراض « خواندمير » على صحة الخبر القائل أن أبا سعيد قد تزوج «بغداد خاتون» فى البداية ، ثم تزوج ابنة أختها «دلشاد خاتون» بعدها ، بحجة أن هذا الأمر ممنوع وفقا للتعاليم الفقهية ، وأن أبا سعيد كان ملتزماً بالأمور الدينية ، هذا الاعتراض فى غير موضعه . وخطأ هذا المؤرخ ناشئ من أنه يبالغ فى تقديره ليقظة الوجدان الدينى لأبى سعيد » . (٢)

---

(١) « عجب آنكه تمامى مورخان باتفاق بغداد خاتون بنت چوبان ودلشاد خاتون بنت دمشق خواجه بن چوبان را معا از جمله ازواج سلطان أبو سعيد بهادر خان شمرده اند وحال آنكه بحسب شرع شريف اجتماع عمه وبرادر زاده در نكاح جايز نيست وسلطان أبو سعيد در سلك اهل اسلام انتظام داشت پس باين معنى قايل ميبايد شد كه سلطان أبو سعيد نخست بغداد خاتون را مطلقه گردانيد بعد از آن دلشاد خاتون را در سلك ازدواج كشيد ».
غياث الدين محمد بن همام خواندمير : حبيب السير فى أخبار أفراد البشر ، جلد سوم، ص ٢١٩ .

(٢) «ترديد خواندمير در صحت اين خبر ، كه ابو سعيد نخست بغداد خاتون ، وسپس برادر زاده، او دلشاد خاتون را به عقد خود در آورده است وياد آورى اين كه اين كار طبق موازين فقهى ممنوع وأبو سعيد به دستورات دينى پاى بند =

ومن الواضح أن تعاليم «الياسا الجنكيزية» كانت لا تزال مؤثرة فى نفوس الإيلخانيين من الناحية الاجتماعية بصفة خاصة ، رغم اعتناقهم الدين الإسلامى ، فقد لاحظنا ثورة غازان وشدة حنقه عندما علم أنه لا يجوز أن تئول إليه زوجات أبيه ، وبصفة خاصة أنه كان راغبا فى الزواج من «بلغان خاتون» ، وكاد أن يرتدّ عن الإسلام ، لولا أن أفتاه بعض الفقهاء بقولهم : « إن أباك كان كافراً ولم تكن «بلغان خاتون» معه فى عقد نكاح صحيح ، إنما كان مسافحاً بها ، فاعقد أنت عليها فإنها تحل لك » . (١)

فإذا كان هذا شأن غازان جد أبى سعيد ، والذى كان أكثر المغول تحمساً للإسلام ، فإننا لا ندهش إذا رأينا أبا سعيد يتزوج من بغداد خاتون وفقا لتعاليم الياسا كذلك . وطالما أنه بدأ زواجه بصورة تخالف تعاليم الدين الإسلامى ، فإننا لا نستبعد أن يكون قد ارتبط بدلشاد خاتون وجمع بينها وبين عمتها فى آن واحد . خاصة وأن معظم المؤرخين يرون أن نهايته كانت على يد زوجته «بغداد خاتون» ، حيث دست له السم بطريقة مخجلة. (٢)

= بوده است ، نابجاست. اشتباه مؤرخ از آن جا ناشى است ، كه در تخمين بيدارى وجدان مذهبى ابو سعيد زياده روى مى كند ».

برتولد شپولر : تاريخ مغول در ايران ، ترجمهء محمود مير آفتاب ، ص ٣٩٤ .

(١) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، بيروت ، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، ص ٢١٣ .

(٢) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ص١٥٤ .

وإن كان هناك من المؤرخين من يذكر أن السلطان قد اشتد به المرض في صيف ٧٣٦هـ أثناء خروجه لمحاربة «أوزبك خان» ، فاشتدت درجة الحرارة ، وانتشرت الأوبئة والأمراض ، وأصيب السلطان نفسه بمرض شديد ، فأسلم الروح في «قراباغ» بالقرب من «أران» في ربيع الثاني من عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م . (١)

وكان أبو سعيد آخر ملوك المغول من بني چنگيزخان (٢) ، وبوفاته لم تقم للإيلخانيين قائمة . (٣) وليس أدل على ذلك من أن ثمانية من الخانات قد حكموا إيران بعد أبي سعيد في فترة لا تزيد عن عشرين عاما كانت فترة حكم بعضهم لا تتجاوز الأشهر ، والبعض الآخر لا يزيد عن عام واحد . وظل الحال على هذا المنوال إلى أن انهارت دولة الإيلخانيين سنة ٧٥٦ هـ .

---

(١) ادوارد براون : از سعدى تا جامي، ترجمهٔ على اصغر حكمت ، ص ٦٤-٦٥ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ص ٣٠٩ .
(٣) ادوارد براون : از سعدى تا جامي، ترجمهٔ على اصغر حكمت ، ص ٦٥ .

الخاتمــة

وبعـد ، فـقـد كـانت هذه إطلالة على المجتـمع المغـولى فى عـصـر الإيلخانيين فى ضوء المصادر الفارسـية .

وكانت أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذا البحث ما يلى :

١- استـمرت بعض عادات المغول البغـيـضة سارية فى عهد الإيلخـانيين كذلك ، ومن بين هذه العادات المبالغة فى القتل والتمثيل بالقتلى ، كـمـا حـدث لمجد الملك فى عـهـد السلطان أحـمـد تكودار . فلم يتم الاكتفاء بقتله، بل إنهم قطعوه إربا إربا ، وأرسلوا كل عضو من أعضائه إلى بلد من البلاد ، فأرسل رأسه إلى بغداد ، ويده الى العراق وقدمه الى فارس وأشترى شخص لسانه بمائة دينار وحمله معه الى تبريز .

٢- كان العبء الاكبـر من المسـؤلية يقع على كـاهل المرأة فى عهـد المغول نظرا لطبـيـعة حياتهم فى النقل والترحال ، بحثاً عن العشب والماء ، فلما انتقل الإيلخانيـون الي حيـاة الاستـقـرار فى المدن تغيـرت هذه الظروف وتغير معها دور المرأة وما تؤديه من أعمـال ، وقد حـفظت الشريعة الإسلامية للمـرأة كامل حقوقها التى سلبت منها فى عهد المغول ، ومن بينها - على سبيل المثال - حقها فى الميراث .

٣- طغى الاهتـمام بدخل الدولة الايلخانيـة على مـصلحة الرعـيـة ، كـما حدث بين «اورغـون » و«الخواجه وجيـه الدين زنكى » فـمـجـرد أن دفع وجيه الدين خمسمائة تومان لأورغون ، لم يكترث أورغون إن كان

وجيه الدين متهماً أو بريئاً ، بل إنه خلع عليه وكلفه بمباشرة الشئون المالية في خراسان مرة أخرى .

٤- ويمثل نظام الاقطاع والضمان الاهتمام بدخل الدولة الايلخانية - على حساب مصلحة الرعية -حيث كان الحاكم يحصل من المقطع أو الضامن مبلغاً معيناً من المال ، ويترك له حريه التحصيل من الرعية ، دون أن يكترث بالقدر الذى يحصله ، أو المعاناه التى يصادفها الرعية، وظل الناس فى كرب وشقاء الى أن قام غازان خان بإصلاح نظام الضرائب .

٥- محاولة غازان التوفيق بين تعاليم الياسا الجنكيزية - التى تمنع الفلاحين من مغادرة قراهم ، وتحضهم على الارتباط بالارض - والشريعة الاسلامية - التى تكفل الحرية لكافة المسلمين - هى محاولة ملفقة ، بل هى أقرب الى فكر الياسا منها الشريعة الاسلامية ، فأى حرية لإنسان لا يستطيع أن يتحرك وفق ما يشاء !، وأن كانت هذه هى الحرية ، فما هو إذن الأسر والعبودية !

٦- ارتباط العبارات التى كتبت على النقود بالنواحى السياسية التى تعبر عن تبعية الإيلخان للقاآن الأعظم أو الاستقلال عنه ، كما أن هذه النقود تبين بجلاء مذهب الحاكم المسلم ، أن كان سنياً أو شيعياً ، فإن كتب على النقود أسماء الخلفاء الأربعة دل هذا الأمر على أن الحاكم سنياً ، وان كتب على النقود اسم «على» بمفرده ، أو أسماء الأئمة الأثنى عشرة كان الحاكم شيعياً .

٧- لم تذكر المصادر اسم الزوجة المسلمة التى كانت سببا فى اعتناق اولجايتو الإسلام .

وقد اجتهدت فى أن أتوصل إلى معرفة اسم هذه الزوجة، التي كان لأولجايتو شرف اعتناق الإسلام على يديها .

وكان طرف الخيط الذى أمسكت به ماذكره أبو الفدا أن هذه الزوجة كانت ابنة لصاحب ماردين ، الملك المنصور غازى بن قرا أرسلان .

ولما كانت ابنة ملك ماردين هى الزوجة الحادية عشرة من زوجات اولجايتو - وفقا لما يذكره القاشانى - وتدعي [دنيبا] ، فليس بعيدا أن يكون هذا اسم زوجة أولجايتو ، التى كانت سببا فى اعتناقه الإسلام .

٨- إن توحيد العملة فى أرجاء المملكة كان مرتبطا بنفوذ الإيلخان وقدرته على السيطرة على أرجاء مملكته الشاسعه ، مثلما حدث فى عهد وغازان خان ، حيث قام بتوحيد عيار الذهب والفضة فى النقود التى ضربت فى عهده ، لتوحيد قيمتها في مختلف المدن ، ولكن هذه الفكرة لم تدم بعد وفاته، وسرعان ما عادت الأمور الى الحالة التى كانت عليها قبل غازان ، نظراً لضعف الحكام الذين جاءوا بعده .

٩- تؤكد الكتابات التى وجدت على النقود مدى تأثير الوزراء المسلمين على الإيلخان غير المسلم ، حيث زى على النقود عبارات إسلامية تزيين هذه العملة .

١٠- رغم أن التعامل بالنقود الورقية قد صادف نجاحاً فى بلاد الصين ، الا ان هذه الفكرة لم تصادف أى نجاح فى إيران ، نظراً لأن الناس قد ألفوا

فكرة التعامل بالنقد الذهبي والفضي ، ولم يتقبلوا التعامل بالنقود الورقية .

١١- وفي مجال الياسا وقع بعض الباحثين في الخطأ عندما خلطوا بين قوانين الياسا ، وبين أقوال جنكيز خان وحكمه المعروفة باسم «بيليك» وأوردت فقرات من الحكم التي التبست على صاحب كتاب « سقوط بغداد» واعتبرها من قوانين الياسا ، وبينما أكد صاحب جامع التواريخ أنها من حكم چنگيز وأقواله .

١٢- رامى غازان طباع قومه من الايلخانيين - والذين كانوا قريبي العهد بطباع أسلافهم من الغول - فلم ينههم عن شرب الخمر نهياً قاطعا ، ولكنه أصدر أمرا يحرم شرب الخمر في الطريق العام ، ومن يخالف هذا الامر يقبض عليه ، وتنزع ثيابه ، ويطاف به في الطرقات ثم يربط الى شجرة في اماكن احتشاد الجماهير ، حتى يشاهدون الناس ويتعرض لتأنيبهم وتوبيخهم ،

وفي مجال ظاهرة البغاء رأى غازان أن يقضي عليها بالتدريج ، لانها كانت قد شاعت منذ عهد طويل ؛ فأصدر مرسوما يقضي بعدم إجبار أى جارية على ممارسة الرذيلة في بيوت الدعارة .

وفي رأى أن غازان في الأمرين السابقين كان أكثر تأثراً بالياسا من الشريعه الاسلامية .

١٣- وقد اجتهدت في باب المعتقدات القديمة اجتهدت في أن أجيب على سبب قتل المغول كل من كان يصادفهم أثناء جنازة الحكام .

حيث أرجع الدكتور مصطفى طه بدر هذا الأمر إلى قسوة المغول، فيقول : «كما تظهر قسوتهم أيضاً فى تضحيتهم بالرجال فى جنائز العظماء»

أما بارتولد فيرد هذا الأمر إلى أن القاتل سوف ترتفع منزلته يوم القيامة، كما تنص على ذلك الديانة الشامانية ، فيقول : «يعتقد القاتل أن منزلته تزداد ارتفاعاً (يوم القيامة) بازدياد عدد من قتلهم».

ويقول صاحب رحلات ماركوبولو : «وجرت العادة بالمثل أيضاً ، أثناء موكب سير جنازة هؤلاء الأمراء أن يقوم من عليه من حراس وركب بذبح أى أشخاص يتصادف أن يلتقوا بهم على الطريق قائلين لهم : «ارحلوا إلى العالم الآخر ، وهناك كونوا فى خدمة مولاكم المتوفى. وذلك لاعتقادهم الراسخ بأن جميع من يقتلونهم على هذا النحو يصبحون بالفعل خدماً له فى العالم الآخر . وهم يفعلون نفس الفعل بالخيل، حيث يقتلون أنجبها عترة، حتى يتمكن من استخدامها هناك».

وقد بينت أننى لست مع من يرد هذا الأمر إلى قسوة المغول ، فقسوتهم معروفة فى جميع الأحوال ، وغير خافية على أحد، كما أننى لا أتفق مع من يرجع هذا الأمر إلى ازدياد رفعة القاتل يوم القيامة وفقا للديانة الشامانية ، لأن هذه الرفعة سوف تعود إلى القاتل ، ولن تعود إلى الحاكم الذى رحل ، إضافة إلى أن حكام المغول لم يكونوا جميعا شامانيين، بل اختلفت دياناتهم .

وقد أرجعت سبب القتل إلى شدة حرص المغول على بقاء الخان غير

معروف للجميع، حيث يقول رشيد الدين : «وكانوا يقتلون كل من كان يصادفهم».

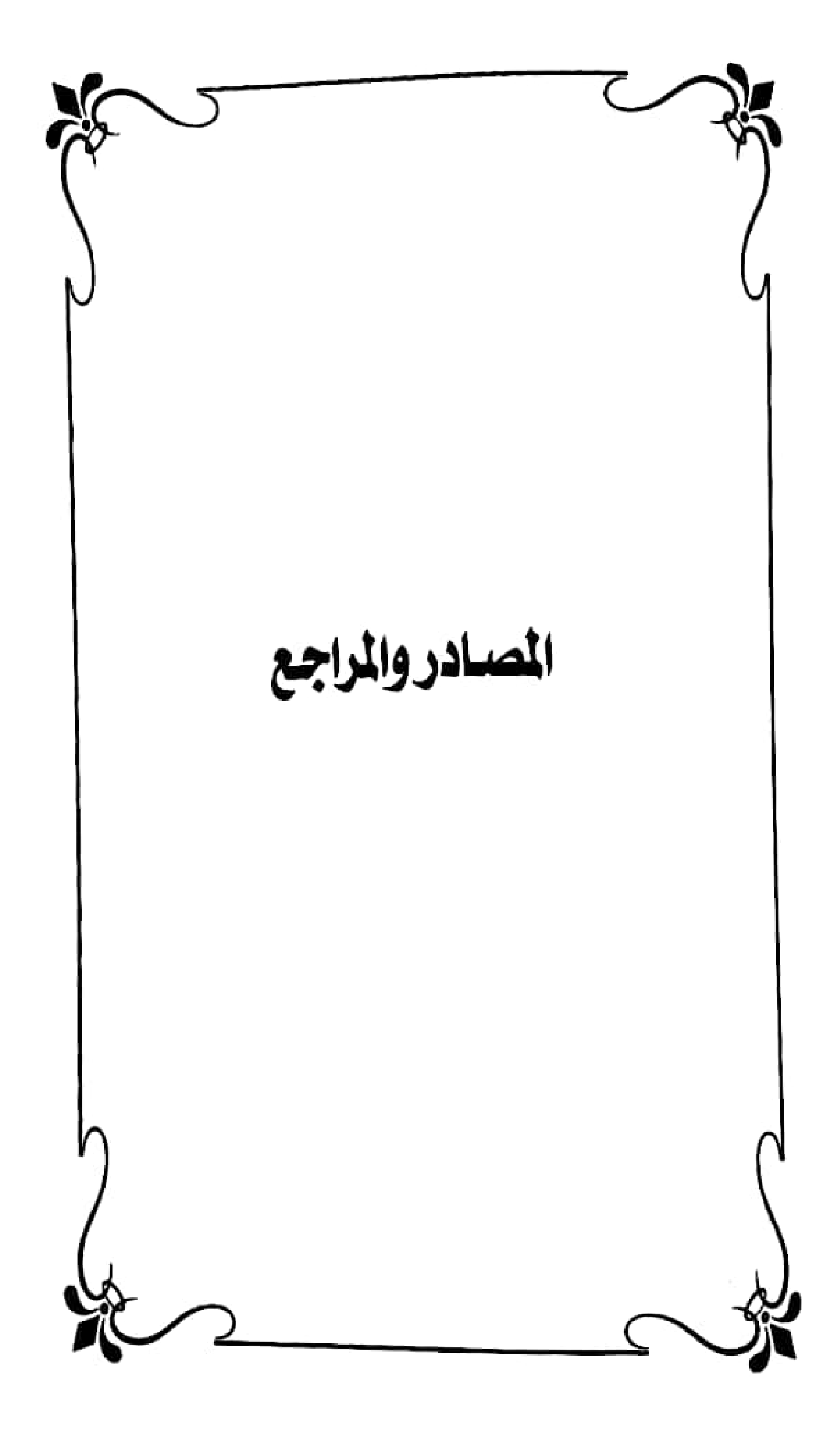
ويؤكد هذا الرأى ماذكره «بارتولدشپولر» بهذا الصدد ، حيث يقول : «ولهذا السبب كانوا يقتلون - في بعض الأحيان - حَفَرة القبر ، أو الأشخاص الذين يتصادف علمهم بمكان قبر الحاكم ، كي يحولوا دون إفشاء سرهم بهذا الصنع».

١٤- وفى باب الصراع بين المعتقدات القديمة والإسلام قمت بالرد على من يرى أن چنگيزخان كان يؤمن بإله واحد ومن يقول أنه لم يكن معتقداً بدين معين، وبنيت كيف كان چنگيزخان يمارس طقوس الشامانية وهو على قمة جبل «بورقان قلدون»، وكانت هذه الشعائر جزءاً من شعائر الشامانية .

١٥- كما بينت أن أتباع المذهبين الشافعى والحنفى كانوا حريصين على اجتذاب اولجايتو إلى مذهبهم ، وكان أصحاب كل مذهب يتطاولون على المذاهب الآخرى ويلصقون بهم أشنع الصفات ، وكانت كل تلك الشتائم والسباب تدور فى مناظرة أمام اولجايتو وحاشيته، متناسين قول الله سبحانه وتعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن» ، فأوشك سوء تصرف رجال الدين فى ذلك الوقت أن يكون سبباً فى ردة أولجايتو وأتباعه من الإيلخانيين عن الإسلام، حتى أن قائد الجيش صاح قائلاً : «ماذا دهانا ، حتى تركنا دين آبائنا وأجدادنا ، وطرحنا قانون چنگيزخان لنعتنق دين المسلمين

الذين ينقسمون عدة أقسام ، تكون السبب في احتدام الخلاف ، بين علمائهم ، وقد يصل هذا الخلاف إلى درجة لايتورع فيها كبراؤهم عن تناول كل فحش ومهاترة ، فخير لنا أن نعود مرة أخرى إلى دين اسلافنا ، وإحياء «ياساق» جنكيز» . وأخذ المغول ينظرون بعين الاحتقار إلى كل أصحاب العمائم من المسلمين ، ويرمونهم بكلمات نابية، بعد أن فكروا جديا في الارتداد عن الإسلام ».

ولولا أن «اولجايتو» أحس في قرارة نفسه أنه غير قادر على الارتداد عن الإسلام ، لكان سوء تصرف رجال الدين من المسلمين سببا في تحول ديانته .



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

(أ) المصادر العربية :

١- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي) :

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المعروفة برحلة ابن بطوطة، بيروت ، بدون تاريخ .

٢- ابن حجر العسقلاني (الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد) :

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بيروت ، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م .

٣- ابن حوقل :

- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م.

٤- ابن شاكر الكتبي (فخر الدين محمد بن أحمد) :

- فوات الوفيات ، بيروت ، ١٩٧٣م.

٥- ابن طباطبا (محمد بن علي المعروف باسم ابن الطقطقي) :

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، القاهرة، ١٣١٧هـ.

٦- ابن العبرى (غريغريوس أبو الفرج بن اهرون الطبيب الملطى المعرف بابن العبرى) :

- تاريخ مختصر الدول، بيروت، ١٩٨٠م.

٧- ابن الفوطى (كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق بن تاج الدين أحمد) :

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، بغداد، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

٨- أبو الفدا (إسماعيل عماد الدين) :

- المختصر فى أخبار البشر (تاريخ أبو الفدا) القسطنطينية، ١٢٨٦هـ .

٩- أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) :

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٤٠م.

١٠- الألبانى (محمد ناصر الدين) :

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، المجد الأول، الطبعة الرابعة ، دمشق، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١- الجوينى (عطا ملك) :

- تاريخ فاتح العالم ، نقله عن الفارسية وقارنه بالنسخة الانجليزية الدكتور محمد التونجى، دار الملاح للطباعة والنشر، حلب ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٢- رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة :
- جامع التواريخ (تاريخ المغول، المجلد الثانى، الجزء الأول : تاريخ هولاكو مع مقدمة كاترمير) ، نقله عن الفارسية الأستاذ عبد المعطى الصياد ، وترجم مقدمة كاترمير عن الفرنسية الدكتور محمد محمد القصاص، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٣- ــــــــ- جامع التواريخ (تاريخ المغول، المجلد الثانى، الجزء الثانى: تاريخ أبناء هولاكو من آباقاخان إلى گيخاتوخان) ، نقله عن الفارسية الأستاذ محمد صادق نشأت والدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد ، القاهرة ، ١٩٦٠م.

١٤- ــــــــ- جامع التواريخ (تاريخ چنگيزخان من اوگتاى قا آن إلى تيمور قاآن) ، نقله عن الفارسية الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد ، دار النهضة العربية، بيروت ، ١٩٨٣م.

١٥- ــــــــ- جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، دراسة وترجمة الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٦- سابق (السيد) :
- فقه السنة، المجلد الأول، الطبعة السابعة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٧- السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب) :

- طبقات الشافعية الكبرى، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٤

١٨- عبد الباقى (محمد فؤاد) :

- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٩- القلقشندى (أبو العباس أحمد) :

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، الجزء الرابع، القاهرة، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م.

٢٠- ماركو بولو :

- رحلات ماركو بولو ، ترجمها إلى الإنجليزية ونشرها وليم مارسدن، وترجمها إلى العربية عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فى ثلاثة أجزاء، ١٩٩٥م، ١٩٩٦م.

٢١- المقريزى (تقى الدين أحمد على) :

- الخطط المقريزية المسماة : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الثانى ، القاهرة، ١٢٧٠هـ.

٢٢- ـــــ- السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر وتحقيق الدكتور مصطفى زيادة ، الجزء الثانى، القسم الأول، القاهرة ، ١٩٤١م.

٢٣- النسوى (نور الدين محممد بن أحمد بن على بن محمد المنشى) :
- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

(ب) المراجع العربية :

٢٤- إقبال (عباس) :
- تاريخ المغول منذ حملة چنگيزخان حتى قيام الدولة التيمورية ، ترجمة دكتور عبد الوهاب علوب، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

٢٥- أرنولد (سير توماس . و.) :
- الدعوة إلى الإسلام (بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية) ، ترجمه وعلق عليه : الدكتور حسن إبراهيم حسن والدكتور عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

٢٦- الأمين (حسن) :
- المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام ، بيروت ، ١٩٨٣م.

٢٧- بارتولد (ڤاسيلى فلاديمير وفتش) :

- تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان، القاهرة ، ١٩٥٨م.

٢٨- ـــــ - تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٩- بارندر (چفرى) :

- المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة الدكتو إمام عبد الفتاح إمام، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

٣٠- بدر (مصطفى طه) :

- مغول إيران بين المسيحية والإسلام ، القاهرة، بدون تاريخ.

٣١- ـــــ - محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول ، القاهرة ، ١٩٩٩م

٣٢- براون (ادوارد جرانڤيل) :

- تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، نقله إلي العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

٣٣- التركى (ملكة على) :

- سعدى الشيرازى وأسرة الجوينيين ، دا الزهراء للنشر ، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٤- حسن (إبراهيم حسن) دكتور :

- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ، القاهرة، ١٩٨٢م.

٣٥- حمدى (حافظ أحمد) دكتور :

- الدولة الخوارزمية والمغول ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

٣٦- ـــــ - الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، (دار الفكر العربى) ، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٧- خصباك (جعفر حسين) دكتور :

- العراق فى عهد الإيلخانيين (الفتح ، الإدارة ، الأحوال الاقتصادية ، الأحوال الاجتماعية) ، بغداد ، ١٩٦٨م.

٣٨- الخولى (أحمد حمدى السعيد) :

- الدولة الصفوية تاريخها السياسى والاجتماعى ، علاقاتها بالعثمانيين ، القاهرة ، ١٩٨١ م.

٣٩- سليمان (حربى أمين) دكتور :

- المؤرخ الإيرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء ، تأليف وترجمه وتعليق، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

٤٠- شلبى (رؤوف) دكتور :
- الأديان القديمة فى الشرق ، الطبعة الثانية، القاهرة ، ١٩٨٣م.

٤١- الصياد (فؤاد عبد المعطى) دكتور :
- السلطان محمود غازان خان المغولى واعتناقه الإسلام، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٢- ـــــ- المغول فى التاريخ ، الناشر المكتبة التاريخية ، القاهرة، ١٩٦٠م.

٤٣- ـــــ- مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذانى ، الناشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦هـ/ ١٩٦٧م.

٤٤- ـــــ- الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو) ، الدوحة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٥- عبد القادر (حامد) دكتور :
- بوذا الأكبر حياته وفلسفته ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة، بدون تاريخ .

٤٦- عجيبة (أحمد على) دكتور :
- دراسات فى الأديان الوثنية القديمة ، القاهرة ، ١٩٩١م.

٤٧- العرينى (سيد الباز) دكتور :

- المغول ، بيروت ، ١٩٦٧م .

٤٨- العزاوى (عباس) :

- تاريخ العراق بين احتلالين ، حكومة المغول ، بغداد ، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٥م .

٤٩- الغامدى (سعد بن محمد حذيفه) دكتور :

- المغول (بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية) ، الرياض ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٥٠- ــــــ- المجتمع المغولى (ضوابطه وقوانينه ، وأقوال چنگيزخان وحكمه : الياسا والبيليك) ، الرياض ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٥١- فهمى (عبد السلام عبد العزيز) دكتور :

- تاريخ الدولة المغولية فى إيران ، القاهرة، ١٩٨١ .

٥٢- ڤلاديميرستوف (ب . يا) :

- حياة چنگيزخان (الإدارية والسياسية والعسكرية) ، ترجمه من الروسية إلى الإنجليزية الأمير د. س. ميرسكى، وترجمه من اللغة الإنجليزية إلى العربية دكتور سعد بن محمد حذيفه الغامدى ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥٣- كريستنسن (آرثر) :
- إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

٥٤- لامب (هارولد) :
- چنگيزخان وجحافل المغول ، ترجمة مترى أمين ، القاهرة ، ١٩٦٢م.

٥٥- ـــــ - چنگيزخان امبراطور الناس كلهم ، ترجمة بهاء الدين نورى ، بغداد ، ١٩٤٦م.

٥٦- لسترنج (كي) :
- بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٧- نوار (صلاح الدين محمد) دكتور :
- المرأة ودورها في المجتمع المغولي طبقاً لمصادر المغول وقوانين الياسا ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

(جـ) الحوليات :

٥٨- الخولى (أحمد حمدى السعيد دكتور) :

- بعض من مصادر دراسة المغول فى اللغتين العربية والفارسية ، مجلة الدارة السعودية (العدد الرابع للسنة السابعة) ، مايو ١٩٨٢م.

٥٩- عبد الحميد (سعد زغلول) دكتور :

- الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد العاشر ، ديسمبر ١٩٥٦م.

٦٠- العمادى (محمد حسن) دكتور :

- المعتقدات الدينية عند المغول حتى نهاية عصر جنگيزخان ، مجلة دراسات عربية وإسلامية ، العدد التاسع عشر ، ١٩٩٨م.

٦١- ـــــ - جوانب من حياة المرأة فى العصر المغولى ، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، إبريل ١٩٩٧م.

٦٢- الغامدى (سعد بن محمد حذيفة) دكتور :

- جوانب من حياة المغول المعيشية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد السابع والثلاثون ، ١٩٨٩م.

٦٣- الغامدى (سعد بن محمد حذيفة) دكتور :
- الياسا دراسة نقدية تحليلية واستنتاجية لبعض نصوصها، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد السابع والثلاثون ، لسنة ١٩٨٩م.

٦٤- نبهان (فاطمة دكتورة) :
- "مدينة السلطانية ودورها فى الحضارة الإسلامية" ، حوليات كليـة الآداب ، جـامـعـة عين شـمـس، (المجلد الرابع والعشرين، الجزء الأول) ، سنة ١٩٩٥-١٩٩٦م.

٦٥- ـــــــ - يهود إيران فى العصر الإيلخانى من خلال كتاب : «تاريخ يهود تأليف حبيب ليوى ، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، (دورية علمية نصف سنوية محكمة) [المجلد السادس والعشرون]، ١٩٩٨م.

(د) الرسائل العلمية :

٦٦- ماجدة كمال إبراهيم الجيار :
- القوانين والنظم التشريعية بين چنگيزخان وتيمورلنگ وأثر الإسلام فى تطورها ، بحث مقدم لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) فى اللغة الفارسية وآدابها ، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

ثانياً : المصادر والمراجع الفارسية :

(أ) المصادر الفارسية :

٦٧- آيتي (عبد المحمد) :

- تحرير تاريخ وصاف ، انتشارات بنياد فرهنگ ايران ، تهران، ١٣٤٦هـ.ش.

٦٨- پليو (بل) :

- تاريخ سرى مغولان ، ترجمهء شيرين بياني ، تهران، ١٣٥٠هـ.ش.

٦٩- البناكتي (فخر الدين ابو سليمان) :

- روضة أولي الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب ، بكوشش دكتر جعفر شعار ، سلسلهء انتشارات آثار ملى، تهران، ١٣٤٨هـ.ش.

٧٠- الجوزجاني (أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين معروف بمنهاج سراج) :

- طبقات ناصرى ، تحقيق عبد الحي حبيبي قندهارى ، كابل، ١٣٤٣هـ.ش.

٧١- الجويني (علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد) :

- تاريخ جهانگشاى ، نشر وتصحيح محمد بن عبد الوهاب القزويني ، سه جلد، ليدن، ١٣٢٩-١٣٥٥هـ = ١٩١١-١٩٣٧م.

٧٢- حافظ ابرو (عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد) :
- ذيل جامع التواريخ رشيدى ، نشر وتصحيح دكتر «خانبابا بيانى»، تهران ، ١٣١٧هـ.ش.

٧٣- خواندمير (غياث الدين محمد بن همام الدين) :
- حبيب السير فى أخبار أفراد البشر ، چاپ اول ، طهران ، ١٣٣٣هـ.ش ، (جلد سوم).

٧٤- رشيد الدين (فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بن موفق الدولة) :
- تأريخ مبارك غازانى (داستان غازان خان) ، بسعى واهتمام اقل العباد كارل يان ، هرتفورد از بلاد انگلستان ، سنهٔ ١٣٥٨هـ مطابق ١٩٤٠ مسيحى.

٧٥- ــــــ- جامع التواريخ : جلد اول ، از آغاز پيدايش قبايل مغول تا پايان دورهٔ تيمور قاآن ، نشر وتحقيق بهمن كريمى ، تهران ، ١٣٣٨هـ.ش.

٧٦- ــــــ- جامع التواريخ : جلد دوم ، از آغاز سلطنت هولاكو خان ، تاپايان دورهٔ غازان خان ، بكوشش دكتر بهمن كريمى ، تهران ، بدون تاريخ.

٧٧- ــــــ- مكاتبات رشيدى : نشر وتحقيق محمد شفيع لاهورى ، لاهور ، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

٧٨- شيرازى (أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله) وصاف الحضرة:

- تاريخ وصاف، بمبى، ١٣٦٩هـ.

٧٩- عقيلى (سيف الدين حاجى بن نظام):

- آثار الوزراء، بتصحيح وتعليق مير جلال الدين حسين أرموى محدّث، انتشارات دانشگاه تهران، تهران، ١٣٣٧هـ.ش.

٨٠- القاشانى (ابو القاسم عبد الله بن محمد):

- تاريخ اولجايتو، تاريخ پادشاه سعيد غياث الدنيا والدين اولجايتو سلطان محمد - طيب الله مرقده - به اهتمام مهين همبلى، بنگاه ترجمه ونشر، تهران، ١٣٤٨هـ.ش.

٨١- قزوينى (حمد الله بن أبى بكر بن أحمد بن نصر مستوفى):

- تاريخ گزيده، بسعى واهتمام أقل العباد إدوارد برون انكليزى، لندن، ١٣٢٨هـ مطابق سنهٔ ١٩١٠ مسيحى.

٨٢- ــــــ - تاريخ گزيده، باهتمام دكتر عبد الحسين نوائى، با مقابله باچندين نسخه بضميمهٔ فهارس وحواشى، تهران، ١٣٦٤هـ.ش.

٨٣- ــــــ - نزهة القلوب، با مقابله وتعليقات وحواشى وفهارس بكوشش محمد دبير سياقى، تهران، ١٣٣٦هـ.ش.

٨٤- ميرخواند (محمد بن سيد برهان الدين خواندشاه) :
- روضة الصفا ، جلد پنجم ، تهران ، ١٣٣٩هـ.ش.

٨٥- نخجواني (محمد بن هندوشاه) :
- دستور الكاتب في تعيين المراتب ، جزء اول از جلد يكم، نشر وتحقيق عبد الكريم على اوغلى زاده ، مسكو ، ١٩٦٤م.

٨٦- نظامى عروضى (احمد بن عمر بن على سمرقندى) :
- چهار مقاله ، نشر وتحقيق محمد بن عبد الوهاب قزوينى ، ليدن ، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.

٨٧- هروى (سيف الدين بن محمد بن يعقوب) :
- تاريخ نامهٔ هراة ، بتصحيح بروفيسور زبير الصديقى ، كلكته ، سنهٔ ١٣٦٢هـ مطابق سنهٔ ١٩٤٣ مسيحى .

(ب) المراجع الفارسية :

٨٨- اقبال (عباس) :
- تاريخ مفصل ايران ، جلد اول ، از حملهٔ چنگيزخان تا تشكيل دولت تيمورى ، طهران ١٣١٢هـ.ش.

٨٩- ـــــ - تاريخ مغول واوايل ايام تيمورى ، جلد اول ، تهران ، ١٣٧٦هـ.ش.

٩٠- ايليا پاولويچ بطروشفسكى :

- كشاورزى ومناسبات آن در ايران عهد مغول ، ترجمهء كريم كشاورز ، تهران ، ٢٥٣٥ شاهنشاهى.

٩١- بارتولد :

- تذكرهء جغرافياى تاريخ ايران ، ترجمهء حمزه سردادور (طالب زاده) ، تهران ، ١٣٠٨هـ.ش.

٩٢- بارتولد (و.و.) :

- تركستان نامه (تركستان در عهد هجوم مغول) ، جلد اول، ترجمه كريم كشاورز ، انتشارات بنياد فرهنگ ايران، ١٣٥٢هـ.ش.

٩٣- باسورث (ك.ا.) :

- تاريخ ايران از آمدن سلجوقيان تا فروپاشى دولت ايلخانان، جلد پنجم ، پژوهش دانشگاه كيمبريج، گرد آورنده : ج.آ. بويل ، ترجمهء حسن انوشه ، مؤسسهء انتشارات امير كبير ، تهران ، ١٣٧٩هـ.ش.

٩٤- براون (ادوارد) :

- از سعدى تا جامى ، تاريخ ادبى ايران از نيمهء قرن هفتم هجرى تا آخر قرن نهم هجرى (عصر استيلاى مغول وتاتار) ، ترجمهء على اصغر حكمت ، تهران ، ١٣٢٧ش = ١٩٤٨م.

٩٥- بهار (محمد تقی ملك الشعراء) :
- سبك شناسی یاتطور نثر فارسی ، تهران ، (سه جلد) ، ١٣٢١-١٣٢٦هـ.ش.

٩٦- بیانی (شیرین) دکتر :
- تاریخ آل جلایر ، انتشارات دانشگاه تهران ، تهران ، ١٣٤٠هـ.ش.

٩٧- ـــــ- دین ودولت در ایران عهد مغول ، جلد اول ، از تشکیل حکومت منطقهء مغولان تا تشکیل حکومت ایلخانان ، تهران ، ١٣٧٠هـ.ش.

٩٨- ـــــ- دین ودولت در ایران عهد مغول ، جلد دوم ، حکومت ایلخانی : نبرد میان دو فرهنگ ، تهران ، چاپ اول ، ١٣٧١هـ.ش.

٩٩- ـــــ- زن در ایران عصر مغول ، تهران ، ١٣٥٢ هـ.ش.

١٠٠- ـــ- هشت مقاله در زمینهء تاریخ ، انتشارات توس ، ١٣٥٢هـ.ش.

١٠١- پطروشفسکی (ای . پ) :
- نهضت سربداران خراسان ، ترجمهء کریم کشاورز ، چاپ سوم ، تهران ، ١٣٥١هـ.ش.

١٠٢- پیگولوسکایا (ن.و.) :

- تاریخ ایران از دوران باستان تا پایان سدهٔ هیجدهم میلادی ، ترجمهٔ کریم کشاورز ، تهران ، ١٣٥٤هـ.ش.

١٠٣- تربتی (ابو طالب حسینی) :

- تزوکات تیموری ، باهتمام کتابفروشی اسدی ، تهران، ١٣٤٢هـ.ش.

١٠٤- راوندی (مرتضی) :

- تاریخ اجتماعی ایران ، جلد پنجم ، چاپ سوم، مؤسسهٔ انتشارات امیر کبیر ، تهران ، ١٣٥٧هـ.ش.

١٠٥- رجب زاده (هاشم) دکتر :

- آئین کشورداری در عهد وزارت رشید الدین فضل الله همدانی ، تهران ، ٢٥٣٥ شاهنشاهی.

١٠٦- رشید وو (پی - نن) :

- سقوط بغداد وحکمروایی مغولان در عراق ، میان سالهای ١٢٥٨ و ١٣٣٥ میلادی ، ترجمهٔ دکتر أسد الله آزاد، مشهد ، ١٣٦٨هـ.ش.

١٠٧- ريبكا (يان) (وهمكاري چند نفر ديگر) :

- تاريخ ادبيات ايران از دوران باستان تا قاجاريه ، ترجمهٔ دكتر عيسى شهابى ، تهران ، ١٣٥٤هـ.ش.

١٠٨- زاده شفق (صادق رضا) دكتر :

- تاريخ ادبيات ايران، القاهرة، ١٩٤٧م.

١٠٩- زرين كوب (عبد الحسين) دكتر :

- تاريخ ايران بعد از اسلام ، مؤسسهٔ انتشارات امير كبير ، تهران ، ١٣٧١هـ.ش.

١١٠- سايكس (ژنرال سير پرسي) :

- تاريخ ايران ، ترجمهٔ سيد محمد تقى فخر داعي گيلاني، جلد دوم، چاپ پنجم، تهران ، ١٣٧٠هـ.ش.

١١١- سعيديان (عبد الحسين) :

- شناخت شهرهاى ايران ، تهران ، ١٣٧٩هـ.ش .

١١٢- سياقي (محمد دبير) :

- پيشا هنگان شعر فارسي، سده هاى سوم وچهارم وآغاز سده پنجم هجرى، تهران، ١٣٥١هـ.ش .

١١٣- شپولر (بارتولد) :

- تاریخ مغول در ایران (سیاست ، حکومت وفرهنگ دورهٔ ایلخانان) ترجمهٔ دکتر محمود میر آفتاب ، بنگاه ترجمهٔ ونشر کتاب ، ١٣٥١هـ.ش.

١١٤- صدیق (عیسی) دکتر :

- تاریخ فرهنگ ایران (از آغاز تا زمان حاضر) ، چاپ هفتم، تهران ، ١٣٥٣هـ.ش.

١١٥- صفا (ذبیح الله) دکتر :

- تاریخ ادبیات در ایران، جلد سوم، از اوایل قرن هفتم تا اواخر قرن هشتم هجری ، قسمت اول ، تهران ، ١٣٤١هـ.ش.

١١٦- ـــــ- تاریخ ادبیات در ایران ، جلد سوم ، از اوایل قرن هفتم تا پایان قرن هشتم هجری ، بخش دوم ، انتشارات دانشگاه تهران ، تهران ، ١٣٥٢هـ.ش.

١١٧- ـــــ- خلاصهٔ تاریخ سیاسي واجتماعی وفرهنگی ایران تا پایان عهد صفوی (مجموعهٔ مقالات) ، تهران ، ٢٥٣٦ شاهنشاهی.

١١٨- عبد القادر خان (میرزا محمد) :
- اویماق مُـغُل ، مطبـعـه روز بازار ، دهلی ، ١٣١٩هـ/
١٩٠٢م.

١١٩- قائم مقام (سیف الدین) :
- تاریخ روابط معنوی وسیاسی ایران وفرانسه ، جلد اول ،
تهران ، ١٣٤١هـ.ش.

١٢٠- القزوینی (یحیی بن عبداللطیف الحسینی) :
- لب التواریخ ، از نشریات مؤسسهء خاور، تهران،
١٣١٥هـ.ش.

١٢١- کرمانی (أحمد علی خان وزیری) :
- تاریخ کرمان (سالاریه) ، به تصحیح وتحشیه با مقدمه
محمد ابراهیم باستانی باریزی ، تهران ، ١٣٥٢هـ.ش.

١٢٢- گروسیه (رنه) :
- امپراطوری صحرا نوردان ، ترجمهٔ عبد الحسین میکده ،
شرکت انتشارات علمی وفرهنگی ، چاپ سوم، تهران،
١٣٦٨هـ.ش.

١٢٣- لاپیدوس (ایرا. م.) :
- تاریخ جوامع اسلامی ، ترجمهء علی بختیاری زاده ،
تهران، ١٣٨١هـ.ش.

۱۲٤- لوی (حبیب) :

- تاریخ یهود در ایران ، نشر کتابفروشی بروخیم، تهران، ۱۳۳۹ش/ ۱۹٦۰م.

۱۲۵- مجموعهٔ خطابه های تحقیقی :

- مجموعهٔ خطابه های تحقیقی در بارهٔ رشید الدین فضل الله همدانی که در مجلس علمی مربوط به او از ۱۱ تا ۱٦ آبان ۱۳٤۸هـ.ش. در دانشگاه های تهران وتبریز خوانده شده است ، تهران ، ۱۳۵۰هـ.ش.

۱۲٦- مزاوی (میشیل .م) :

- پیدایش دولت صفوی ، مجموعهٔ پژوهش های تاریخ، ترجمهٔ یعقوب آژند ، چاپ دوم، تهران ، ۱۳٦۸ش.

۱۲۷- مشکور (محمد جواد) :

- تاریخ تبریز تا پایان قرن نهم هجری ، تهران ، ۱۳۵۲هـ.ش.

۱۲۸- هرن (باول) :

- تاریخ مختصر ایران از اول اسلام تا انقراض زندیان ، ترجمهٔ حواشی وتعلیقات دکتر رضا زاده شفق ، تهران، ۱۳۱٤هـ.ش.

۱۲۹- ولادیمیر تسف (ب) :

- نظام اجتماعی مغول (فئودالیسم خانه به دوشی) ترجمهٔ دکتر شیرین بیانی، چاپ دوم، تهران ، ۱۳٦٥هـ.ش.

ثالثاً : المعاجـــم :

(أ) المعاجم العربية :

١٣٠- المعجم الوسيط :

- قام بإخراجه إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار. وأشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مجمع اللغة العربية ، فى مجلدين ، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

(ب) المعاجم الفارسية :

١٣١- برهان قاطع :

- محمد حسين بن خلف تبريزى متخلص ببرهان ، باهتمام دكتر محمد معين ، پنج جلد ، چاپ دوم، تهران، ١٣٤٢هـ.ش.

١٣٢- فرهنگ عميد :

- حسن عميد ، چاپ هشتم ، دو جلد ، تهران ، ١٣٥٤هـ.ش.

133- A Comprehenssive Persian - English Dictionry, F.Steingass, London, 1957.

١٣٤- المعجم الفارسي الكبير (فرهنگ بزرگ فارسی :

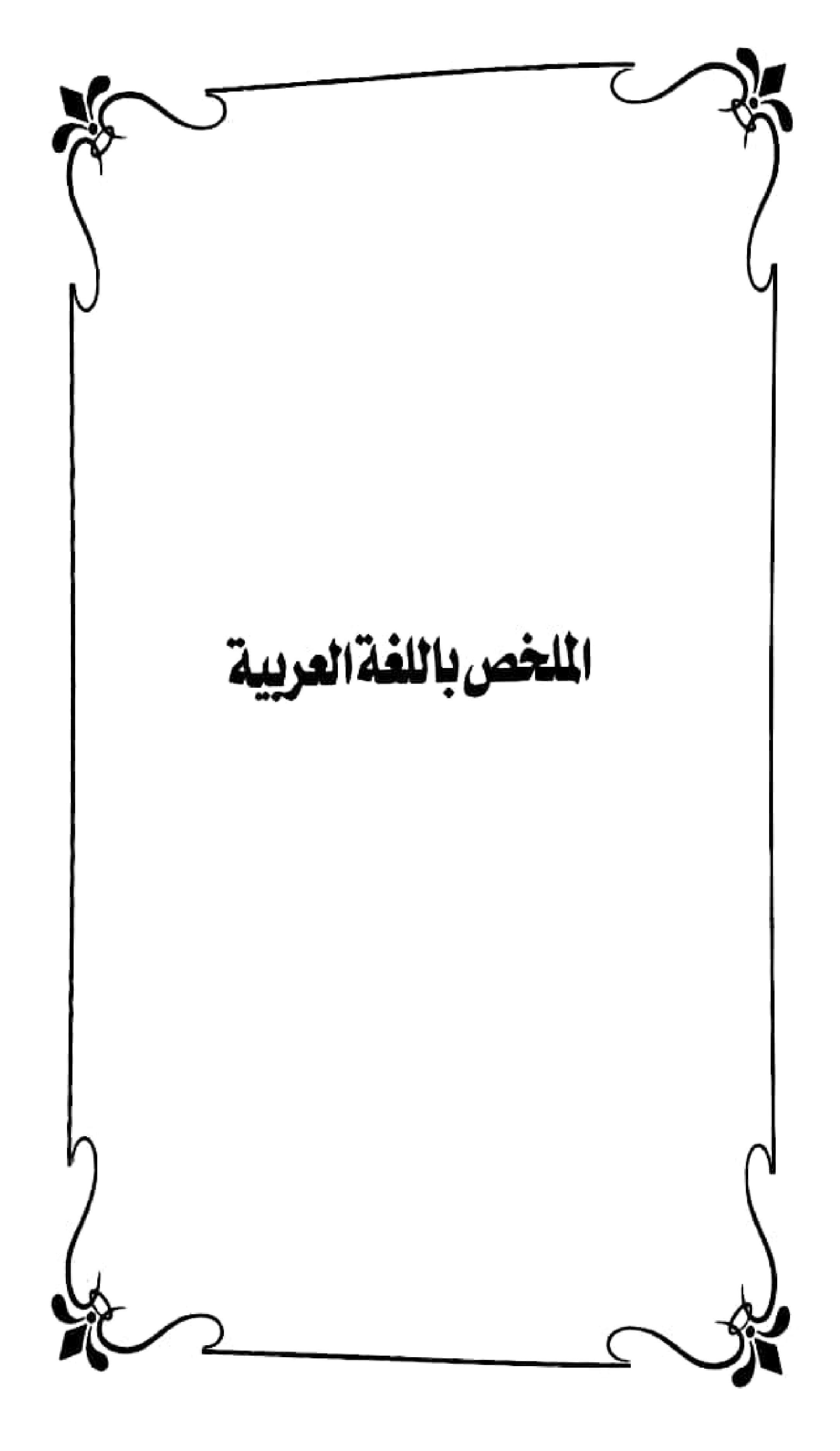
- الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا ، (فارسى - عربى)، في ثلاثة مجلدات ، القاهرة ، ١٩٩٢م.

رابعاً : المصادر والمراجع الأجنبية :

135- Browne E.G : A History of Persian Literature under Tatar Dominion, Cambridge, 1920.

136- Howorth H.H. : History of the Mongols from The 9th to the 19th Century, Part III, (The Mongols of Persia), London, 1888.

137- Michael Prawdin : The Mongol Empire : Its Rise and Legacy, Translated from the Germany by Eden and Cedar Paul, The free Press, New York, 1967.



الملخص باللغة العربية

المجتمع المغولى فى عصر الإيلخانيين «فى ضوء المصادر الفارسية»

تنقسم هذه الرسالة إلى أربعة أبواب ، مضت فيها الدراسة على النحو التالى :

الباب الأول : «النظم الاجتماعية» ، وينقسم إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الأوضاع الاجتماعية وأسلوب المعيشة».

وقد بينت في هذا الفصل أن الخان هو أعلى طبقات المجتمع ، وكان من أهم أعماله تقسيم الغنائم بين القادة وأفراد القبائل، وتنظيم أمور الصيد. كما كان رؤساء الجيش يشكلون طبقة اجتماعية بعد الخان ، فقد كان يرأس كل مجموعة من مجموعات الجيش رئيس أو قائد تم اختيار لقبه من أعداد المجموعة التى يرأسها فهناك رئيس التومان (أى رئيس العشرة آلاف) ، ورئيس الألف (هزاره) ، ورئس المائة (صده) ، ورئيس العشرة (دهه) .

أمابقية طبقات المجتمع فى ذلك الوقت فكانت عبارة عن الفلاحين والتجار والصناع وقد ألقيت الضوء على كل طبقة من هذه الطبقات .

الفصل الثانى : « الادارة » :

وتناول هذا الفصل الحديث عن الحاكم وطريقة انتخابه ، وإصرار الإيلخانيين على عقد «القوريلتاى» لاختيار الحاكم الجديد، وكيف كان العظماء يتعاملون معه بعد انتخابه - وما كان بوسع الإيلخان أن يعتلى العرش قبل وصول رسالة تأييد من القا آن بالموافقة على جلوسه ، إلى أن

اعتلى غازان العرش فأعلن استقلاله عن القا آن .

وكان وظيفة صاحب الديوان في أهميتها بعد الحاكم عند الإيلخانيين، وكان يطلق على شاغلها كذلك لقب « وزير الممالك » ، وتليها وظيفة رئيس كتاب الديوان ووظيفة مشرف الممالك ، وناظر الممالك ، والمحاسب الكبير .

وكانت وظيفة مستوفي الممالك أعلى منصب مالي في الديوان وكان شاغلها يعين من قبل الحاكم ويليه مسئول المحاسبات « دفتر داري ممالك » ، ومسئول القانون والترتيب والتعديل» .

الفصل الثالث : « الأسرة ووضع المرأة » :

لم يكن تعدد الزوجات شائعاً عند المغول وحدهم ، بل امتدّ ليشمل الإيلخانيين كذلك ، سواء قبل اعتناقهم الإسلام أو بعد أن شرفوا باعتناقه .

وكان يطلق على زوجات الإيلخان الشرعيات لقب « خاتون » ، إلا أن الزوجة الأولى كانت بمثابة الخاتون الكبيرة بين الزوجات ، فكانت تتمتع بمكانة خاصة لاتدانيها فيها زوجة أخرى ، وربما كان من اللافت للنظر تمسك بعض حكام الإيلخانيين بفقرات من الياسا الجنكيزية ، المتعلقة بالزواج ، رغم مخالفتها الصريحة للشريعة الإسلامية . كما حدث لأبي سعيد عندما وقع في حب « بغداد خاتون » .

أما المحظيات أو « السراري » فيأتي ترتيبهن بعد زوجات الحاكم الشرعيات ، وكن يتمتعن بالاحترام ، وتصبح لهن ثروة ومسكن مستقل ،

ويعامل أبناؤهن معاملة الأبناء الشرعيين .

وكان بين نساء الحاكم مجموعة من الجوارى اللاتى يتم الاستيلاء عليهن من أسرى الحرب أو من القبائل الفقيرة . وما كان لهذه الفئة أى حق من الحقوق ، بل كان ينظر إلى أبنائهن على أنهم أبناء غير شرعيين ، فيطردون من القبيلة .

ولم يتوقف الحديث فى هذا الفصل عند زوجات الإيلخان فحسب ، بل امتد ليشمل أيضا نساء الطبقة الأولى ، والطبقة المتوسطة ، وطبقة الجوارى ، ووضع المرأة فى كل طبقة من هذه الطبقات .

الباب الثانى : « النظام الاقتصادى » وينقسم بدوره إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : دخل الدولة الإيلخانية :

وقد تنوعت مصادر دخل الدولة الإيلخانية ، حيث كانت الغنائم والأسلوب التى يتم الاستيلاء عليها من الحروب تشكل أحد هذه المصادر .

كما شكلت مصادرة الأموال والممتلكات مصدراً آخر من مصادر دخل الدولة ، وكان صيد اللؤلؤ مصدرا هاما للدخل كذلك .

وإذا كانت الضرائب أهم مورد من موارد دخل ادولة الإيلخانية ، فإنها قد صارت عبئاً ثقيلاً على كاهل الرعايا بسبب تعددها وكثرتها .

الفصل الثانى : « الإقطاع » :

بعد أن ألقى الباحث الضوء على أقسام الأراضى الزراعية فى عهد

الإيلخانيين متمثلة في : أراضي الدولة ، وأراضي الخاصة السلطانية ، وأراضي الأوقاف والأملاك الخاصة ، بيّن كيف عيّن «غازان خان» إقطاعيات لجميع الجنود ، لأنه كان يدرك أن أكثر الجنود في هذا العهد يميلون إلى إقتناء الأملاك والزراعة ، وبالتالي فإنهم يحققون رغبتهم عندما يملكون إقطاعا ، وبذلك لاتكون هناك حاجة إلى الخزانة للإنفاق على مصالحهم ، ولأن كل واحد منهم يحصل على حصته ومعاشه من الإقطاعية .

الفصل الثالث : النقود :

وكانت النقود في عهد الإيلخانيين تحمل بعض الشعارات التي تعبر عن ديانة الحاكم ومذهبه ، أو تعاطفه مع ديانة من الديانات على حساب ديانة أخرى .

وقد اختلفت طبيعة النقود كذلك مابين ذهبية وفضية وبرونزية أو عملة ورقية كما حدث في عهد « گيخاتو » ، حيث أمر بتداول عملة ورقية عرفت باسم « الچاو » ، وإن كانت لم تلق رواجا من المواطنين ، وعادت العملة الذهبية والفضية مرة أخرى .

الباب الثالث : « النظام الدستوري » :

وينقسم هذا الباب إلى فصلين :

الفصل الأول : الياسا : وهي عبارة عن مجموعة القوانين التي وضعها جنگيز خان ليحكم بها قومه ، حيث كان يهدف بتطبيقها أن يصرف

قومه عن النزاعات والاقتتال فيما بينهم ، فقد نصت الياسا أن يمارس الجنود الصيد منذ بداية هطول الجليد إلى أن ينبت العشب ، أما بقية العام فكان الجيش متأهبا بصورة مستمرة للغزو والقتال .

وكان من بين مانصت عليه الياسا أن من زنى قُتل ، ومن بال في الماء أو على الرماد قُتل ... ومن ذبح حيوانا كذبيحة المسلمين ذُبح ، فقد أمر بانتزاع قلب الحيوان من صدره إلى أن يموت ، وهي صورة تدل على شدة القسوة التي جُبل المغول عليها .

وقد جمع المغول أقوال جنكيز خان وحكمه وجعلوها مرجعاً لجميع طوائف المغول وأطلقوا عليها اسم « بيليكهاى جنكيز » يعنى أقوال جنكيز وحكمه ، وراح المغول يستشدون بهما في مختلف شئون حياتهم .

الفصل الثاني : بين الياسا والشريعة الإسلامية :

وقد حاولت في هذا الفصل أن ألقى الضوء على بعض قوانين الياسا التي جاءت موافقة لأحكام الشريعة الإسلامية مثل النهى عن الزنا واللواط ، والنهى عن الكذب والسحر والسرقة .

كما تحدثت عن معظم « قوانين الياسا » التي خالفت أحكام الشريعة الإسلامية مثل عدم الاكتراث بالطهارة والنظافة ، والقسوة في ذبح الحيوان .

وقد أباحت الياسا للخان أن يتزوج من أى امرأة تعجبه ، ولو كانت متزوجة وأمرت الزوج أن يتخلى عنها طواعية للخان .

فلا عجب إذن أن يحاول غازان خان التوفيق بين الياسا والشريعة الإسلامية وهو ما عُرف اصطلاحا باسم الياسا الغازانية فامتدت إصلاحاته إلى القضاء ، كما شملت اصلاحاته النواحي الدينية كذلك حيث منع الناس من التلفظ بكلمات الكذب ، وحرم التعامل بالربا ، والحدّ من ظاهرة البغاء وشرب الخمر .

الباب الرابع : تحول المغول إلي الإسلام :

وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : المعتقدات القديمة :

وقد بينت فى هذا الفصل كيف لعبت الخرافة دوراً هاما فى حياة المغول اليومية كان من أثرها تقديسهم للنار والماء وتعلقهم ببعض مظاهر الطبيعة كالجبال والأشجار .

وربما كان من أوضح الخرافات السائدة فى ذلك الوقت أنهم كانوا يدفنون مع الخان فى قبرة كل ما يلزمه في الآخرة ، كما يدفنون معه مجموعة من الفتيات الجميلات ، كى لايتألم من وحشة الوحدة ومشقة الفراق .

الفصل الثاني : مرحلة الصراع بين المعتقدات القديمة والإسلام :

فرغم أن جنگيز خان كان يدين الشامانية ، إلا أنه كان يعطف على

كافة الأديان ، كما سلك خلفه أوكتاى مسلك المداراة مع المسلمين ، وعاملهم معاملة الأصدقاء ، فلما جاء الدور على كيوك ناصب المسلمين العداء متأثرا برأى اثنين من وزرائه المسيحيين. ثم عادت سياسة المداراة فى عهد منكو مرة أخرى رغم المكائد التى كان يقوم بها المسيحيون والبوذيون.

ورغم بدأ التسامح الذى سلكه قوبيلاى إلا أن عصره لم يخل من المكائد والمواجهات العنيفة بين البوذية والإسلام ، وقد اشترك اليهود والمسيحيون فى إذكاء نار الفتنة فى ذلك الوقت .

ورغم أن هولاكو ظل متمسكا بديانته البوذية إلا أنه أعلى من شأن المسيحيين فى عهده ، ولم يكن آباقا أقل تعاطفا مع المسيحيين من أبيه .

فلما اعتنق أحمد تكودار الإسلام لم يعد للمسيحيين نفوذ فى بلاطه، وكانت سياسة المهادنة التي سلكها مع المماليك سببا فى فقد عرشه وحياته .

وقد خلفه آرغون الذى كان شديد التعصب للمسيحيين واليهود ، كما كان كهنة البوذية يحيطون به .

وعندما اعتلى گيخاتو العرش سلك بدوره سبيل المهادنة مع بقية الديانات الأخرى ، حتى أنه أسند منصب الوزارة إلى أحد المسلمين هو «أحمد الخالدى الزنجانى» الملقب بصدر جهان » .

ثم خلفه بايدو ، الذى كان شديد العطف على المسيحيين ، حتي اعتبره كثير من المؤرخين مسيحياً .

وكان يتودد للمسلمين ويحرص على استرضاءهم .

فلما اعتلى غازان العرش من بعده أصبح الإسلام ديناً رسمياً للبلاد .

الفصل الثالث : غازان والتحول الكبير :

وقد شب غازان على اعتناق البوذية منذ طفولته ، فكان يمضى أكثر أوقاته فى معابد الأصنام يتجاذب أطراف الحديث مع الكهنة ، إلى أن شرح الله صدره للإسلام ، فخَيّر أصحاب الديانات الأخرى بين اعتناق الإسلام أو الرحيل عن إيران عائدين إلى أوطانهم .

وأرجو الله أن أكون قد وفقت فى هذا المجال .

وعلى الله قصد السبيل ..



الملخص باللغة الإنجليزية



Ain Shams University
Faculty of Arts
Department of Oriental Languages
Persian Language

The Mongol Society in The Age of Eilkhans

According to The Persian Sources

A Thesis Submitted by Student

Ahmed Abd El-Aziz Bakoush

in Partial Fulfilment of the Requirements for the
Ph. D. *of Arts in Persian Language and Literature*

Supervised by

Professor Dr. Ahmad Hamdy El Said El Kholy
A Professor of Persian Language and Literature
Faculty of Arts - Ain Shams University

Dr. Fatma Nabhan
Ass. Professor of Persian Language and Literature
Faculty of Arts - Ain Shams University

1425 H. / 2004 A.D.

The Mongol Society in The Age of Eilkhans
According to The Persian Sources

This thesis is devided into four chapters, the study in theis thesis is as follow :

Chapter One : "Social Systems", and this chapter is divided into three sections :

Section One : "Social Status and way of Living".

In this section, I indicated that the Khan (Prince) is the highest social class, and among his divide the spoils among leaders and individuals nd tribes as well as organising fishing and hunting affairs. The commanders of army were the highest social rank after the Khan. The Khan was heading every group of the army groups. He is a chief or commander whose title was chosen from the number of the group that he commands. For example, the Toman commander a commander of ten thousands, and the Hazara (a commander of one-thousand group) and the Serra (a commander of one-hundered persons) and the wahha (commander of ten persons) .

The rest of social classes in this time were farmers, trders and manufacturers. I threw a spark of light on each of these classes.

Section Two : "Management"

This section handles details on the ruler and the method by which he is elected, and the "Elihans"

insistence on holding the "Koriltie" to elect the new ruler, and how the high social ranks were dealing with him after election. The "Elikhan" wasnont able to come to throne until he gains the support necessary for his approval by a message from the Alqaan to accept his coming to throne, who Ghazan came to throne, he declared his dependence from Alqaan .

The work of the Diwan owner was in the second ranking after the Elikhans. The person who occupied this job was called "The King's minister".

In third ranking, the job of the head of Diwan scribes was placed, then the king's possessions supervisor and the king's advisor, then the accountant.

The statutes payer was the highest financial office in the Diwan. The person who occupies it was appointed by the governor. The following job in importance was the responsible for accounts "The king's administrative book", and the responsible for modification, arrangement and law.

Section Three : "Family and Woman's Position"

Polygamy was not a common feature in the Mongols' life only, it extended also to include the Elihans, whether before embracing Islam or after they were nonoured by being Muslims.

The Elikhan's legal wives were called "Khaton". The first wise was in a position of the great "Khaton" among the wives, she enjoyed a particular position of

which no other wife can reach or equalise. Perhaps the most observable aspect of their lives is the follow-up of some governors to the Genkizkhan illyad on marriage, despite being condradictual to the Islamic law "Shari'a" as what happened to Abi Said when he loved "Baghdad Khaton".

The "Sarraries" were in the second ranking after the legitimate governor's wives. They gained due respect and had dependent wealth and residence. Their sons were having the same treatment as those of the legitimate wives. Among the ruler's women was a number of slave girls who were captured from the prisoners of war or from some poor tribes. This girls did not have any right. Their sons were considered bustard sons, so they were expelled from the tribe.

The topic of this section was not limited to the Elikhans wives only; it included in addition to this the wives of the first class people, and the middle class as well as the slave girls in addition to the woman's position in each of these classes.

Chapter Two : "The economic System".

This chapter is divided into three sections :

Section One : "The income of the Elikhan State"

The sources of the Elikhan state's income were variable. The spoils that they gained from wars were one of these sources. In addition to this, the capital

confiscation was one of thse sources in addition to peal fishing which was another main source.

Wjem taxes were one of the most resources of the Elikhan state's income, the taxes were a heavy burden on the shoulders of the subjects because of its variation and profilation.

Section Two : "Fendalism"

After the researcher handled the types of agricultural lands at the time of Elikhans which include : State lands, lands private to the Sultan, entail land and private property. Then, the researcher indicated how "Ghazan Khan" appointed feudals for the soldiers because he was conceiving that most of the soldiers at this time were engaged with obtaining statute and agriculture. Therefore, they fulfilled their desires when they became feudalists. Accordingly, there was no need for atreasury that funds their interests, because every one of them gained his share and living from fendalism.

Section Three : "Money"

Coin at the time of Elihans was some shapes the exprss. The governor's religion and his sect or his sympathy with one of the religion on the cost of another religion.

The coin was fo different materials such as silver, gold or bronze. There were also banknotes as in the age of "Kikhato". He issued a decree to negotiate the

banknote which were called “El Jaw”. This coin didnot find promotion from the citizens. As a result, the golden and silver currencies were reused.

Chapter Three : “Constitutional System”

This chapter is divided into two sections :

Section One : “Elyassa” : It is a variety of laws that Genkiz Khan passed to rule his people. He aimed by its application to settl his people’s disputes and fights. The Elyassa confirmed that soldiers can perform hunting and fishing from the time of rain till the growth of weed. In the rest of the year the army was so ready continuously for invasion and fight.

Among the provisions of the Elyassa is that this who commits adultery must be killed and this who excretes on water or ash must must be killed .. Who slays and animal in the way the muslims slays must be killed. He issued a decree states that the heart of animal be grabbed until its death. This shows how much they were cruel.

The Mongol gathered Genkiz Khan’s recommendations and made it a reference for the Mongol Sects. They called it “Benekhy Genkiz” meaning Genkiz and his rule. The Mongols cited it in the different aspects of their lives.

Section Two : "A comparison between Islamic Law (Shari'a) and Elyassai"

I tried in this class to handle some of Elyassa laws which were conrernt to the provisions of Islamic law such as forbidding adultry and banning magic and theft.

I also handled most of Elyassa codes which contradicted Islamis Law such as neglecting clean lines and circumcision in addition to cruelty in shaying animals.

They Elyass allowed the Khan to marry any woman, even if she is married, and asked the husband to voluntarily leaves his wife for the Khan.

So, it is not strange that Ghazan Khan tries to match the Elyassa with Islam. This is what was idiomatically known as the Ghazanian Elyassa. It reformations included judgement. So that accuracy be adopted in judgement and choosing judges, and the judges should take satisfactory salories. The religions reformation was also included .

People were banned from uttering blasphemy words and dealing with usury, lesbianism and drinking wine.

Chapter Four : "The Mongol's Embracement to Islam"

This chapter is divided into three sections :

Section One : "Old Beliefs"

In this section I indicated how superstition played

an outstanding role in the Mongols dual life. The result of this was their sacring for fire and water and attaching to some of the nature's aspects such as trees and mountains.

This may be the most common superstitions in this time because they were burying their deeds with the khan in his tomb with all his supplies that he may need in the other life. They buried with him a number of beautiul girls, so as not to suffer from loneliness and the suffering of distance and departure.

Section Two : "The Conflict between Old beliefs and Islam"

Although Genkiz Khan was a shamanist, he was were of all religions as his successor, octass behaved with Muslims, and dealt with them as friends. When "Keok" come, the Muslim dedared feud influenced by the opinions of two of his ministers. The hiding policy returened at the age of Monko despite the eavesdroping that Christians and Budhists were planning.

Despite the forgiveness principle that qcuily adopted, his age was not free of conflicts and violent confrontations among Budhists and Islam. The Jews and Christians participate to enhance scruting in this time.

Although Holako was a budhist, he was higher in the rank than Christans in the age. Abaqa was not less compassionate with Christians than his father.

When Ahmed Takodor joined Islam, the Christian has no longer power in his state. The policy of truces that he adopted with Mamluks was a reason for losing this life. Arghon succeded Ahmad Takodar, but he was more fanatic against Muslims and Islam. The Budhists dogies were surrounding him.

When Kekhato came to throne, he adopted the policy of trucing with other religions until he became a minister to one of the Muslims "Ahmd El Khangy El Zengany" who was titled "Sad Gahan".

Then Bido came to throne. He was sympathetic with Christians that some historians considered him a Christian. He was also striving to satisfy Muslims.

When Ghazan came to throne Islam became the official religion of the country.

Section Three : "Ghazan and the Great Transformation"

Ghazan was a Budhist since his childhood, he spent most of his time in the bagans temples with conversations with the clergies, until he joined Islam. The other religions followers were chosen between being Muslims or leaving Iran to their original countries.

I hope that I was successful in choosing the topic of the thesis.